

٥١٢-
X
الجميلة والأسير

رواية

أسامة على الصادق

الجميلة والأسير .. رواية

أسامة على الصادق

.....

الناشر: المؤلف

الطبعة الأولى : أكتوبر 2016

الطبعة الثانية : ديسمبر 2017

تصميم الغلاف:

المهندس: طارق الصادق

م: 01227970032

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

oelsadek@gmail.com

البداية

بمنزلى الكائن بالقاهرة الجديدة جلست على المكتب محاولاً البحث عن الكيفية التى ابدأ بها كتابة أحداث تلك الرواية التى شغلتنى أحداثها لفترة طويلة مضت .. أى منذ شهرين .. أبحث عن المخرج للبدء بسطور تلك الرواية التى أعتقد بأنها تحمل بين جتباتها أحداثاً جديدة على المجتمع المصرى.

تخيرت لتلك الرواية عنوان (الجميلة والأسير) وخلال البدء فى الكتابة كنت أستمع لقصيدة (وقف الخلق ينظرون) وهذا هو المقطع الأول للقصيدة الشهيرة التى تتغنى بها سيدة الغناء العربى أم كلثوم والتى نسعد بسماعها، وحين تدقق الفكر فى معانى كلماتها تجد أنها تتحدث عن مصر الحاضر بل مصر فى كل زمان، كانت أحداث الثورة المصرية فى الخامس وعشرين من يناير عام 2011 قد قلبت موازين المجتمع فى مصر ودفعت بالكبار وعلية القوم إلى السجن إنتظاراً لمحاكمات بالسرقة والإهمال وإستغلال النفوذ.

لقد بدأت الثورة بيضاء يانعة فقد حمل لوائها الشباب المصرى البرئ الذى يحمل بين طياته كل معالم الحب للوطن والخير ويمقت الاستغلال والقهر متمنياً لبلده التقدم، لقد عاش الكثير من هؤلاء الشباب بدول أوروبا وأمريكا وبمدرجات جامعاتها ونهلوا من العلم وتفهّموا لماذا تتقدم تلك الدول بينما نحن فى تخلف مستمر.

كان الشباب يتسائل : لماذا كل تلك الفروق الطبقية بين الناس فى مصر فهناك عبيد يحملون لقب فقراء وهناك أغنياء لكنهم فى الواقع والحقيقة أباطرة، كل هؤلاء

أحفاد الفراغة لكن الحكام على طول الزمان فرقوا فى التوزيع العادل لخير هذا الوطن، كان الكثير من أبناء مصر يحيا على هامش الحياة ، يسد رمقه كل يوم ببعض لقيمات حصل عليها من خلال طابور خبز كرية الطعم والرائحة ورغم هذا فهو سعيد بمضغه محاولاً التأقلم على تذوقه هو وأولاده فليس أمامهم البديل، هذا الرغيف ذو الخمسة قروش الذى يُصبح ويُسمى به الحكام على فقراء مصر يمن عليهم بأسلوب عملى أنكم لا تساوون فى نظرنا إلا هذا الخبز والبديل أيها الفقير رغيف خبز حلو المنظر والطعم لا يقل ثمنه عن جنيهه، ورغم هذا كان هناك فارقاً كبيراً يتحمله فقراء مصر للحصول على هذا الخبز لرخص ثمنه.

كانت ابنتى لمياء من ضمن عناصر شباب تلك الثورة ، ذات مساء وبعد أن انتهت من أداء يوم عمل شاق فى الشركة التى تعمل بها، أقبلت نحوى وجلست قريبة منى وبعيون تكاد الدموع تقطر منها تحدثت معى فى مشكلة علمت خباياها من صديقة لها تعرفت عليها منذ عدة أيام، مشكلة الصديقة التى ترملت لوفاة زوجها الذى يعمل ضابط مهندس بقسم المفرقات بسلاح المهندسين المصرى بعد أن ترك لها طفلان صغيران.

تدور المشكلة حول كيفية إنهاء الصديقة لتشطيب الفيلا الصغيرة التى تقاسم الزوجان إخبار ثمنها من إحدى الشركات الخاصة وقيام أحد المقاولين بإقناعها بالقيام بتشطيب الفيلا على أحسن وجه وبأقل تكلفة، إقتنعت الدكتورة ايناس صديقة ابنتى بعرض المقاول وبدأ فى عملية التشطيب بعد أن حصل منها على مبلغ كبير كمقدمة لعملية تشطيب الفيلا رغبة منها بأن تقيم بها مع أطفالها وموقع الفيلا قريب من أماكن تواجد المدارس الخاصة التى يدرس بها هشام بالمرحلة الإعدادية والحضانة التى يحبو نحوها هيثم الابن الأصغر والذى لم يكمل عامه الرابع بعد.

تبين للدكتورة ايناس أن الرجل لا يقوم بواجبه وأنه يماطل ويسوف فيما يقوم به ولهذا فإن ابنتى طلبت منى مساعدة صديقتها فى علاج تلك المشكلة مثلما قمت بإنهاء تشطيب شقتها الحديثة بالقاهرة الجديدة، تحدد موعد ولقاء مع صديقة ابنتى وعلمت كل ما يقابلها من مشاكل ووافقت على تقديم يد المساعدة لشعورى بإنها أرملة شهيد الواجب وإبنة أحد المحاربين الأفذاذ خلال حروب مصر مع إسرائيل وأيضا بإقناع من زوجتى وابنتى.

بدأت القيام بما يجب على القيام به كأنها ابنتى وسارت الأمور على ما يرام رغم صعوبة العمل فى هذا المجال سىء العمالة من جهل فى العمل وعدم إتقانه كما وضعت يدى على معدات ولوازم تشغيل وخامات من المقاول خرب النمة إستعواضا لما دفعته أرملة الشهيد من أموال قبل هذا.

الزيارة الهامة

مساء أحد الأيام عُدت من منطقة الفيلات التي أقوم فيها بمساعدة السيدة (إيناس) صديقة ابنتي، ومثل كل يوم كنت أجرر أقدامى وأسير الهويانا من المجهود الذي بُذل وقد تغبرت ملابسى، وكما إعتادت زوجتى بأن تمسبقتى للحمام تحمل ملابس نظيفة لأحصل على حمام ساخن استعيد بعدها جزء من نشاطى وحيويتى، بعد أن تناولت طعامى جلست أتحدث مع زوجتى كعادتنا كل مساء وأخبرتتى بأن الدكتورة إيناس إتصلت بها عصر اليوم وأخبرتها بأنها سوف تأتى مع والدتها السيدة (فريال) مساء الخميس بعد باكر لقضاء بعض الوقت معنا وسيرافقها اطفالها هشام وهيثم.

كانت سعادتى كبيرة .. فسوف أشاهد الطفلين الذين حُرما من والدهما الذى يحيا الآن فى جنة الخلد، أفكر بعيداً وسرحت ببصرى فى أحوال الطفلين الذين تشرفا بأب شهيد وما أعظم مرتبة الشهيد كما ذكره الله تعالى فى كتابه الكريم وأيضاً رسولنا المصطفى، إستكملت زوجتى الحديث بأن إيناس أخبرتها بأن والدتها تمر بوعكة صحية تمنعها من الخروج نظراً لأنها تلاقى مشاكل صحية أثناء السير على الساقين ورغم هذا صممت على القيام بتلك الزيارة تعبيراً منها عن إمتنانها وشكرها لما أقوم به مع ابنتها فى تشطيب الفيلا.

جاء الموعد المحدد لزيارة السيدة (فريال) والدة إيناس .. كنت أنتظر تلك الزيارة رغم اشغائى على والدتها لتوعك صحتها لكنى كنت فى شوق لرؤية الطفلين، رن جرس الباب ايذاناً بوصول الزائرين المرتقب وصولهم، أسرعت زوجتى وفتحت الباب وشاهدت السيدة فريال والدة الدكتورة إيناس تجلس على

كرسى متحرك وتدفعها ابتتها وخلفها الطفلان، تبادلـت السيدات القبـلات والحديث الباسـم الضاحـك الدافئ بينما أسرعـت لمصافـحة الطفلين وتقـبيلهما وأمـسكت الطفلين كل واحد منهما بيد ودخلت بهما إلى داخل الشقة إلى أن ينتهى الإستقبال الرسمى بين السيدات الذى علا صخبه وإرتج المنزل الهادئ بسماع الضحكات النسائية التى دائما ما يتخللها الحديث.

جلس الجميع وهشام الأكبر عمراً هادئ البال بينما تجول شقيقه هيثم الأصغر يستكشف ما يحيط به ويعبث بهذا أو ذاك حتى عثر على بعض ألعاب تخص أحفادى فأنهمك فى اللعب بها ونسى من حوله تماماً بينما كان الأكبر يتحدث معى ببعض الكلمات ويغلب عليها طابع الأسئلة وأجيب عليه بل وعرضت عليه بعض رواياتى فأعجب بها كثيراً وتخيرت أصغرها حجماً وأهديته إياها.

تتأثرت الأطباق والأكواب وتبادلـت السيدات وصف بعض الأكلات واختلفوا قليلا واتفقن كثيراً فى كيفية إعداد الطعام والحلوى وبعد أن هدأت الأحاديث وجهت لى والدـة إيناس شكرها وتقديرها :

- أسامة بك .. هل تعلم أن والدى جد إيناس (الأمير لاي حشمت بك السرجانى) رحمه الله كان ضابطاً بالحرس الملكى ثم إحيل إلى التقاعد بعد قيام ثورة يوليو 52 وأن زوجى (المرحوم خالد شوقى) كان لواءً بالجيش المصرى وعاصر حروب مصر فى اليمن وسيناء عام 1967 وحرب الإستنزاف وحرب النصر والتحرير عام 1973 وحصل على نوط الشجاعة من الرئيس محمد أنور السادات.

كانت تلك المعلومات جديدة على .. قدمت شكرى لها ولأسرتها التى تحمل الطابع العسكرى الذى ينم عن وطنية مصرية عالية خالصة وأستكملت معزوفة الوطنية بإقتران ابنتها ايناس بهذا البطل العظيم صاحب المكانة العليا عند الله الشهيد العقيد مجدى (والذى رقى إلى رتبة العميد بعد إستشهاده) طغى على الحديث والتفاعل فى حب الوطن وتبادل مآثر هؤلاء الرجال.

أخرجت السيدة من حقيبة يدها لفافة من الأوراق ومدت يدها لتناولها لى، نهضت لتسلمها ولكن ايناس كانت أسرع منى خطى وأمسكت بلفافة الأوراق وأقبلت نحوى تسلمها لى بينما السيدة قريال والدتها تردد وتقول :

- الورق ده إقراه على مهلك .. دى مذكرات كتبتها عن بابا وجوزى الله يرحمهم ولما عرفت أنك كاتب وأديب جيبتهم لك يمكن ينفعوا تكتب عنهم وهم بجوار الخالق عز وجل ويمكن بكتابتك عنهم أنك تعطر سيرتهم ببعض كلمات طيبة مثل ذكرى الشهيد مجدى والد هشام وهيثم .

هبطت من عينيها بعض دموع سريعة وكادت ابنتها ايناس تلتحق بها لولا أن تماسكت فى آخر لحظة وهى تنتظر نحو أطفالها، لقد تنبه الطفلان لإسم الأب مجدى، سكن الطفل هشام بعد أن علت وجهه الأبيض البرئ حمرة الألم والضيق بينما ظل الصغير يلهو باللعب بعد أن نظر نحو جدته حينما نطقت اسم والده.

انتهت الزيارة الطويلة فى دقائقها بينما كانت قصيرة خاطفة للرقعة التى لحقت بها والتى عطرت باسم الشهيد مجدى وابنيه هشام وهيثم.

ودعنا السيدتين وهبطت لمراقبتهن حتى باب السيارة حيث كان السائق فى إنتظارهما، عاوت ايناس أمها على النهوض من فوق الكرسى والجلوس بداخل السيارة بينما أسرع السائق بطى الكرسى ووضع به بحقيبة السيارة الخلفية وأسرع الطفلين للجلوس بجوار السائق وأشار لى الجميع بتلويح الأيدى علامة التحية رغم ما تبادلته السيدات أمام باب الشقة من أحاديث وقبلات وكان المهندسين الذين صمموا الشقق السكنية بمصر قد أعدوا العدة لهذا الغرض ومن أهمها وقوف السيدات أمام باب الشقة والتحدث وتبادل العناق والقبلات لهذا خططوا لأن تكون المساحة الفاصلة بين الشقق متسعة للمساعدة على إمتاع السيدات بتلك الهواية.

بعد وداع السيدتين والطفلين جلست مع زوجتى نتحدث بعد أن أصبحنا بمفردنا، فأبنائى وبناتى خارج الوطن كل يعمل ويعيش ويأتون إلينا فرادى كل عام أو أكثر لقضاء بضعة أيام معنا ثم يعودون أدراجهم لموطن معيشتهم وعلمهم المستديم، شعرنا بالدفء من تلك الزيارة كما تأثرنا من دموع الأم والجدة على فراق زوج ابنتها التى مازالت فى ريعان شبابها بينما إستبدلت زوجتى الحديث معى بأننى محظوظ حيث جاء لى هذا الحدث بفكرة جديدة للكتابة بعد أن تركت السيدة (فريال) والدة السيدة (ايناس) المذكرات التى كانت تحملها أثناء الزيارة والتى أوجزت بما تحويه.

كانت ترغب فى حديثها معى بالكتابة عنهم، تلك المذكرات شاملة لشخصيات كثيرة، وملخص عن ذكريات حشمت باشا السرجانى والدها وأيضا مذكرات زوجها البطل اللواء خالد شوقي وما حدث له خلال حربى 1967 و 1973 .. لقد كانت السيدة من الذكاء والبراعة فى ترتيب تلك المذكرات ترتيباً تاريخياً وأعتقد أن عملها بالتحريير فى جريدة شهيرة مثل جريدة الأهرام قد أفادها كثير ... **المؤلف**

البداية من الماضي

فريال السرجاني :

تفتحت عيوني على مناظر جميلة تحيط بي من كل جانب، وهمست في أذني كلمات رقيقة مازالت تطن فيها وتنعش ذاكرتي من رقتها وعذوبتها، وبمضى الأيام والأعوام تمتعت أنفى بروائح الأزهار والبرفانات الجميلة ومع نمو جسدى نما عقلى وعرفت أن الرجل الذى يقف أمامى وألقبة بكلمة (بابا) هو الصاغ حشمت السرجاني الذى يعمل ضابطا بالحرس الملكى، كنت العب وألهو وأشعر بالسعادة والحب من المحيطين بي من كل جانب.

التقطت أذنى أسماء لبعض البنات الجميلات اللانى كنت ألهو معهن، كان الاسم الأشد تركيزاً هو اسم فريال أو الأميرة فريال وكان الجميع يتحدث معها بالانجليزية فكنت دائما اسمع (Princess Farial) بالإضافة إلى باقى أسماء شقيقاتها وهن (فادية) و (فوزية) وبالطبع كان يسبق اسم كل واحدة منهن لقب (Princess) والقليل من الخدم والوصيفات كن يرددن لقب سمو الأميرة.

رغم حداثة عمرى إلا أننى كنت أشعر بأن هناك فارق بيننا فى التعامل لأننى لم أسمع أى من العاملات فى القصر والذين يحيطون بنا أثناء اللعب واللهو حينما أكون بصحبة أمى ينادوننى سوى بكلمة مداموزيل (فريال) أو فريال الصغرى فالأميرة فريال أكبر منى عمراً بحوالى خمسة اعوام وعلمت هذا فيما بعد.

كانت الأميرات الثلاث غاية فى الرقة والجمال، كن عبارة عن زهرات ثلاث تتحرك بالقرب منى نضحك ونلعب معاً وكانت سعادتهن واضحة حينما تشاهدننى

أغادر سيارة الحرس الملكى المهداه لوالدى من القصر كى تستخدمها العائلة أشاهد الصديقات الثلاث وهن يحطن بى من كل جانب وتسرع الأميرة فريال بتقديم الحلوى الجميلة لى.

أحد الأيام جلست مع صديقتى الثلاث نلهو ونضحك بحديقة قصر القبة وشاهدنا قدوم كل من والنتى وجلالة الملكة فريدة كما كان يلقيها الجميع بما فيها أمى التى كانت حينما تلقاها تتحنى لها ثم تعتدل لتلامس الأكف برقة والخدود بلمسات الهواء باطراف زهرة الياسمين فى لحظة صيف العصارى قريباً من صفحة النيل بالقرب من عمارة والدى حشمت بك بحى جاردن سيتى الرائع.

حاولت والدتى أن تعلمنى وتدريبنى على كيفية التعامل مع الأميرات سواء بالأنحاء أو الإبتسام مع إضافة كلمة سمو الأميرة لكل واحدة منهن ولم أستطع فى بداية الأمر تنفيذ هذا وشعرت أن أمى ينتابها الضيق من هذا واعتقد أنها أخبرت والدى بتلك المشكلة، فقد جاء يلاعبنى بعد أن إنتهيت من دروس المدرسة وسألنى لماذا لا ألقب كل فتاة باسمها وتحيرت ولم أستطع أن أجيبه وحينما كرر سؤاله أخبرته بأننى أفعل وأقول فريال وفوزية وفاديه مثل ما يلقبونى بفريال الصغيرة.

ضحك أبى وهو يردد : هن أميرات ووالدهن الملك .. تفهمت بعض ما قال وعلمت لأول وهلة أننى لست مثلهن، كانت الزيارة التالية بعد تلك النصائح الغالية غاية فى الارتباك حيث لم أستطع نطق كلمات سمو الأميرة جيداً وضحكت الصديقات وهن يقبلننى مرددات نحن صديقات ولا توجد أميرة أو خلافة وحضر على أصوات الضحكات والصياح والدتهن بصحبة أمى وخلفها تسير إحدى الوصيفات وحينما تساءلت عما حدث أخبرنها بما قلت.

شاهدتها تنتظر نحو أمى نظرة هادئة علمت بعدها أن تلك النظرة يُطلق عليها نظرة العتاب بين الصديقات حيث قالت لها بصوت خفيض :

- ده يحصل بين الصديقات؟ سبق وقلت لكى يا صافيناز أن حياة القصور والبرتوكول بتضايقتى وعايظه أعيش زى باقى الشعب إالى أنا منه تقومى تفرقى بين الأطفال .. بلاش تكررى الحكاية دية وكفاية أنى موافقة تلقينى بجلالة الملكة رغم ضيقى منها لكن من أجل المظاهر والوصيفات أنا ساكتة على مضض.

أقبلت الملكة نحوى وقبلتنى وهى تردد :

- فريال الصغيرة الحلوة .. أنتم أصحاب وزى الأخوات .. أنتى فاكدة وأنتى صغيرة كانت فريال الكبيرة بتحاول تشيلك وكنا بناخدك منها لتقع بيكى على الأرض .. كل صحباتك تناديهن زى ما بينادوكى .. فريال .. فائزة .. فادية .. اتفقنا.

ابتسمت لها مرردة :

- اتفقنا (يا تانت فريدة)

أعادت تقبيلها لى وغادرت المكان بصحبة أمى وسرن لصيقات وتشابكت الأيدى القريبة.

استمرت حياتى تسير سيراً طبيعياً، فقد كنت الابنة الوحيدة لوالداى وكانت فترة العطلة من المدرسة ممتعة والتى أقضيها فى حدائق القصر وفى بعض الأوقات الحق بالأميرات فى الأماكن الجميلة التى تتبع الخاصة الملكية مثل استراحة

إنشاص والزراعات الخضراء والفلاحين البسطاء يعملون ويكافحون، وبالمثل فى قصر المنتزة بالاسكندرية وقصر رأس التين أما حين تسافر الأميرات خارج الوطن فلم نكن أنا وأمى نلحق بهن حيث والدى دائم العمل بالحرس الملكى والذى لم أكن أعلم عن طبيعة عمله أى شىء سوى ارتدائه للملابس العسكرية ومشاهدتى له يركب حصان أبيض جميل يتحرك به مع مجموعة من الحرس بين جنبات القصر.

فى بداية دراستى بالمدرسة ندرت زيارتى مع والدى إلى قصر الملك وبالتالى أصبحت لقاءتى بالاميرات شحيحة حتى انعدمت وكنت من حين لآخر أشاهد الحزن على وجه أمى عندما تختلى بنفسها أو يرن جرس التليفون وأعلم من حديثها أنها تحدث الملكة والدة صديقتى أو تانت فريدة.

إننتقل هذا العبوس والحزن الذى كان واضحاً على وجه أمى إلى وجه أبى أيضاً حينما يجلسان معاً يتحدثان همساً أثناء انشغالى باللعب مع قطتى الوحيدة أو حين سماع برنامج (بابا شارو) المخصص للأطفال والذى كنت أشعر بسعادة كبيرة حينما استمع للراديو ورغم تعدد أسئلتى لوالدى عن رغبتى بزيارة صديقتى الثلاث إلا أنها لم تلبى لى تلك الرغبة.

أقبلت السيدة التى كانت تعمل فى شئون المنزل تخبرنى بأن صديقتى (فريال) ترغب بالحديث معى، كانت تلك المرة الأولى التى يطلبنى أحد لمحادثة تليفونية خاصة بى، أسرعت خلفها حيث مكان جهاز التليفون وأسرعت السيدة بأن ناولتنى سماعة التليفون وحينما تحدثت قائلة :

- أيوه .. أنا فريال حشمت .. سمعت صوت طفلة من الجانب الآخر تتحدث :

- إزيك يا فريال .. أنا فريال فاروق.

- أهلا فريال .. إنتى فين .. بأسأل ماما عنك كثير وعن فايزه وفادية وطلبت منها إننا نروح لكم القصر وأنا معملتش حاجة وحشه عشان تحرمنى من زيارتك.

- معلش يا فريال .. خدى كلمى فايزة .

هكذا ظللت أتحدث مع الصديقات الثلاث لفترة طويلة وكانت والدتى تقف قريباً منى وتنتظر نحوى وأشاهد ما سبق أن شاهدته من ضيق وحزن حينما كانت تتحدث مع أبى همساً منذ عدة أيام، أخيراً بكل هدوء أخذت أمى التليفون وتحدثت مع صديقاتى الثلاث ثم سمعت صوتها حانياً ثم بلكيا وهى تتحدث :

- ربنا معاكى يا مولاتى .. متزعلش .. ربنا ميعملشى حاجة وحشه للناس الطيبة إلى زيك .. وكلام كثير مثل هذا.

مضت الأيام طويلة على حالى ولم أعد أشاهد القصر وإستبدلت اللعب مع صديقاتى الثلاث مع بعض البنات فى مثل عمرى حينما كنت أصعب والدى ووالدتى إلى نادى الضباط بالزمالك، لم أنس صديقاتى الثلاث وأثناء الحديث مع بنات الضباط بالنادى علمت من أحدهن أن صديقاتى الثلاث الأميرات لن أشاهدن بعد ذلك لأن والدهن طلق (تانت) فريدة وتزوج من (ناريمان).

عُدت للمنزل وأنا فى حالة نفسية سيئة لم أخرج منها إلا حينما دخلت حجرتى وبكيت كثيراً وأقبلت أمى تحاول أن تقلل من ضيقى موضحة أن الكثيرات يحدث لهن هذا ولم أعلم معنى الطلاق وحين أوضحته أمى ازداد حزنى على الصديقات

وعلى (ثانت) فريدة الطيبة الجميلة التي كانت تخطط لى بعض المناظر والصور بيدها ونحن جلوس بحديقة القصر واحتفظت بها تذكراً من أعز إنسانة عرفتھا بعد أمى.

الصاع هشام السلحدار :

كنت أعمل اركان حرب لقسم الخيالة الملكى تحت قيادة القائم مقام حشمت السرجانى .. بداية عام 1950 وكانت الأوضاع الداخلية فى القصر غير مستقرة خصوصاً بعد انفصال جلالة الملك المعظم عن جلالة الملكة فريدة منذ عدة أشهر وماحدث من ردود أفعال قوية بين طبقات المجتمع المصرى الذى أزعجه هذا الخبر حيث كان للملكة فريدة نصيب كبير من حب الشعب وتقديره لما تقوم به من خدمات للعديد من طبقات الشعب المصرى وخصوصاً الطبقات الفقيرة.

لم نكن ندرى نحن العاملين فى القصر مدى حب الشعب للملكة، كان تأثير الصدمة واضحاً على النساء ولهذا تعددت الجمعيات النسائية التى ترفض مثل تلك التصرفات وألقت باللوم على الملك، لقد كان تصرف الملك بانفصاله عن الملكة له تأثير سلبى مما دفع بعض رجال الصحافة والفن إلى إلقاء التهم على الملك ووصفه بأوصاف تسيئى لآى إنسان وبدأ أن هناك دلو من الفضائح النسائية قد ألقى على الملك عمداً لأن كل ما قيل عن الملك بعد هذا لم يكن حقيقياً.

ما أصاب الملك وأسرتة أصاب القائم مقام حشمت نظراً للصدقة الوطيدة بينه وبين الملك وبين الأسرتين والتى لم يكن الملك يسمح بها إلا لأسرة سيادة القائم مقام

لخلقه الرفيع وإعترازه بنفسه وعدم العدو خلف الملك حيث يحترم زيه العسكرى وأن الملكة فريدة تربطها صلة قريى بزوجه السيدة (صافيناز).

حضر إلى مكتبى الصاغ حسين الشافعى والذى كان يخدم فى الماضى تحت قيادة القائم مقام حين كان برتبة صاغ ووقتها إستقبل ثلاث ضباط حديثو التخرج وهم (الملازم حسين الشافعى) و (الملازم أحمد حافظ مظهر والذى إستشهد باسم أحمد مظهر وعمل بعد هذا بالفن) وأخيراً (الملازم هشام السلحدار) .. كانت فترة بداية عملنا بسلاح (الفرسان) أو (المدرعات) حالياً نعتبرها من أهم وأسعد فترات حياتنا نحن الثلاثة وكنا جميعا نكن له كل تقدير وإحترام مع باقى الكتيبة لما يميزه من انضباط عسكرى وأيضا حمايته للضباط من توقيع أى جزاء أو عقوبة من مدير سلاح الفرسان وقتها.

جلس معى زميلى حسين الشافعى والذى كان يميزه خلق رفيع يغلفه طابع دينى وسطى وتساءل بأن ما قام به الملك أصاب وحدات الجيش بالصدمة وأيدت قوله بل أخبرته بأن زميلنا أحمد مظهر زارنى بالأمس بمنزلى وأبدى ضيقه من هذا السلوك مضيقاً بأن الألسنة بدأت تلوك سيرة الملك الشخصية.

مضت الأيام بطيئة حزينة ورغم محاولة الملك إظهار السعادة أمام الشعب بزواجه الثانى من (ناريمان) ثم خبر حمل الملكة وفى النهاية إنجابها للأمير أحمد فؤاد إلا أن الشعب مازال يحمل حزناً دفيناً ضد الملك وفى نفس الوقت يكن حبا قويا نحو الملكة السابقة فريدة، كنت أتوقع حدوث شىء غير طبيعى فى مصر فى أعقاب هجوم الإنجليز على رجال البوليس بالإسماعيلية ثم حريق القاهرة.

لم أفاجأ بحركة ضباط الجيش ضد الملك .. فكل هذا كان متوقعاً .. وبالفعل فى اليوم التالى لإعلان تنازل الملك عن العرش شاهدت القائم مقام حشمت يجلس بمكتبه شبه فاقداً للوعى وحينما شاهدنى أشار إلىّ بالعدو نحوه وفعلت وطلب منى أن أقرب منه وقال لى مخاطباً :

- صاغ هشام

- أفندم سيادة القائم مقام

- الورقة دى فيها إستقالتى ونزلها فى دفتر أوامر قسم الخيالة الملكية.

- أفندم .. ملوش لازمة دلوقتى.

- معدتش ح أقدر أخدم فى الجيش بالوضع ده.

- كلنا زيك يا أفندم .. لكن ميجبشى نظهر لضباط الحركة إننا بنكرهم .. ممكن ينتقموا منا.

- أنت شايف كده

- أيوه يا فندم

قطع علينا هذا الحديث هرولة أحد جنود الحراسة وهو يودى التحية العسكرية للقائد ويخبره بان بعض الضباط راغبون بلقائك، أشار لى القائد بإستقبالهم، خارج

المكتب، شاهدت إثنان من الضباط لا أعرفهم بينما شاهدت زميلي حسين الشافعي الذي إقترب مني متحدثاً بهدوء.

- هشام .. أنت عارف مقدار حبي لسيادة القائم مقام لكن مجلس قيادة الثورة إللى تشكل امبارح قرر احالة عدد من الضباط للتقاعد ومن بينهم سيادة القائم مقام ورجوتهم بأن أقوم بإبلاغه بهذا القرار إحتراماً لقيادته وأرجو أن تمهد لهذا الخبر وألا تجعله صعب التنفيذ فحالتي النفسية سيئة لكن الثورات تحدث بها تجاوزات.

كنت أستمع لحديث زميلي حسين الشافعي صاحب القلب الطيب والمهذب والذي يحمل بين جنباته كل تقدير وإحترام لقائده السابق وما علمته منذ يومان بخصوص إحالة العديد من القيادات بالجيش والبوليس للتقاعد وأيضاً بعض الشخصيات السياسية قد أثر في نفسي للأسلوب العنيف والخالي من الذوق في تعامل الرتب الأدنى من ضباط الثورة مع الرتب الأرقى وكأنها تصفية حسابات سابقة أو عُقد نفسية من أثر العمل الوظيفي.

بعد الإستئذان دخلت على القائد كي أخبره لكنني وجدته يقف خلف مكتبه وقد أمسك بمسدسه وصوبه نحو رأسه إستعداداً للضغط على الزناد فأسرعت إليه رافعا صوتي راجيا منه بحق الإبوة ألا يحرم فريال منه، صمت وإرتعشت يداه وسقط المسدس من يده وفي تلك اللحظة دخل الصاغ حسين الشافعي كرد فعل على ندائي وأقبل نحو قائده يقدم له الإحترام ويهدد على ظهره ويخبره بإتنا جنوده وأبناءه ولن تطاله أى إهانة.

نظر إلينا سعادة القائم مقام وخرجت بعض دموع التأثير من عينيه وردد بعض كلمات حيث كان يتلغثم مخاطباً الجميع :

- شكرا أبنائى الضباط .. شكرا وربنا ما يضعكم فى موقف زى بتاع النهاردة .

إنحنى حسين الشافعى عليه يحدثه بكل أدب ورقة :

- أفندم .. استطعت إقناع مجلس قيادة الثورة بمنحك الترقية التالية ولهذا فقد صدر قرار الإحالة للتقاعد بالرتبة الجديدة .. سيادة الأميرلاى .. الجيش المصرى يقدم لسيادتكم كل شكر وتقدير على خدماتك للوطن ولقد أصبحت منذ هذا اليوم الثامن والعشرين من شهر يوليو لهذا العام 1952 خارج الخدمة وفى حالة التقاعد وتحصل بموجب قانون خدمة الضباط على كل حقوقك كاملة.

كان سيادة الأميرلاى يستمع لكل ما يقوله حسين الشافعى الذى طلب من الضباط المصاحبين له بالحضور وبعد أن إنتهى من حديثه نادى على الضباطين بكلمة (هُب) بعدها قدم الثلاثة التحية العسكرية الواجبة للقائد الذى نهض واقفاً وبادلهم التحية وبعد الإنتهاء طلبوا الإذن بمغادرة المكتب فسمح لهم وساروا للخلف بظهورهم زيادة فى تقديم الاحترام للقائد الذى أنهيت خدمته.

لقد إنتهى حديثى الذى كتبته للزمن وطلبت من زوجتى حين تقوم بزيارة السيدة صافيناز زوجة الأميرلاى حشمت أن تسلمها تلك الأوراق كى تحتفظ بها بعيداً عن عيون الآخرين ولقد قمت بزيارة سعادة الأميرلاى بعد مضى عشرة أعوام على تلك الواقعة تنفيذاً لوصية زميلى حسين الشافعى الذى حزننى من التقرب من أى قائد

سابق مشيراً بأن مجلس قيادة الثورة يضم بعض المتهورين والمندفعين أمثال صلاح وجمال سالم أعضاء مجلس قيادة الثورة.

لم يمثل لهذا القرار الزميل السابق احمد مظهر معتقداً بأنه أصبح بعيداً عن المسائلة لأنه خارج الخدمة منذ فترة ويعمل بالفن ولهذا قام بعدة زيارات لسعادة الأميرالاي وعلم رجال مجلس قيادة الثورة بهذا وأخبروا رئيس المجلس جمال عبدالناصر الذى طلب حضور أحمد مظهر إلى المكتب وطلب منه الألتزام بما صدر مضيفاً فى تحذيره بأنك تعلم بأننى أقدرك لأنك دفعتنى فى التخرج بالكلية الحربية ولهذا أرجو أن تحترم ما صدر من قرارات للمجلس وأوعدك أنه بعد مُضى فترة زمنية سوف نلغى كل تلك القيود.

أتقدم بكل تحية وتقدير لجميع القادة الكبار الذين دفعوا الثمن الفادح لحركة الضباط الأحرار مثلما دفعتها بانتهاء خدمتى بالجيش ونقلى لعمل منى كرهته وتركته وجلست فى بيتى أرعى ما يملكه أبى من الأراضى الزراعية وظللت حافظاً على العهد مع سيادة الأميرالاي حشمت وكنت أستقى أخباره من زوجتى حينما تقوم بزيارة زوجته وبعد أن توفاه الله استبدلت أخباره من الدكتور كمال شوقى جاره فى السكن حتى رفع جمال عبدالناصر الحظر على زيارة كل من خضعوا للتطهير كما قيل وقتها .. لقد كنا أقذارا ولهذا وضعونا فى المطهرات والحمد لله سوف نلقى الله أطاهراً.

ظالم

سارت الحياة بنا كما قدر لها وإلتفت جموع الشعب خلف زعيم الثورة جمال عبدالناصر ولم يعلم الغالبية من شعب مصر أنهم قد ساروا يؤيدون قرارات أصدرها مجلس قيادة الثورة والتي تصدر الممتلكات والحريات الشخصية وأهانت الكثير من أبناء مصر الوطنيين والذي كان كل جرمهم وذنوبهم أنهم من عائلات تكافح وتعمل ولم تجلس على أجناب الطرق تتسول .. لقد ذهب جهد وعرق المكافحين إلى الكسالى والمتخلفين من أبناء مصر، هكذا حرمت الثورة مصر والمصريين من العناصر الناجحة المشرفة وإستبدلتهم بأصحاب الحناجر القوية التي تؤيد كل قرار يساعدهم على الإستمرار فى كسلهم وتخلفهم.

كنت إحدى بنات تلك الطبقة، فقد شاهدت أبى الذى كان يجلس كثيراً بالمنزل تجنباً لنظرات البعض من الذين نعرفهم ويعرفوننا بعد أن تبدلوا وإبتعدوا عنا، بل من إبتعد كان أرق وأرحم الناس بحالنا، أما من كانوا يتعمدون الإهانة فهم من الكثرة حتى وصلت الإهانة لى شخصياً وأنا طفلة صغيرة لا أعلم من أمور الدنيا شيئاً.

علم (أونكل مظهر) أو الفنان أحمد مظهر بما يحدث لنا حينما يحضر لزيارة والدى من ترفق الناس بنا وقلة الشامتين، ولهذا ضرب بعرض الحائط كل تحذيرات زميله جمال عبدالناصر ولم يمس على ما شاهده وعلمه أثناء لقاء أسرته مع عائلتنا حتى إتصل بنا أونكل حسين الشافعى وتحدث مع والدى بضع دقائق وعلمت بعدها أنه سوف يأتى فى الغد لزيارتنا.

شاهدت نظرة الأمل والحياة فى عيون أبى والتي ضاعت بعد قيام الثورة من قسوة الناس والمعارف والأهل بنا والذين كنا نشاهدهم فى السابق قبل قيام الثورة يكاد المرء منهم أن يسجد لوالدى حين الزيارة بل كنت أشعر بأن أفواههم سوف تتمزق من البسمة السعيدة التى يلصقونها على أفواههم، جاء حسين الشافعى بموكب كبير وتساءل الناس من يكون هذا الشخص وأجاب مرافقوه وأعتقد أن هذا كان بايعاز منه بأنه حسين الشافعى عضو مجلس قيادة الثورة جاء لزيارة قائدة السابق كى يسأله النصح فيما يقوم به رجال الثورة.

بالطبع بعد تلك الزيارة وضعت محافظة القاهرة الشارع الذى نسكن به من ضمن أولوياتها وأصبحت عربة رش المياه والنظافة تقوم بالرش بعد كل وجبة وأصبحت جماهير الشارع بل والحي تنتظر أن نهل عليهم بوجهنا البهيج المشابه لوجه القمر بعد أن سمعنا بأذناننا أن وجوهنا باهتة قبيحة، أقبل الأقارب للزيارة وأقبل البعض راغباً بالنسب رغم أننى مازلت أدرس بالجامعة وتحول نشاط الكلية التى أدرس بها إلى كل ما يخص فريال حشمت وطالبنى الطلبة والطلبات بالترشح لعضوية إتحاد الطلاب وشعرت بأن نتائج المذاكرة قد تضاعفت درجاتها رغم أن الجهد مازال كما هو.

خلال الفترة السابقة كانت رسائل تانت (فريدة) تصل ليد أمى عن طريق إحدى السيدات اللانى كن يعملن بالقصر خلال فترة حكم الملك .. تلك السيدة كانت تركية الجنسية تعمل بسفارة بلدها بالقاهرة وكثيراً ما كانت تسافر للخارج أو لبلدها فكانت تلتقى بالملكة فريدة تحمل رسائل منها لأمى وفى بعض الحالات تحمل رسالة أو بعض الصور من أمى لها وتلك الصور كانت تخصنى.

أحد الأيام سمعت أمى تقرأ الرسالة التى وصلتها من (تانت فريدة) حيث كانت ترغب بأن يسمع أبى جزءاً منها وهذا شىء نادر الحدوث حيث كانت أمى تخبرنا بمجمل الرسالة وبأخبار الأميرات الثلاث .. سمعت أمى تبكى وهى تقرأ مقدمة لأغنية المطرب المغمور الذى ظهر حديثاً عبدالحليم حافظ :

ظالم ... وكمان رايح تشكي لا ده انت كان حقك تبكي

ظالم...

تأثرت كثيراً من مقدمة الأغنية التى كنت أستمع لها فى السابق بسعادة ولم أكن أعلم أن البعض يعانى الظلم رغم أننا كاسرة قد جربنا تجاهل البعض وجود آخرين .. لكن خارج الوطن وخلال الغربة يصبح كل شىء مؤلم حزين .. ظلت أمى تقرأ مقتطفات الخطاب لأبى الذى طلب منها الكف فقد أعياه الضيق والظلم لبنى الانسان .. كان خطاب الملكة فريدة يعبر لأمى بأسلوب رقيق بعيداً عن الضرب على مشاعر العطف والثناء كيف تواجهه هى وبناتها مشاكل الحياة فى الغربة وكيف أن اينتها الكبرى فريال تقوم بالعمل كسكرتيره بإحدى الشركات ...

أعتذر عن عدم الخوض فيما سمعت لكنى علمت أمرين هامين :

الأول : أن الملكة فريدة وبناتها الثلاث صديقات الطفولة يعشن على الكفاف وأنهن جميعا يتمسكن بكل إحترام للنفس ولن تدنى أى واحدة منهن نفسها لطلب العفو والغفران والصفح ممن يحكمون مصر.

ثانياً : أن من قاموا بثورة يوليو 1952 بغرض نهضة الشعب المصرى داسوا سواء بقصد أو دون قصد على أحياء وأذلوا أعزة قومها لحقد طبقى يحملونه ضد الأغنياء أو ميسورى الحال ممن عملت أجيال وراء أجيال بأسرهم حتى يصبحوا على هذا الحال وجاء هؤلاء وحرموهم من نتائج مجهود الأباء والأجداد.

رغم حبى لشخصية جمال عبدالناصر مثل أبناء وبنات جيلى إلا أننى كنت فى حالة من الضيق النفسى الشديد لما أسمعه من بعض كلمات من أمى وأيضاً لما لحق بنا أعواماً بعد إعفاء أبى من مهام عمله ولولا وجود الضباط الثلاثة الذين عملوا معه فى مستهل حياتهم العسكرية وما قدموه من دعم أدبى ومعنوى لأصيب أبى بأمراض نفسية وتدهورت حالته الصحية.

كانت قمة الظلم التى تعرضت لها أسرة الملك فاروق هى وفاته غير الطبيعية أو غير المنطقية لكن أشد ما ألمنى هى الأحزان التى بثتها جلالة الملكة لأمى فى الخطاب بعد وفاته حيث كانت تحمل له كل حب ووفاء فهو الأب لبنتاتها الثلاث وقد تشرد الجميع فى الغربة فبعد أن كان ملكاً لمصر والسودان نزع منه أبناء الوطن كل هذا وألقوه فى غياهبات الدول الأوروبية يفتات من فضلاتها ولم يشفع له عمل أجداده الذين نهضوا بمصر بعد أن تدهورت أحوالها تحت حكم السلاطين والخلافت الإسلامية البائسة الفاشلة.

أحزان الكبار :

اقترب عام 1965 من المنتصف وقد قاربت على نهاية دراستى الجامعية، رغم سعادتى بهذا الحدث إلا أن شعوراً خفياً كنت أترقب حدوثه نظراً لما أشاهده وأشعر

به من حولي، لقد ساءت الحالة الصحية لأمي وبدأ المرض يهدد حياتها ورغم عرضها على مستشفى العائلات العسكري إلا أن تلك المحاولات لم تجدى نفعاً، لقد كانت أمي تردد بأنها لن تفيق مما حدث لها إلا بمشاهدة الملكة فريدة مرة أخرى وكان هذا الأمر في منتهى الصعوبة.

كان الطبيب المجاور لنا الدكتور شوقي وزوجته السيدة سميحة الذين تميزا عن باقي البشر بالإنسانية العالية قد تخرج ابنهما (خالد) من الكلية الحربية منذ ثلاث سنوات ودفع به إلى معركة اليمن حامية الوطيس مع عشرات الآلاف من الشباب المصري وبعد قضاء عدة أشهر أصيب بإصابات بالغة في إحدى المعارك إستتبع عودته للقاهرة للعلاج وبعد قضاء فترة علاج بالمستشفى العسكري تقرر سفره إلى النمسا لإستكمال علاجه الطبيعى من أثر الإصابة.

لقد حزنا عليه حزنا كبيرا، فهو شاب وسيم قوى البنية تحيط به أخلاق كريمه وصفات إنسان يتمتع بخلق رفيع ولم أسمع فى يوم من الأيام أن أحدا تبرم من تصرف قام به رغم إننى كنت أصغر منه بعدة أعوام بل كنت أشعر بحب أخوى نحوه لفقدى للإخوة بعد أن نشأت وحيدة والدائى.

سافر جارنا الضابط خالد إلى النمسا وكنت أشعر بأن الطائرة لم تحمله بل حملته أجنحة وقلوب دعوات المحبين من الأهل والأصدقاء والزملاء، كان الجميع يَتمنى أن يشاهد خالدأ يسير مفروود القوام كما فى السابق فقد أثرت الإصابة على الأوتار فأصبح يسير ببطئ وشبه منحني للأمام مما كان يدفعنا للتأثر والإشفاق عليه كما قللت من قوة ذراعه الأيمن أو الإعتماد عليه.

بعد سفر خالد بـعدة أشهر اقـترب العام الدراسى الجامعى على نهايته واقـترب موعد التخرج .. فى تلك الفترة أخبرنى والدى بأنه سوف يصطحب أمى ويسافر بها إلى مدينة أسوان لأن تلك هى رغبـتها حيث ترغب فى مشاهدة نهر النيل قبل أن يلوـثه البشر من المصريين مسافة الألف كيلو مثلما نـسافر للإسكندرية ونقف على الكورنيش هناك نستنشق عـبـير الهواء النقى القادم من الشمال من أوربا نقى وعفى.

بعد سفر والدى بصـحبة والدى بعدة أيام لمدينة أسوان كنت قد إنتهيت من أداء الإمتحانات وسوف أنتظر ظهور النتيجة بالقاهرة ثم ألحق بهما رغم أن والدى فى كل إتصال تليفونى كان يطمئننى على صحة أمى رغم أنها لم تتحدث معى مباشرة لأن مسافة السير للسنتـرال كى تتصل بالقاهرة سوف يصبح عبء بدنى كبير عليها.

صباح هذا اليوم ايقظتنى (زبيدة) التى تعمل بالمنزل وأخبرتـنى بمكالمة تليفونية وحين لاحظت لهفتى أدخلت الطمانينة على مشاعرى بأنها ليست من أسوان بل من سيدة من القاهرة تحمل خطابا لك.

توجهت للتليفون وتحدثت مع السيدة التى أثنت على شخصى وأخبرتـنى أنها تحمل خطاباً من الملكة السابقة فريدة، كانت سعادتى كبيرة وإتفقنا على اللقاء بسفح الهرم الأكبر ولهذا فقد حددت ساعة ويوم اللقاء، كنت فى منتهى السعادة حيث سأحمل لأمى خطاباً من صديقتها وحبيبـتها الملكة فريدة التى تمنى مشاهدتها كى تتحسن حالتها الصحية.

إقـترب التاكسى العتيق الذى أستقله من الوصول إلى سفح الهرم، نهاية مطلع سفح الهرم توقف السائق فأكثرـت له العطاء وهبطت أسير وأنظر فى كل إتجاه كى

أشاهد السيدة التى أو ضحت فى حديثها بأنها سوف ترتدى فستان شانيل بلون السماء الصافية وإيشارب أزرق تضعه على رقبتهـا على الجانب الأيمن، توقفت برهة حيث كنت ألهث من صعود المرتفع الشديد الذى يصل ما بين ميدان فندق (مينا هاوس) وسفح ربوة الهرم عالية الإرتفاع، شاهدت السيدة التى كانت تتفحص وجوه بعض المترددين على سفح الأهرامات.

أسرعت نحوها أصافحها وأعرفها بنفسى، قبلتتى وظلت لفترة تضع فمها قريبا من أذننى وتحذرني بأن على أن أتماسك، ثم نظرت فى عيوني تشيد بحسن الخالق وما أتمتع به من جمال ثم قالت فى شبه سؤال :

- عارفه أنا مين يا فريال؟ تخرجت لكنى أجبتها بالحقيقة :

- أسفه يا تانت

- أنا مامة البنت صاحبك إالى إسمها على إسمك أو إالى مامتك سمتك على إسمها.

شعرت بشبه دوار حيث عادت بى الذاكرة للماضى وأنا مازلت طفلة صغيرة حيث كنت أعلم من والدتى أو من الأميرة فريال أننى حصلت على إسمها .. وهذه السيدة التى ألامى أنظر فى عيونها الجميلة الهادئة وتقول أنها أم فريال .. أدقق النظر وأشخذ الذاكرة لأتبين هل هى لجلالة الملكة فريدة وقبل أن أنطق شاهدتها ترفع أصبعها للتحذير، لم أتمالك نفسى من البكاء وألقيت برأسى على صدرها وسمعت صوت نحيبى وكنت أشعر بها وهى تهدد على ظهرى مرددة :

- بلاش بكاء (ماى بيبي) ... على فكرة الحرس الخاص بى والمكلف من الحكومة المصرية يتابعنا .. تماسكى طفلى الجميلة.

بالفعل تماسكت وجففت بعض دموع سابقة ومنعت بعض دموع لاحقة كى تصفو عيوني لأنظر لتلك الشخصية الرقيقة التى أحببتها جموع شعب مصر من مختلف الطبقات والمستويات والأعمار .. ابتسمت لها مرحبة بها :

- مرحبا جلالة الملكة فى بلدك وبين شعبك.

- متشكر كثير فريال حبيبتي .. كل ما أشوفك أفكر بناتى الثلاثه البعاد عني وميشوفهمشنى إلا كل فترة .. كل واحد منهم مشغولة فى حالها وزوجها وبيتها .. المهم إزاي صحة الماما بتاعك؟

- لسه تعبانه وهيا مع بابا فى أسوان لأن جو أسوان جاف والطبيب نصح بكده.

- تعرفى يا فريال أنا جيت مخصوص عشان أشوف صافى (صافيناز).

- شكرا جلالة الملكة .. ماما ح تكون مبسوطه خالص.

- أعرفك بحاجه حصلت فى النمسا فى مدينة (فينا) العاصمة .. فيه ظابط شاب بيتلقى العلاج فى أحد مستشفيات فينا على حساب الحكومة المصرية .. أصيب فى الحرب إالى بتقوم بها مصر فى اليمن، الطابط ده عمل حاجه غريبه رغم أنى معروفش قبل كده .. مندوب من الرئيس عبدالناصر زاره فى المستشفى مع بعض الجرحى الآخرين .. فى نهاية زيارة مندوب الرئيس عبدالناصر سأل الطابط البطل

يطلب إيه تقوم الدولة بتحقيقه لك نظير بطولتك فى ميدان القتال، الظابط ده طلب منه طلب غريب.

- طلب منه إيه يا جلالة الملكة؟

- بلاش لقب جلالة الملكة .. إنتى زى بناتى .. قولى تانت أو ماما فريده .. ده أحسن لقب ويبقى لحد نهاية حياتى وأستحقه .. معقول كده؟.

- معقول ماما فريده؟

- الله .. جميل جداً .. كلمة ماما طالعة طعمها جميل زى كل حاجة فى مصر .. بوسه كمان لماما فريده.

- الظابط قال لمندوب الرئاسة .. ممكن سيادة الرئيس يسمح لجلالة الملكة فريده بزيارة مصر لأن فيه سيدة فاضلة مريضة جداً وتربطها بالملكة السابقة صداقة قديمة والسيدة قالت ليا لو شفت الملكة فريده ربنا ح يجيب الشفا .. أنا واثقة من كده.

- ياه يا ماما .. مين الظابط ده؟

- الظابط ده إالى كنت بأبعث جواباتى لمامتك على بيتهم لأبعد أى شبه أو مشكلة لمامتك.

- أيوه .. بس حضرتك كنتى بتبعنى الجوابات على عنوان طنط (سميحة) مرات الدكتور شوقى جارنا.

- أيوه .. الضابط ده ابنهم .. وإسمه خالد.

- ياه .. لسه يا خالد بتفكر فى ماما وعائز تسعدها .. ربنا يشفيك.

- بنت جميلة فريال .. خالد شاب كويس وأنا أختاره كزوج لك طبعاً إذا وافقتى.

- ماما فريده .. خالد ده أى بنت تتمنى أنه يرتبط بيها لشجاعته فى الحرب ووسيم
ومحبيب لأخلاقه.

- أقول مبروك فريال

- بلاش تكسفينى يا ماما.

- أسيبك دلوقتى وأروح مع الحرس للإستراحة إالى الحكومة المصرية مجهزاها ليا
.. فيه كلام فى تليفون.

هكذا ودعتى جلالة الملكة السابقة فريده أو ماما فريده وسوف انتظر منها
إتصال تليفونى كى نحدد موعداً لزيارة ماما فى مدينة أسوان، قررت الإسراع
بالعودة إلى المنزل وإستبدال ملابسى والتوجه للسنترال ومن هناك أطلب رقم
غرفة ماما بالفندق التى تنزل فيه مع بابا.

فى التليفون جاء صوت أمى من الجانب الآخر سعيداً فرحاً بإتصالى بها وزاد
من سعادته وفرحته نبأ وصول الملكة فريده من الخارج لزيارتها وأيضاً للإقامة
الدائمة بمصر وأيضاً أسعدها ما نقلته عن جلالة الملكة بأن السبب الرئيسى فى تلك

الزيارة هو طلب النقيب خالد شوقى الذى يعالج بالخارج لإصابته فى أحد معارك الجيش المصرى التى كان يخوض غمارها بجمهورية اليمن.

رغبت أمى أن نظل بالقاهرة لأنها تود العودة إلى منزلها وطلبت هذا من الطبيب المعالج الذى وافق على رغبتها رغم إعتراضه لظروفها الصحية، إتصلت بى الملكة مساء نفس اليوم وأخبرتها بما دار بينى وبين أمى من حديث بعودتها للقاهرة وأسعدها لأننى أعفيتُها من الذهاب للسنترال وطلب المكاملة لأسوان.

فى الموعد المحدد وصلت أمى من أسوان وإستقبلتها بالمطار وتبين لى أنها تعاني من المرض وأن وجهها مازال شاحباً لكن سعادتها باللقاء كان كبيراً وأخبرتها بأن حرس الملكة إعترضوا على حضورها للمطار خشية تعرف المسافرين على شخصيتها والإلتفاف حولها مما لا ترغبه السلطات بالدولة ومن أجل هذا وافقتهم وامتنعت عن الحضور للمطار وتأجيل اللقاء بالمنزل وقد وافق الحرس الخاص على هذا.

كان قائد مجموعة الحراسة أحد الضباط الصغار بالحرس الملكى فى الماضى تحت قيادة والدى سعادة الأمير لاي حشمت بك السرجانى وحينما شاهد والدى تقدم نحوه بكل احترام مؤديا التحية العسكرية التى أثرت فى مشاعر أبى ودفعت بعض الدموع للظهور لمشاعر الوفاء الذى يكنه هذا الضابط لقائده رغم أنه يعلم أنه من الممكن أن يوشى به البعض للقيادة لكنه كان ضابطاً مخلصاً لقائده السابق.

فى المساء حضرت الملكة مع الحرس المرافق لها الذى ظل يقف قريباً من مدخل العمارة التى نطقن بها، كان اللقاء بين الصديقتين القديمتين مؤثراً للغاية ومن

خلال الدموع والأحضان بين السيدتين تبادلنا مشاعر الحب وإستعدادنا بعض الذكريات التى كانت بينهما منذ كانتا شابتين يافعتين، لم تترك الملكة يد أمى وظلت تنظر فى وجهها وتقبلها من حين لآخر فلم تكن الحالة الصحية لأمى تسمح بالنهوض وتقبيل صديقتها ولهذا قامت الملكة بهذا.

إفترقت الصديقتان على وعد باللقاء فى الصباح، غادرت الملكة المنزل وهى تنتظر لأمى باسمه وتخبرها بأنها ترغب بعمل مفاجئة سارة لها وتتمنى أن توفق فى هذا، فى الصباح أقبل حرس الملكة يصطحبون أمى بسيارة وبالطبع كنت برفقتها وكانت المفاجأة هو دخولنا إلى قصر القبة مركز الحكم الآن ومركز الذكريات فى الماضى الجميل، كانت الأمنية أن تستمر أمى يقظة وذاكرتها نشطة حتى وصل بنا الركب إلى جناح الملكة.

أمام جناح الملكة إستقبلتنا الملكة فريدة ونهضت أمى لتقبيلها وتقبيل يدها لكنها أسرعلت بجذب يدها وهى تنظر فى عيون أمى مرردة :

- صافيناز .. ارجعى بذكرياتك للماضى من اكثر من خمسة وعشرين سنة .. فاكرة لما كنا شابات مقبلات على الزواج وكنا بنتقابل هنا .. امبارح عملت كل إتصال حتى وصل إتصالى بالرئيس جمال عبدالناصر وطلبت منه الموافقة أنى أقابل صديقتى المريضة بالقصر وتساءل من تكون وحينما أخبرته ضحك قليلا وهو يردد:

- صديقتك تبعنا لأنها متزوجة من أحد ضباط الجيش السابقين ومعلوش أخطاء ... القصر من الصبح تحت أمرك وسوف اخبر الحرس بكده وشرقتى مصر وح تشرفى القصر.

حديث الملكة مع الرئيس كان له تأثير شديد وقوى عليها وبكت وهي تنظر من حولنا وإلى القصر ثم نظرت نحوى متسائلة:

- فاكرة يا فريال صديقتك فريال بنتى؟ .. ضحكت وقبلتها وأنا أردد ودموع التائر بالماضى والفرحة بعودة شريط الذكريات الجميل :

- فكراها يا جلالة الملكة وفاكرة الأميرات فوزية وفادية .. ذكرياتهم فى عقلى وحبهم داخل قلبى.

لم أعد أتذكر ماذا حدث خلال ثلاث ساعات التى قضيناها بداخل القصر فى الجزء المخصص للملكة فريدة سابقا وقد بذل العاملون بقسم التشرىفات كل ما فى وسعهم لاسعادنا وعلمنا فيما بعد أن تلك كانت تعليمات الرئيس بأن نقدم للملكة وضيوفها كل إحترام كأنها مازلت تجلس على عرش مصر.

ما بين الحزن والسعادة

فريال :

ما هى نهاية كل إنسان .. ونهاية كل كائن حى .. والتي ذكرها الله فى كتابه الكريم (كلكم ميتون) هذا ما حدث مع أمى بعد يومين من لقائها بالملكة فى قصر القبة .. رحلت وهى تنتظر نحو صديقته القديمة وعيونها ترغب ألا تترك الدنيا إلا بعد أن تمسك يد الملكة بيد ويدي بيدها الأخرى وتبكي مودعة وهى توصينى على أبى.

حاول أبى أن يظهر جلده وتماسكه، فى إحدى الأمسيات شاهدته يستمع لقصيدة همسة حائرة للمطرب محمد عبدالوهاب وبدأت دموعه تتهمر محاولاً تجفيفها قبل أن أدخل عليه الحجرة رغم أننى كنت أقف فى الممر الواصل لحجرتة لكن ضعف النظر أثر عليه ولم يستطع أن يشاهد أى شىء لأكثر من عدة أمتار :

يا منية النفس ما نفسى بناجية وقد عصفت بها نايأ وهجرانا

أضنيت أسواناً ما ترقا مدامعة وهجت فوق حشايا السهد حيرانا

لا أعرف كيف مضت بى وبأبى الأيام القاسية الصعبة رغم ما قامت به الملكة فريدة من إتصالها بى لأكثر من مرة بل وطلبت منى زيارتها فى الإستراحة التى خصصتها الدولة لإقامتها، كانت مشاعرى متماسكة قبل أن ألقاها ولكن حين لقيتها عاودتنى الأحزان والدموع للذكرى التى كنت أشاهدها فى عيونها الجميلة الهادئة وهى تحنو على، كنت أشعر بأن من يحنو على هى أمى صافيناز صديقة الملكة

والتي تربطها صلة قربي من الدرجة الرابعة لكن صلة الصداقة والحب كانت أشد قوة ومتانة.

مضت بنا الأيام حزينة بانسة كما لم يتوقعها أكثر المتشائمين، أصبح الليل يحمل كل مصاعب الحياة وأصبح النوم يفارق أبى والأرق هو رفيق حياته، حاول بعض زملائه وضباطه فى السابق التسرية عنه وإدخال البهجة إلى قلبه لكنه كان صلب العزيمة ولم يعد ينظر للحياة نظرة تفاؤل وأمل دون أمى التى تأكد لى أنه كان يحبها حباً شديداً قوياً وهى تستحق منه هذا الحب ليس لأنها فاتنة وتحمل كل مكونات الجمال الأنثوى لكنها أيضاً كانت تحمل عقل راجح وتستطيع أن تساعد أى إنسان على أن يعبر أى محنة تعترض حياته.

كان أبى من أوائل الناس التى إستطاعت أمى أن تساعد على عبور محنة إحالته للتقاعد ولم يتخطى عمره الخامسة والأربعين، أحد الأمسيات وقبل أن أغفو فى نومى سمعته يردد بعض كلمات لأغنية شهيرة فى تلك الآونة، كانت قصيدة لقاء للمطرب الشاب عبدالحليم حافظ :

بعد عامين التقينا ها هنا والدجى يغمر وجه المورد

وشربنا النور يخبو حولنا وسبحنا فى هلال الموكب

وانتهينا وتبعنا ظلنا دمعا ينطق واللحظ رضى

آه لو تدرين ما أكنم فى دمي يا واحدة المفترق

تسلمت عملى التى رشتتى له وزارة العمل كما كان متبعاً فى تلك الفترة، فلم تعد هناك واسطة أو محسوبة بعد التخرج وما عليك سوى التقدم لمكتب العمل القريب من السكن الخاص بك وتملاً إستمارة توضح بها بياناتك الشخصية والمؤهلات الدراسى الذى حصلت عليه والجهة التى ترغب العمل لديها على أن يكون المؤهل الدراسى مناسباً لشغل تلك الوظيفة، بعد هذا تغادر المكتب وبعد مئضى أسبوعين بالتمام والكمال يصلك خطاب من المكتب بلونه الأصفر موضحاً لك الوظيفة التى حصلت عليها ومكانها وما عليك سوى التوجه لموقع الوظيفة حاملاً معك مؤهلك الدراسى وموقفك من التجنيد.

شغلت منصبا إداريا بجريدة الأهرام الكائن بشارع الجلاء، كان المبنى حديث الإنشاء وهناك شاهدت العديد من الشخصيات الصحفية اللامعة فى تلك الفترة، كنت أستقل خط الترام القادم من شبرا متوجها للسيدة زينب مروراً بميدان التحرير أغادره وأسير مائتى متر حتى جاردن سيتى شديد الرقى متوجهة إلى عمارة أبى التى أعيش بها معه، مجرد وصولى أستبدل ملابسى لأشرف على ما قامت به الخادمة ومراجعة ما قامت بتنفيذه مما طلبته منها صباح اليوم قبل التوجه لعملى.

بالطبع كان أول شئ يسترعى إنتباهى هو والدى الذى كنت ألاحظ عليه أنه مازال جالساً على الكرسي القوتية ينظر من خلال الشارع الضيق الذى يصل إلى كورنيش النيل فيشعر بسعادة بالغة وخلال تلك الفترة التى أتركه خلالها للعمل يظل وحيدا ولهذا كان يطالع بعض الجرائد والمجلات ويجيب على بعض مكالمات تليفونية سواء لأصدقاء قدامى أو من صديقه المخلص جارنا الدكتور شوقى الذى كان دائم السؤال عن والدى وأيضاً السيدة زوجته هى الأخرى تتحدث معى فى

المساء لتتعرف على آخر الأخبار وتطمئن على أحوالنا ولهذا كنت أبادلها السؤال عن ابنها الضابط وكيف حاله الآن وما مدى ما وصل إليه من علاج بالخارج.

مساء هذا اليوم فاجأتني (تانت سميحة) بخبر سعيد عن قرب عودة ابنها خالد من الخارج بعد تمام شفائه، كانت سعادتها بالغة وأخبرتني بأن أول عائلة سوف يقوم بزيارتها هي عائلتنا لنسعد به لأنه لم ينسى أيام الطفولة السعيدة حينما كان يأتي بصحبته عندما تقوم بزيارة والدتي وخلالها كان يتجول بالشقة ويقف في الشرفة يستمتع بمشاهدة المراكب الشراعية التي تسبح في نهر النيل.

بعد انتهاء المكالمة شعرت بشيء من السعادة طغى على أحزان كثيرة خلال الأيام الأخيرة والتي تلت وفاة والدتي وما رافقها من حزن أبي الصامت وما بدا يظهر على وجهه من ذبول وضعف بدني، كانت كلمات (تانت سميحة والدة خالد) جارنا قد دفعت ببعض نسمات طيبة جميلة لمشاعري جعلتني دون قصد أفكر فيما قالت وشعرت أن بساط السعادة المخملي الجميل بدأ يبسط رفته على أفكاري أثناء جلوسى وأنا ساهمة في مواجهة أبى مما دفعه في أحد الأيام لأن ينبهني لذلك متسائلاً ما الذى دفعنى لأن أصبح صامتة.

فاجأتني السؤال وأسعدنى وأطربنى أيضاً ونهضت من فورى وأحضرت الراديو لتتساب بعض أغان رقيقة جميلة شاهدت أثرها على ملامح وجه أبى وشعرت بعد عدة دقائق أن بشرته البيضاء التي تغطى حمرة الوجه قد بدأت تظهر وتطفو من أسفل مياه الحزن الداكن وشاهدت ثغره يبتسم وظهرت أسنانه ثم نظر نحوى مردداً

- بترجعيلى شبابى يا فريال .

- أنت شباب على طول يا بابا .

- بتفكرينى بصافيناز فى بداية حياتنا، كانت هادية زيك ودايما متفائلة، ربنا يرضى
عنك ويدينى العمر وأشوفك مرتبطة بانسان ابن حلال وطيب زى ما اطمنت عليكى
واشتغلتى فى صحيفة مرموقة قريبة من بيتنا.

- بابا .. ح أروح اعملك فنجان القهوة بتاعك.

- متشكر يا فريال .. فنجان القهوة ده هو رفيقى وبيسعدنى .. تعودت عليه .. كانت
صافيناز دايما فكرانى بفنجان القهوة .. بُن الخواجة صبحى غبريال بميدان الفلكى
أجمل بُن واتعودت عليه .. فريال .. الله أنت مشيتى .. ربنا يسترها معاكى .. بقيت
أكلم نفسى .. ياه على الكبر وحبسة البيت وذل الإنسان لأخوه الإنسان .. الناس
بتبقى تتشفى فيا وكلهم من إالى كنت بأساعدهم من خير ربنا وإالى كنت بأحصل
عليه من عرق شغلى .. فعلاً كما قال الشاعر زهير بن أبى سلمى :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّنْمَ يُشْنَمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ثَمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
وَمَنْ لَمْ يَنْدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يُهَنِّمَ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمِ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُتَخَلَّلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَتَعْنَ عَنْهُ وَيُتَمَمِ

- بابا .. إتفضل القهوة .. آلاه! أنت بتبكى؟

- لا يا فريال .. بس إفتكرت أيام مضت .. أيام حلوه وجميله وجه وراها أيام حزينة
مؤلمة .. ربنا ما يعدها.

- يا رب .

- شكراً يا بنتى .. روحى غيرى هدمك وشوفى حالك .. أنا بقيت كويس.

- حاضر يا بابا .. لو إحتجت حاجه إنده عليا .. أنا فاتحة بابا الأوضة وكمان باب المطبخ أشوف الشغالة عملت إيه.

جلست فى حجرتى أفكر فى حال أبى، مع قلة خبرتى لم أستطع أن أدخل السعادة والبهجة إلى قلبه وأن أحرك مشاعره نحو الفرح والسعادة، كانت كل حياته محصورة فى قراءة الجريدة وسماع الأخبار من الإذاعة وسماع بعض قصائد لأم كلثوم وعبد الوهاب .. كان قليل النوم نهائياً حيث ينام بعض فترات قصيرة أثناء جلوسه وكان دائماً ما يتململ من قلة الحركة والعمل والنشاط.

لقد ترك النشاط والحيوية والعلاقات الإنسانية وأخلاق الفروسية ليجلس فى المنزل بجوار أمى وحينما يتشجع للخروج من باب العمارة برفقة أمى لزيارة هامة أو للتوجه للبنك تصبح مشكلة مؤلمة له من النظرات الخاطفة المستهزئة له من هم دونه مركزاً وعمراً لكن هذا كان هو حال بلدنا .. إذا كنت تتقلد منصباً فالجميع يهرول نحوك تكاد أنوفهم تلامس مقدمة الحذاء وإذا غادرت المنصب وجلست بالمنزل إعتبروك خائناً ولا تستحق حتى تحية الإسلام الواجبة.

لقد سمعته يردد بعض أبيات شعرية للشاعر العربى زهير بن أبى سلمى .. كان دائماً ما يردد تلك القصيدة .. كنت أتوقف عند بعض أبياتها :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَقْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّنْمَ يُشْتَمَ

هذا هو ما حدث مع أبى بالضيظ .. أما علاقته الجيدة بزملاء السلاح فكانت خارج قوانين تلك القصيدة الشعرية لأنهم تربوا على الفضيلة والخلق التى بثها دين الإسلام الحنيف وكنت أعجب بصغار الضباط فترة عمل أبى الذين أصبحوا رجالاً

كباراً والبعض منهم تزوج من مستوى ثقافى رفيع، بل أن البعض قد حفظ أجزاء كثيرة من القرآن الكريم .. هذا خلق الإسلام الذى تبين لى، كنت شابة صغيرة وأعلم أن هذا هو صنوان وعنوان الإنسان ذو الأصل العريق.

رن جرس التليفون وكان الصوت القادم من الجانب الآخر هو صوت (تانت سميحة) زوجة الدكتور شوقى تلك العائلة الكريمة التى كانت دائما تسير على نهج خلقى واضح .. استفسرت منى عن إمكانية أن تقوم بزيارتنا مع زوجها لأن خالد ابنها وصل من الخارج بعد رحلة العلاج وأصبح سليم معاف وأصر بعد أن حصل على راحته أن يبدأ زيارته لأسرتنا.

خفق قلبى وكاد يتلعثم اللسان وأسرعت بالإجابة بأننى ووالدى فى إنتظاركم سمعت صوت تانت سميحة يقدم الشكر بصوت مغرد دليل على الفرحه بعودة الابن البطل بعد أن أنعم الله عليه بالشفاء، أسرعت بإخبار والدى فتورد وجهه وسوف يجالس بشر وما يتمتع به من إخلاص واحترام الآخرين وتقدير كبار السن يحملون كل الخلق الطيب وعمل الخير .. طلب أبى أن أعد له ملابس كى يحصل على حمام منعش .. نفذت له كل ما قال بينما إنهمكت فى إعداد الفستآن المناسب لتلك الزيارة. كنت مشغولة بتلك الزيارة وأنظر للماضى القريب لثلاث سنوات مضت منذ شاهدت خالد شوقى يرتدى ملابس العسكرية يُسرع الخطى للحاق بالسيارة التى سوف تنقله للمطار الحربى متجها لجمهورية اليمن حيث يخدم هناك .. كنت وقتها بالسنة الثانية بالكلية وصافحنى مبتسما وهو يردد :

- كبرتى يا فريال .. بقيتى عروسة.

- كل الناس بتكبر يا خالد .. ومشاء الله عليك شاب ملو هدمك .. ضحك خالد وأشار لى بعلامة الوداع ومن لحظتها لم أراه حيث أصيب بعدها بعدة أسابيع كنت خلالها أعتقد بأننى المتسببة فى تلك الإصابة وبأن عيونى حاسدة رغم أن عيونى جميلة

وأنتباهى بها بين صديقتى، لقد أصبحت تلك العيون حاسده وقد أصابنى هذا الشعور بالضيق وقررت التحفظ بعد هذا فى كلمات الإطراء للآخرين ولولا أننى جلست ذات مرة مع سيدة فاضلة درست علوم الفقه بالأزهر الشريف وأفصحت لها عن معتقداتى ومما حدث مع خالد حتى ضحكت وهى تردد :

- إنتى شابة صغيرة .. حكاية الحسد بعيدة عنك مثل كل الشباب من الجنسين .. أنتم زى الأطفال لا تكرهون أحد ولا تتمنون زوال نعمة الغير .. لازالت البراءة تحيط بك يا عروستى الصغيرة.

تنبّهت على صوت أبى وبأنه سوف يتوجه لإستكمال إرتداء ملابسه، ذكرته بأنه مازال أمامنا متسع من الوقت وأنهم لن يأتوا قبل ساعتين، لكنه كان مثل الطفل الصغير الذى يرتدى ملابس الخروج مبكراً لسعادته، تركته لحاله وتوجهت للحمام وحصلت على حمام منعش وإستبدلت ملابسى لكنى لم أرتدى ملابس إستقبال الضيوف وظللت مع زبيدة الخادمة نعيد ترتيب بعض أثاث المنزل ونتأكد من نظافة كل قطعة فى أماكن جلوس الضيوف القادمين ثم كلفتها بشراء بعض الحلوى من أحد المحلات الفاخرة القريبة منا وبعض المشروبات الغازية مع تأكدى بأن البن والشاى متوافر بعدها أسرع بارتداء ملابس الإستقبال المناسبة ولم أغفل أن أشاهد هندامى وقيافتى أمام المرأة.

دنا موعد الزيارة المحدد وخلال هذا كنت أعتقد بأن صوت جرس الباب قد صدح صوته وحين سأل زبيدة كانت تنفى هذا، أنظر فى ساعة يدي معتقدة بأن الساعة تؤخر التوقيت وأن موعد الزيارة قد فات وأتساءل بدهشة لماذا تأخروا .. إن باب شقتهم بجوار باب شقتنا، كنت فى حالة من التوتر الهادىء بينما والدى يرتدى ملابسه يجلس هادىء البال ينظر للنيل من البلكونة الصغيرة الملحقة بالصالة.

سمعت صوت الجرس وإرتبكت مما لفت نظر الخادمة التى رغبت بأن تدخل
الطمأنية إلى قلبي مرددة :

- كل حاجة فى مكانها .. إطمنى وأنا عارفه ح أعمل إيه .. إسم الله عليكى وعلى
جمالك روى إفتحى الباب ميصحش أن زبيدة تفتح الباب لضيوف أسياها.
أسرعت ألبى أوامر زبيدة وسمعت أغنية أم كلثوم تطن بأذنى :

هلت ليالى القمر تعالى نسهر سوا فى نور بهاه
يحلّى مابينا السمر ويطول حديث الهوى سر الحياه

تكرر رنين جرس الباب، أسرعت نحوه وحاولت كبت مشاعرى وأفكارى
وأسئلة كثيرة تدور بعقلى، ما شكل خالد الآن وهل مازال يحمل عاطفة نحوى فقد
كنت أشعر بهذا أثناء الدراسة بالجامعة، لقد تخطى الزمن ثلاثة أعوام، يجب على
التخلص من تلك الأفكار والأسئلة، فتحت الباب .. وجدته فى المقدمة أمام والديه
كان الإثنين يقدمان لى صحبة ورد ندية، تقدم الكبار، مد خالد يده مصافحا مررداً :
- أهلا بيلك يا فريال .. زى ما ماما قالت.

صمت رغبة فى معرفة ما قالته تانت سميحة. عنى، لم تتأخر السيدة وأوضحت ما
دار بينها وبين خالد بشائى، الجمال المصرى الساحر هو فريال .. أخذتى من
المرحومة صافيناز الكثير وكمان من جلالة الملكة فريدة اللى كانت فى بعض
الأوقات بتقوللى أن فريال حشمت تفوق جمال فريال فاروق .. تفوقتى على جمال
الأميرة فريال بشهادة الملكة فريدة أمها .. سمعت صوت أبى :

- تفضلوا إدخلوا .. الزيارة ح تم على الباب؟ أهلا بالدكتور شوقى .. أهلا بالبطل
الشجاع ابن العسكرية المصرية ، لا .. لا .. مشاء الله صحتك كويسه والحمد لله
أثناء مصافحته لأبى تحدث معلقاً :

- الحمد لله يا عمى حشمت .. بعد العلاج الطبيعى المكثف رجعت لحالتى تانى والعضلات والأوتار أصبحت فى وضعها الطبيعى.

دار الحديث بين الرجال الثلاث بينما تانت سميحة تتحدث معى ولم أكن اصغى لحديثها، كان طينياً غير مفهوم فقد كانت أذنائى وعقلئى متجهة ومركزة نحو خالد الذى فاجأئى بسؤال غير متوقع :

- ايه يا فريال .. كنت فكر ح أرجع الأليكى مجوزه وعندك طفل صغير حلو زيك .

تلعثمت وتوترت حالى من المفاجأة التى إعتبرتها غير سعيدة حيث أنه يفكر لماذا لم أتزوج حتى الآن ولكن تانت سميحة إبتسمت ضاحكة وهى تردد :

- جرى ايه يا خالد .. مش كل شوية كنت تبعت تقول إوعى فريال تتخطب لحد ..

عليك يا ماما تخطبى ليا فريال.

لم أستطع المقاومة ونهضت مسرعة أردد :

- ما أشوف زبيدة تأخرت ليه؟

أسرعت إلى حجرئى ونظرت فى المرأة وأردد :

- معقوله، إللى كنت بأفكر فيه كان خالد هوه كمان بيفكر فيه من مدة .. يعنى أغنية ليلئى مراد (من القلب للقلب رسول) مضبوطة .. قطع على أحلامئى الوردية صوت زبيدة يخبرنى بأنها سوف تحمل المشروبات للضيوف، سرت خلفها فمن الواجب على أن أقوم بتقديم واجب الضيافة، كنت اخشى أن يسقط منئى ما أحمله حيث التوتر مازال رفيقاً لئى .. حملت الصينية عن زبيدة حينما توسطت حجرة الضيوف لكن خالد نهض وحملها عنئى وطلب منئى الجلوس وسوف يقوم بهذا، حاولت أن أثنيه عن هذا لكنه صمم وأبنته والدته وهكذا أصبح الضيف مضيفاً وتكلم الجميع بحديث متداخل وشملت الألفة والبهجة قلوبنا جميعاً .

نهض خالد كى يشاهد بعض الصور المعلقة على الحائط فى مدخل الشقة طلبت منى والدته أن ألحق به وأوضح له تلك الصور والرسومات، نهضت ولحقت به وبدا يسأل عن كل صورة يقف أمامها ثم إقترب منى هامساً :

- فريال .. أنا عايز أتقدم لكى .. أخطبك .. فيه حد فى السكة؟

- فاجأتنى يا خالد، لكن ما فيش حد طبعاً وإلا كانت تانت سميحة عرفت كل حاجه ..

خالد بلاش كده وأنت ماسك إيدى، حد يشوفنا.

- لما أجيب الشبكة ح أمسك إيدك .. بتضحكى .. عايزك كده، إضحكى وفرفشى ..

ياالله نروح نقعد معاهم.

- طيب سيب إيدى.

- لازم ندخل عليهم كده توفيراً للوقت .. ده معناه إننا متفقين على الجواز.

شاهدت عيون الجميع تتجه نحونا، وبدت السعادة فى نظراتهم مما دفع بتانت سميحة لإطلاق زغرودة جميلة مثلها، تنبعت زبيدة فحضرت مسرعة وشاهدت خالداً مُمسكا بيدي فأطلقت الزغاريد العفوية القوية وتبادلنا جميعاً التهنية خلال هذا اللقاء تم الإتفاق على موعد الخطبة وأين ستكون وما سيتلوه من إجراءات.

إنتهت الزيارة وتسلل الضوء الخافت إلى الشقة وعم الصمت والسكون، بعدها توجه والدهى إلى حجرته لينام رافضاً الطعام حتى لا يزعج الجهاز الهضمى بينما لم أتناول أى شىء، أسرعرت إلى حجرتى أختبئ بين أثاثها أحاول فهم ما حدث والسرعة التى تم بها وما زال طيف خالد أمامى، تذكرت حديثه وأحاديث الكبار وكيف أن خالداً بدت عليه الصحة والفتوة، شعرت برغبة قوية لأحدث الملكة فريدة فقد سبق لها أن أخبرتنى منذ عامين بأنها ترشح لى خالداً للزواج فهو مصرى أصيل وضابط شجاع.

أسرتى السعيدة

لا أستطيع وصف كيف خلدت فى نومى تلك الليلة، كنت أحلق فى سقف الحجرة
وكننت أخشى السقوط من أسفل السقف على الأرض، أشعر بأننى أطيّر بالحجرة
واتقلب بالهواء كأننى أسبح فى الماء، فى تلك الأثناء نسيت شكل خالد وصورته
الجميلة، لم أعد أتذكر أحداً من الجالسين حولى منذ ساعة، لم أستطع تمييز الأشياء
أو وصفها سوى تلك السيمفونية الجميلة التى خرجت من فم الخادمة الصغير ابنة
العشرين عاما تعزف لحن السعادة بتلك الزغاريد التى تنبأ الناس بالفرح والسعادة .
استيقظت من الحلم الجميل على صوت العصفير المغردة التى تنبأ عن ميلاد
يوم جديد وفجر سعيد، نهضت من فراشى مثل الفراشة التى تحلق فوق أغصان
حديقة الموالح .. بعدها هبطت الفراشات على بعض الزهور الجميلة ذات الرائحة
الفيحاء، كانت تلك الفراشات تهبط باحتراس حتى لا يلامس جناحها قطرات الندى
الفضية البلورية فتعرقل حركتها وخفة وزنها التى تساعدها على الطيران والتحليق
فى هذا الكون البديع من صنع خالق السموات والأرض.
إغتسلت وتوضأت وصليت سنة الفجر وركعتى الصبح .. أثناء السجود أكثرت
من الدعاء لله اطلب منه أن يتم نعمته علىّ بالخير وأن يعفى والدى من وعكته
ويدخل السعادة والبهجة إلى قلبه الواهن رقيق الإحساس والمشاعر .
سمعت صوت والدى بالصالة حيث كان يجلس كعادته فأسرعت إليه ألقى عليه
تحية الصباح الوردية وأقبله ذات اليمين وذات اليسار فأسعده نشاطى وشعر
بسعادتى ومد يده لى وأخذها ووضعها على فمه يقبلها برقة ورومانسية عالية
ويدعو الله أن يديم علىّ السعادة والفرحة، أقبلت زبيدة وبدا عليها التأثر بما حدث

بالأمس فقد تورّد خذاها الرقيقين وإنفّرج ثغرها عن ابتسامة رقيقة وألقت بتحية الصباح وطلبت منى ومن والدى التوجه لمائدة الطعام حيث أنها أعدت الطعام .
نهض والدى يسير كالعصفور الرشيق أو كالمهر الغض الغرير حتّى وصل للمائدة وجلس ينظر للطعام بكل بهجة وسعادة وطلب منى الجلوس بجواره وليس أمامه كما اعتدت، كان يتناول طعامه بهدوء ويحدثنى بكلمات حانية يغلفها الحب والعطف الأبوى، ترك الطعام ونظر إلى بعيونه الخضراء الجميلة والتي أحاطت بها التّجاعيد:

- فريال .. إنتى بنتى الحبيبة الوحيدة .. إنتى الصورة الجميلة لمامتك رحمها الله مش ح أقول كنت بأحب صافيناز قد إيه لأنّ المشاعر دية بتكون فى القلب محفوظة لصاحبها ولا يشعر بها إلا من يستحقّ تلك المشاعر .. أنا كنت مبسوط إمبارح من الزيارة، خالد ابن حلال وظابط شجاع وجدع وبيفكرنى بالظباط الصغار إالى كانوا معايا فى الحرس الملكى زى أحمد مظهر وحسين الشافعى وغيرهم، ولاد ناس وميغيرهمش حاكم أو سلطان أو مركز راح وجه حد تانى، الأصل يفضل مع صاحبه زى بصمة الصباع.

- كنت مبسوط يا بابا من خالد؟

- جدا جداً .. كنت بكلم نفسى فى بعض الأيام وأنتى فى الشغل وأقول يا حشمت بنتك الحلوة الوحيدة مين ح يكون من نصيبها، يارب يكون جدع ابن ناس، ناس محترمه زى الدكتور شوقي وحرمه سميحة هاتم.

- الحمد لله يا بابا، تعرف أن جلالة الملكة فريدة من قبل ماما ما تغادر الدنيا وتلحق بالخالق وهى بترشح ليا خالد.

- جلالة الملكة بنت أصول عشان كده عينها وقلبها إختار الشاب الجميل ده عشانك يا حلوة.

- مرسى يا بابا .. ربنا يديم عليك صحتك وعافيتك.
- شكرا يا فيرال، بتهياً ليا أن وقت الشغل قرب، ربنا معاكى، وكما قال الرسول
الكريم (داروا الخطبة وإعلنوا النكاح).
- حاضر يا بابا.

هكذا غادرت المنزل والسعادة تحيط بى، خلال جلوسى مع بعض زميلاتى فى
العمل كدت أخبرهن عما حدث بالأمس .. فقد لاحظن جميعا ما أنا عليه من سعادة
وبهجة لكنى تذكرت نصيحة أبى والتى إستند فيها لحديث سيد الخلق سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم.

مساء نفس اليوم إتصلت بجلالة الملكة وأخبرتها بما حدث، شعرت بمدى فرحتها
حين خرجت عن وقارها تقدم لى كلمات رقيقة طيبة من التهنة ومباركة الخطبة
ووعده بحضور حفل الزواج، إنتهت المكالمة وتأكد لى أن هذا هو إختيار الله وبعده
إختيار القلوب الصافية والذى كان موقفاً وبالأخص حين إتصل بى خالد فى المساء
يخبرنى برغبته بأن يحضر للزيارة بمفرده، لم أمانع بالطبع طالما كان والدى موافقاً
وقلبى مغرداً.

حضر خالداً تسبقه بسمته المتفائلة يحمل بيده باقة صغيرة من الورود الندية التى
يسبقها عطرها ويلحق بها لونها وجمال شكلها، مجرد أن دخل من باب الشقة حتى
قدم لى باقة الورد مشفوعة بكلمات إطراء رقيقة ثم توجه لأبى يقراه السلام
مضافاً وجلس قريباً منه .. سألته هل يمكنه تناول فنجان قهوة العصارى مع
والدى؟ كانت اجابته عبارة عن إبتسامة صغيرة ظهرت من خلالها اسنانة البيضاء
المتراصة لتعلن الموافقة، اسرعت للمطبخ وأخبرت زبيدة بعمل فنجانين من القهوة
وكوب عصير الليمون الخاص بى.

عُدت لمكان جلوس أبى وخالد فى مدخل البلونة التى لا يفارقها أبى إلا حين تناول الطعام أو دخوله لحجرة النوم، شاهدنى خالد متجهة نحوهما فأسرع نحوى وإعترض طريقى فخشيت أن يتصرف بتصرف أكثر جرأة من تصرف الأمس لكنه ناولنى علبة صغيرة من القطيفة الزرقاء مردداً :

- مبروك يا فريال.

- الله يبارك فيك، على إيه؟

- على إيه، على إالى حصل إمبراح!

- صحيح .. مبروك علينا إحنا الإثنين.

- بصراحة .. مبروك ليا لأن جارة خالد شوقى الجميلة الرقيقة فريال حشمت وافقت أن أقترن بها.

- مش للدرجة دى!

- لا يا فريال .. كان فيه قصة حب من طرف واحد ومخبئها فى الدولاب لحد ما تكبرى وتبقى عروسة وأهى ظهرت للحياة.

- ربنا يبارك فيها، تعالى نروح نقعد مع بابا .. زبيدة جاية بالقهوة.

مضت عدة أسابيع على إعلان خالد رغبته فى خطبتى وتم تحديد موعد الزواج المناسب لكلانا بعد أن تسلم خالد عمله فى أحد معسكرات الجيش الواقع على طريق السويس الصحراوى وأصبح يعود يومياً إلى منزله قبل العصر، لقد قدرت القيادة العسكرية ظروفه الصحية ومنحته عدة أشهر عمل خفيف غير مرهق حتى يستعيد قواه وعافيته على التدريب الشاق الذى تتميز به وحدات الجيش.

سارت الأمور فى علاقتى مع خالد على أحسن ما يكون، كانت علاقة الحب بيننا رومانسية رقيقة عفيفة والتى كانت متماشية وساندة فى تلك الفترة الزمنية، طفت

علينا خميلة الحب والحنان بجلالة الملكة فريدة أو ماما فريدة كما طلبت منى أن
أناديها بهذا اللقب، كنت أشعر فى حالات كثيرة بأن ماما فريدة هى خالتى أى شقيقة
أمى الكبرى، أنا وخالد نجلس معها بعض الوقت ونشعر بسعادة لا مثيل لها.

تم القران والزواج فى حفل عائلى بسيط أقيم بعزبة أنكل أحمد مظهر قريبا من
منطقة الرياح البحيرى ومنطقة القطا التابعة لمحافظة الجيزة، توجهنا بعدها
لمصيف رأس البر الهادى وقضينا بين أهله ومياهه عشرة أيام ممتعة بعيداً عن
صخب مدينة الإسكندرية التى يهرع إليها المصريون من كل مكان، عدنا بعد تلك
الفترة للقاهرة وفى أحد الأيام أقبل خالد حزيناً يزف إلى خيراً مؤتماً على نفسه
وحين سمعته منه أصابنى الضيق والضجر، لقد طلبه قائدة العقيد فتحى لمكتبة
وتحدثت معه :

- أهلا خالد .. الجواز واضح عليك ووشك منور وأى واحد يعرف إنك إنسان سعيد.

- الحمد لله يا فندم .. نشكر الله على نعمته.

- الحمد لله .. وعشان تفضل السعادة موجودة على طول عايز أنبهك بأنك تبتعد بقدر

الإمكان عن الست إالى اسمها فريدة!

- فريدة مين يا فندم ؟.

- فريدة مرات فاروق !!

- فريدة مرات فاروق !! معرفشى حد بالإسم ده.

- جرى إيه يا خالد .. فيه حد معرفشى الملكة فريدة مرات الملك السابق فاروق.

- أيوه كده فهمت .. طيب إيه الغلط فى كده .. دى بالنسبة ليا ولمراتى زى خالتى

بالضبط.

- بلاش حكاية خالتى وعمتى .. الموضوع وصل للأمن الحربى وطلبوا منى أحذرك

لأن ده ضد سياسة الدولة والحكومة، الأسرة العلوية والحكم البائد أصبحوا فى

مزيلة التاريخ .. جرى إليه خالد .. بتدمع .. أنت من أشجع الضباط المصريين
وحاصل على نجمة الشرف العسكرية لبطولتك فى حرب اليمن تقوم تدمع على ناس
أذلوا البلد.

- لو سمحت يا فندم بلاش كلام فى الحكاية دية وأنا راجل عسكرى وح أنفذ ما
تأمرنى به القيادة .. عن إذن سيادتك.

تركت مكتب القائد حزينا وتوجهت لمكتبى وجلست وحيدا وإرتديت نظارة
الشمس حتى لا يلاحظ أحد حزنى الحقيقى المفضوح لما قيل عن الملكة فريدة، ألا
يكفى ما حدث لها ولعائلتها حتى نزيد الطين بلة ونتركها وحيدة بمصر، ألا يقدر
هؤلاء الناس بأن الرحمة بالعزيز الذى أذل هى من حُسن خلق الإنسان وأن الإسلام
طلب منا هذا السلوك .. لقد وجه الله سيدنا موسى وأخاه هارون عندما طلب منهما
التوجه لفرعون مصر ودعوته له لأن يوحد بالله وبالديانة التى أنزلت على موسى
بقوله (قولوا له قولاً لنا) .

طيب من خاطر خالد وأكدت له أن الأمر العسكرى واجب التنفيذ وسوف أقوم
بملء فراغ غيابك عنها وأنت لك عمل يتطلب منك السرية والإبتعاد عن منزلك
وامسرك لفترات طويلة والأجازات غير منتظمة، صمت خالد صاغراً وكأنه أصبح
لا حيلة له وما حيلته أمام الأوامر العسكرية التى تصدر للجندى بالدفاع عن الوطن
ويدفع ثمناً لهذا الأمر أعلى شئ يمتلكه وهى حياته الشخصية وأقل الأضرار
الإصابة التى يمكن أن تلحق به كما حدث لخالد منذ ثلاث سنوات فى حرب اليمن.

استمرت علاقتى بماما فريدة نزولاً على رغبتها وإبتعاداً عن الشر الذى نغنى
له كما يقول المثل الشعبى، كانت السيدة من الفطنة والذكاء بأن توصينى بزوجى
وتطلب منى أن أبلغه بتحتياتها والتى تعلم أنه مشغول نظراً للتوترات السياسية التى
تشهدها مصر مع كل من أمريكا وإسرائيل، همست قريباً بأننى وهى تقبلنى مودعة

- أخبار خالد الصغير إيه؟.. ضحكت لهذا السؤال الذى يسعد كل عروس :
- صحيح يا ماما .. نسيت أقولك .. من كام يوم حسيت بمغص وامبارح بالليل كشفت
عند الدكتورة إلى جنبنا وقالت لى مبروك .. أنتى حامل.
- ألف مبروك يا فريال .. ربنا معاكى .. أنا كنت خايفة تكون إصابة الحرب بتاعة
خالد أثرت على كفاءته لكن الحمد لله جت سليمة .. زوى دلوقتى زمان خالد على
وصول .. مش عايزك تتعبى نفسك وتيجى .. كفاية مكاملة كل أسبوع بالتليفون.
هكذا غادرت الشقة الصغيرة التى خصصتها الحكومة المصرية لإقامة ملكة
مصر السابقة والتى كانت ذات مستوى راق وبالقرب منها يتواجد بعض الحرس
الخاص وتلك الشقة كانت بأحد أحياء القاهرة الراقية (حى المنيل) القريب من نهر
النيل وأيضاً قريباً من سكنى بحى جاردن سيتى.
سارت الأمور بينى وبين ماما فريدة على وتيرتها .. داومت على الإتصال بها
كل عدة أيام وفى بعض الأحيان أقوم على زيارتها مرة كل أسبوعين أو فى
المناسبات ولم تلحظ ما طرأ على خالد من تغير لعدم زيارتها أو محادثتها وكانت
من الذكاء ورجاحة العقل أنها تعلم ما أخفيه عنها ترتيباً على ما حدث مع أسرتها
إبان ثورة ٢٣ يوليو.

بداية عام ١٩٦٦ حصل خالد على الترقية الدورية بعد نجاحه فى امتحان
الترقى من رتبة النقيب إلى رتبة الرائد .. تلا هذا بشهر تقريباً شعورى بالآلام الوضع
وبالمستشفى العسكرى للعائلات تمت عملية الوضع بسهولة ويسر ولم أقض فى
المستشفى سوى ثلاث ليال عُدت بعدها إلى شقتى أحمل مولوداً ذكراً أطلق عليه
والدى إسم مصطفى وما لهذا الإسم من تقدير وتقدير لدى المسلمين.

تلقيت تهنئة ماما فريدة بهذه المناسبة وأخبرتني بأنها سوف تحاول زيارتى
بالمنزل قريباً، مضت الأيام وتعدى توقيت الزيارة لأكثر من شهر لم تستطع خلاله



الجميلة والأسير (رواية)
تأليف/ أسامة على الصادق

زيارتي ولهذا طلب منى أبى ألا أثقل على السيدة نظرا لوضعها تحت المراقبة وتقييد حركتها، بالفعل تأيد هذا القول حينما تحدثت معها تليفونيا وقدمت اعتذارا بانها لم تستطع تلبية الزيارة لظروف خارجة عن ارادتها ولم تقصح عنها وإكتفت بهذا وأصبح التليفون هو وسيلة الإتصال بيننا.

إنتهيت من إجازة الوضع وعدت لعملى وتولت زبيدة رعاية الطفل بالإضافة إلى رعاية أبى .. كانت زبيدة ذات العشرين عاما فتاة مخلصمة جدا ومن بنات إحدى قرى المنصورة القرية من العاصمة وتميل إلى الرقى والمدنية أسلوبا ولهذا لم تعترضنا أى مشكلة دون أن تقوم على حلها والقيام بواجبها فى خدمتنا على مستوى عال ورغم أن ابن عمها طلب يدها لكنها لم توافق ويسؤالها أخبرتنى بأنها إذا تزوجت سوف تعيش فى قريتها وهى ترفض هذا وسوف تبتعد عنا ولا تنسى أبدا أنها إلتحقت بخدمتنا وعمرها إحدى عشر عاما.

أحد الأيام أخبرنى خالد بأن الأمور السياسية حدث بها توتر ومن المحتمل أن يندفع التشكيل الذى يخدم به إلى سيناء لأنه يتولى قيادة وحدة إستطلاع حديثة ومميزة ويجب أن يكون على أهبة الإستعداد، حدث ما توقعه خالد، فى منتصف شهر مايو من عام ١٩٦٧ حدث توتر سياسى بين مصر وإسرائيل، دفعت مصر بجيوشها إلى سيناء واختفت أصوات العقلاء وكنا نسمع أناشيد وطنية تحض على القتال والحرب وكان القتال أصبح نزهة يطلب الإعلام من شباب مصر أن يقصدها دون إنتظار لمعرفة ما يجرى على الحدود الشرقية مع العدو التقليدى إسرائيل الذى حاربناه مرتين لقينا فيها هزائم متتالية.

دعاء الشرق

الرائد خالد شوقي :

قبل تحرك القوات إلى سيناء مع الحشد العسكرى الذى بدأ منذ عدة أيام فوجئت بنقلى من قيادة وحدة الإستطلاع التى أتولى قيادتها إلى وحدة أخرى تابعة للواء ١١٦ مشاه، أصابنى الضيق لهذا .. فقد بذلت بعضاً من الجهد والعمل مع ضباطى وجنودى فى الفترة السابقة رغم حالتى الصحية المتوعدة نسبياً بعد إصابة معارك اليمن، نفذت الأمر فلم يكن أمامى مناص من الاعتذار أو عدم التنفيذ لأن قائد وحدة استطلاع اللواء ١١٦ مشاه أصيب بالزائدة الدودية التى أدت لدخوله المستشفى العسكرية لإجراء عملية جراحية عاجلة. -----

فى قيادة اللواء ١١٦ مشاه إستقبلنى رئيس أركان اللواء بوجه باش مصافحاً وطيب من خاطرى بأنها عدة أيام وتهدأ الأمور بين مصر وإسرائيل وتعود القوات التى يتم دفعها لسيناء وخلال تلك الفترة يتمثل النقيب فوزى الذى حللت مكانه ويعود لوحده وتنتقم بالشكر لك على إستضافتك تلك الأيام وسوف يرافك إلى سرية الإستطلاع أحد ضباط السرية الذى ينتظر خارج المكتب الآن ومعه سيارة تفلك إلى مكان عملك مع خالص دعائى لك بالتوفيق.

صافحنى سيادة العميد وغادرت المكتب وأنا فى حالة من الضيق فقد وضع لى حالة هذا التشكيل بدءاً من القيادة حيث كانت الأمور ليست على طبيعتها من المرحلة وسوء الإنضباط، فقد علمت أن هذا التشكيل عائد من حرب اليمن منذ شهرين وبخبرتى السابقة فى اليمن أعلم مقدار تفكك التشكيلات هناك وعدم إنضباطها أو تدريبها مما يسىء إلى قدرة تلك الوحدات القتالية وعدم جاهزيتها لدخول أى حرب.

صافحت رئيس أركان اللواء وغادرت مكتبة وهناك شاهدت سيارة جيب عسكرية يقف بجوارها ضابط برتبة ملازم أول، كان الضابط يقف بقدم واحدة ويثنى الأخرى ويستند بيد على السيارة وباليد الأخرى يدخن سيجارة، ظللت متجها نحوه حتى توقفت أمامه وبدت الابتسامة على وجهه ثم صافحني (أهلا بسيادة الرائد) وقام بفتح باب السيارة بينما أشار للسائق بحمل حقيبة أغراضى الخاصة جلست بالسيارة ولازمنى الضيق من مظهر هذا الضابط ومما زاد من دهشتى أن الضابط جلس على عجلة القيادة بدلاً عن السائق وقام بالقيادة وضحك وهو يشير نحو صدره متحدثاً :

- أعرفك بنفسى .. محسوبك .. (صبحى) .. ملازم أول إحتياط صبحى.

- أهلا يا صبحى .. لكن بتسوق العربية ليه؟ .. ده ممنوع.

- سيبك من الممنوع والغير ممنوع .. كله جيش.

- كنت بتشتغل إيه فى حياتك المدنية؟

- مش ح تصدق .. ورب المعبود كنت عطشجى!!

- إيه؟ بتقول إيه؟ .. عطشجى .. يعنى فى السكة الحديد!

- أيوه إمال إيه .. فى السكة الحديد.

- طيب وليه كده ما إشتغلتش بمؤهلك الدراسى؟

- يعنى دبلون صنايع برادة ح يشتغل إيه؟

- أنت دبلوم صنايع؟

- أيوه يا فندم .. ماله دبلون الصنايع .. كخه .. وحش .. ميشبهشى .

قررت الصمت والسكوت حيث بدأ الفتى فى الحديث السيء ولن يستطيع أن يمسك لسانه السيء، وصلنا إلى معسكر سرية الإستطلاع والتي تميزه بعض السيارات المدرعة من صنف ولید وهى سيارات ضعيفة الإمكانيات وقامت

المصانع الحربية بتصنيع جزء من مكوناتها، قبل وصولنا للمعسكر سكن الشاب وتبدل لون وجهه ثم قذف ببقاى السيجارة من شباك السيارة مردداً :

- ملهاش لازمة .. الواحد إتعنكن .. مش عارف إصطبحت بوش مين النهاردة.

أوقف الضابط السيارة بفرملة شديدة دفعت بى للإتكفاء نحو زجاج السيارة الأمامى وقفز منها مشيراً لأحد زملاءه نحو السيارة.

- الرائد بتاعكم وصل.

أسرع الضابط نحوى مبتسماً مرحباً وبرفقه أحد الجنود وطلب منه حمل

الحقيبة الخاصة بى إلى المكتب

- بسرعة يا (سمعان) .. شيل شنطة سيادة الرائد لمكتب القائد .. أهلا يا فنم

تفضل حضرتك .. ملازم أول (حسن رمزى) قائد الفصيلة الثانية إستطلاع ..

- أهلا بحضرتك .. تحركنا نحو المكتب وإتضح لى أن الضابط حسن مخالف فى كل

شئ عن الضابط المستهتر (صبحى) سواء فى الانضباط أو السلوك الشخصى

بالإضافة إلى ملابسه العسكرية المهندمة .. كان يسير بجوارى وللخلف قليلاً دليلاً

على الإحترام ولهذا نظرت إليه شاكراً حسن الإستقبال متسانلاً :

- أنت ظابط عامل وإلا إحتياط؟

- أنا ظابط عامل يا فنم دفعة رقم ٤٧ وتخرجت من الكلية الحربية بداية عام

١٩٦٥.

- شكراً يا حسن.

- تفضل يا فنم المكتب الناحية دية.

شاهدته يشير نحو أحد الضباط الذى أقبل مسرعاً فى خطواته وعرفنى بنفسه :

- نقيب (فرج) قائد ثان سرية الإستطلاع

- أهلا بسيادة النقيب.

بداخل المكتب جلس النقيب فرج قليلاً ثم إستأذن فى إستكمال عمله حيث يقوم بتوزيع بعض المهام على الجنود إستعداداً للتحرك صباح الغد إلى سيناء، أشرت له بالموافقة بينما عاد الضابط حسن ورافقته جندى اليوفيه كما عرفت يحمل فنجاناً من القهوة مرفقاً به كوب من الماء وردد الضابط :

- تفضل يا فندم .. قهوة مضبوطة.

شكرت الضابط والجندى وشعرت ببعض الراحة فقد إستطاع الضابطين إزالة بعض شوائب علقت ببقاء الضابط الأول عديم الإنضباط كما شعرت بالسرور بأن فنجان القهوة كان مُعد إعداداً جيداً والسكر مضبوط كما إعتدت تناوله دون أن يسألنى أحد عن كمية السكر كما هو المعتاد (قهوتك إيه) فتجيب: (سادة .. مضبوط .. زيادة) .. كل تلك التعبيرات تدل على كمية السكر المضاف لفنجان القهوة.

مضى قليل من الوقت ثم حضر النقيب فرج الذى جلس منشراح الصدر مرحباً بقدمى مشيداً ببعض معلومات عن فترة قتالى باليمن ثم بدأ فى شرح بعض المعلومات عن سرية الإستطلاع، قاطعته متسائلاً عن الضابط صبحى الذى إستقبلنى فى قيادة اللواء، توقف النقيب فرج قليلاً ثم تحدث وبدأ على وجهه الضيق - سيادة الرائد .. ظباط السرية الثلاثة إحتياط والضابط العامل الوحيد حسن رمزى والباقي مؤهلات متوسطة وسلوكهم غير مهذب ولا يمت للعسكرية بصله وسيادتك تعلم أن الوحدة قادمة من اليمن ولم يكن هناك تدريب ولا إنضباط لعدم إمكانية تجميع الوحدة خشية القناصة اليمنيين ولأجل هذا إستفحل السلوك غير المهذب فى التعامل سواء معه أو مع زملائه كأنهم موظفين بسطاء فى القطاعات التى قدموا منها كما أنهم يترفعوا فى معاملة الجنود الفقراء الذين لم يحصلوا على أى قسط من التعليم فكما تعلم بأن التجنيد أصبح قاصراً على الفلاحين وأبناء الصعيد.

ظل النقيب فرج يشرح ويوضح بعض البيانات التي كنت أعلم الكثير منها لسابق خدمتي بجمهورية اليمن حيث إستشرى عدم الانضباط والسلوك بين الجنود بعضهم البعض بل وصل إلى سوء التعامل مع الضباط ومما زاد الطين بلة أن المشير عبدالحكيم عامر وافق على أن يتم تجنيد المؤهلات المتوسطة كضباط احتياط ويحصلوا على رتب عسكرية إسوة بالضباط العاملين وأثر هذا التصرف على مشاعر الناس بالسلوك غير المنضبط وغير المحترم لتلك النوعية من الضباط.

صدرت إلينا تعليمات بأن يمنح كل ضابط فسحة مدة لا تزيد عن ست ساعات نظرا لأن الوحدة سوف تتحرك إلى سيناء في الصباح الباكر، هكذا عدت إلى منزلي في إستراحة عدة ساعات سوف أعود بعدها إلى الوحدة قبل الساعة العاشرة مساء بداخل المنزل إلتقيت بزوجتي وطفلي الصغير الرضيع وجلست أمزح معها كما قمت بزيارة والدائ والتقيت مع الأمير لاي حشمت بك والد زوجتي فريال، انتهت الساعات الست الممنوحة لي وأسرعت بمغادرة المنزل بين دعاء الجميع بالستر والسلامة وأمازحهم بأنها عشرة أيام لن تزيد ويعود كل شيء إلى وضعه الطبيعي . قبل بزوغ فجر اليوم التالي بدأ تحركنا برتل مع تشكيلات اللواء ١١٦ مشاه على طريق السويس في إتجاه القناة، لم أستطع التعرف على الجنود خلال تلك الفترة وكنت لاحظهم من حين لآخر سواء قبل أن نستقل السيارات المدرعة أو أثناء الوقفات على الطريق لإجراء عملية تموين السيارات بالوقود.

كان واضحا على الجنود عدم الانضباط والسلوك المتسبب مثل قانتهم من الضباط الإحتياط الذى أخبرنى قائد ثان السرية بأن قيادة الفرقة سوف ترسل لنا ببعض الضباط العاملين بديلا عن الضباط الإحتياط الذين لن يفيدوا الوحدة بأى شيء سواء فى التعامل مع الجنود أو التعامل مع العدو والحصول على المعلومات لأن أبسط قواعد العمل المخبراتى قراءة الخرائط العسكرية التى لا يعرفونها.

مضت الساعات والأيام بطيئة ونحن لا نعرف ماذا سيحدث خلال الأيام القادمة، فى بداية شهر يونيو من عام ١٩٦٧ كلفت السرية بالحصول على معلومات عن القطاع الأوسط للعدو فى المنطقة المواجهة لنا والتي يتمركز بها اللواء ١٦ مش .. أسرع مع قائد ثان السرية بدراسة سريعة للمنطقة من على الخريطة وطلبت حضور الضباط الأربعة المتواجدين معنا وأثناء الحديث أشار الضابط صبحى الذى كان فى إستقبالى فى أول يوم أثناء توجهى لتلك الوحدة بأنه سيقوم بتلك المهمة وما علينا سوى إعطائه حرية إختيار الجنود الذين سيعملون معه.

بعد مضى ساعتين حضر إلى النقيب فرج متوتر الأعصاب وأخبرنى بأن الضابط صبحى تخير عشرة من الجنود الذين سوف يعملون معه، تساءلت وما الذى يقلقك .. أجابنى وهو مازال متوتراً ومردداً :

- يا فندم .. صبحى إختار أسوأ عساكر وكلهم محاكم عسكرية فى اليمن وأقل واحد فيهم فاقد مدة متقلش عن ستة أشهر من خدمته .. سرقة وتدخين مخدرات وقتل عشوائى لجنود باليمن الذين إستسلموا أثناء القتال، الضابط ده حيودينا فى داهية .. إزاي ح يعدى الحدود ويتسلل لأقرب مستعمرة ويفضل أربعة وعشرين ساعة.

- كلامك يخوف .. فيه بديل عندك .. ممكن تختار له جنود تانية يعملوا معاه.

- للأسف يا فندم كلهم كده أو مرضى ونظرهم ضعيف والسمع ثقيل، دول يعتبروا أحسن جنود تقاتل فى سرية الإستطلاع، لأنهم يجيدون التصويب وإستخدام السلاح والإشتباك، والخناقات والعراك البلدى لأنهم من أحياء شعبية تكثر بها المشاجرات.. - إيه الحل .. منبعتش داورية ونخالف الأوامر وإحنا فى ميدان المعركة وإلا نبعت المجموعة التعبانة دية ومن المؤكد أنهم ح ينقتلوا وفى أحسن الأحوال ح يتم أسرهم.

- من الناحية دية متحملش هم .. دول عيال قلوبهم ميت زى الضابط بتاعهم .

- طيب دور لى الجنود ومعاهم الضابط .

بعد قليل أقبل الضابط صبحى ومعه جنوده يرتدون ملابس مدنية عبارة عن جلباب استخدموه باليمن حتى يتجنبوا القناصة اليمينية وأسرع الضابط صبحى يتحدث:
- أفندم .. أنا عارف أن ده وضع مش مظبوط لكن إطمئن .. إحنا من غير سلاح ومن غير كارنيهات عسكرية أو أى أوراق .. المهم سيادة النقيب بيعت معانا ضابط بزيه العسكرى يوصل معانا لوحدات الجيش على الخط الأمامى حتى نتسلل بالليل للمستعمرة وبكره بعد الغروب يستنانا فى نفس المكان والمسافة زى ما عرفت من الخريطة مش بعيدة كلها ٩٠٠ متر من هنا.

تشجعت لحماس الضابط رغم أن هذا التصرف يعرضهم لعقوبة الإعدام لو تم أسرهم وتبين أنهم جنود مصريين يرتدون الزى المدنى مخالفا لقواعد القانون الدولى أثناء الحروب الذى يؤكد على تمسك المقاتلين بملابسهم العسكرية حتى يتعرف عليهم العدو ولا يرتدون ملابس تشبه ملابس المدنيين من أبناء المنطقة ويصبحون طابور خامس يقوم على التجسس والتخريب.

وافقت على خطة الضابط صبحى الذى أقبل باشا فى وجهى مصافحا وسمعتة بعد أن غادر المكان يعطى بعض التعليمات لجنوده :

- مش عايز أى واد فيكم يولع سجارة ولا يفتح نفسه .. نشوف ونحفظ إالى شغناه وتملونى كل حاجه عشان أقدمها لسيادة الرائد .. وكل إثنين مع بعض واحد ببراقب والتانى مريح ولو سمع تشخير زميله ينبه لنروح فطيس .. ورايا يا ولاد الجزم .. بتضحكوا طيب لما نرجع ح أعرفكم مين يبقى الضابط صبحى.

بعد أن غادروا موقع السرية متجهين لخط الحدود وكل فردين يسيران معا بطريقة لا تتم عن الإنضباط نظرت إلى قائد ثان السرية الذى ضحك مما سمع وشاهد وقال:
- دى كانت طريقتهم فى اليمن، حاجه كده زى القدانين أو حرب العصابات وكانت بتنفع .. كل شيخ وله طريقة.

بعد أن إختفى الجنود والضابط بدأت أعد الدقائق قبل الساعات ولدى شعور بانهم سوف ينجحون فى مهمتهم لكن الواقع الذى تقوم به وحدات الإستطلاع مخالف عما يقوم به هؤلاء الرجال.

قضيت ليلتى مُسهداً لأن الأوامر والتعليمات العسكرية فى مثل تلك المهام تحظر حمل أجهزة لاسلكى حتى لا تنكشف القوة وما يقومون به .. طلبت من جنود الخدمة الليلية أن يقوموا بتبهيى لو سمعوا صوت إطلاق نار .. جلست هادنا فى الخيمة الصغيرة المعدة لى وعلى ضوء الفانوس الذى يعمل بالكبروسين جلست أقرأ بعض الآيات فى المصحف الشريف ولسانى يردد الأدعية بأن يحفظ الضابط وجنوده العشرة لأن الفشل لن يتحمل تبعاته ونتائجهِ سوى خصوصاً أننى وافقت الضابط صبحى على خطة المستهتره بارتداء جنوده الجلاب بميدان المعركة.

صباح اليوم التالى تفقدت جنودى وكانت أحوالهم عادية ولم أشعر أو أسمع من أى منهم أى تخوف على زملائهم مما دفعنى لأن أسأل أحد الجنود عن زملائه الذين توجهوا لمهمة الأمس .. أجابنى هادئ البال :

- حنلاقيهم جايين بعد المغرب .. ح يعملوها وإطمئن يا فتندم.

مضت على تلك الفترة على أسوأ ما يكون وندمت على موافقتى لتصرف هؤلاء الأغبياء .. فليست مهام الإستطلاع تتم بتلك الصورة ومما زاد الأمور بلة أن النقيب فرج أخبرنى ببعض معلومات عن الجنود المرافقين للضابط الهمجى صبحى زيادة عن المعلومات التى سبق وأن اخبرنى بها مسبقاً لدرجة أن قائد اللواء أوصى بعد عودة الوحدة من اليمن بنقل هؤلاء الجنود إلى السجن الحربى حيث أصبحت الوحدة بالكامل غير منضبطة وتعتبر من أسوأ وحدات الجيش وكانهم قُطاع طرق ولصوص.

الضابط صبحى وجماعة الاستطلاع :

قبل غروب هذا اليوم كنت مع جنودى أقوم بالإشراف عليهم يعاونى فى هذا الشاويش (تادرس) حتى نستكمل ترتيبات عملية الإستطلاع التى سوف نقوم بها داخل أراضى العدو، إختبرت تسعة من الجنود بالإضافة إلى شاويش الفصيلة حيث يتميز الجميع بسرعة التفكير والرد الإيجابى رغم عدم حصولهم على شهادات دراسية لكنهم كانوا من أصحاب الحرف المختلفة خصوصا فى مجال المعمار، كان أغلب هؤلاء الجنود من منطقتى بولاق ابو العلا وحى الباطنية القريب من شارع الأزهر.

لقد عمل معى هؤلاء الجنود فى اليمن وتحت قيادتى بأسلوب مغاير لما نقوم به فى التشكيلات العسكرية، لقد كانت معارك اليمن معارك جبلية وحرب عصابات وبالتالي لم يكن الوضع الرسمى للقوات يناسبها، لقد أخبرنى الجنود والشاويش تادرس بأنهم قبل إلتحاقهم بالجيش يعيشون ويعملون بحى الباطنية أو حى بولاق أبو العلا، كانوا يقاومون قوات البوليس التى تهاجم أوكارهم بالطرق غير التقليدية وبالتالي كانوا يحققون نصرا عليهم وقللوا من الخسائر التى قد تلحق بهم.

تلك المعلومات التى سمعت عنها واختبرتها مع هؤلاء الجنود كانت الإجابة الواضحة لما أشاهده على وجوه وأذرع هؤلاء الرجال من آثار إصابات بالسلاح الأبيض، كانت قلوبهم مبنّة كما نقول نحن المصريين ويملكون من الشجاعة والإقدام ما يعتبر نوعا من الخيال الذى نراه فى بعض الأفلام الأجنبية، كنت أسمعهم أثناء التدريبات الخاصة التى أطلبها منهم والعراك الذى يدور بينهم بالحوارى مع التنبيه بعدم إستخدام السلاح الأبيض.

أصابتنى الدهشة رغم أننى أنتمى لحنى روض الفرج الشعبى والتى تكثر به المشاجرات خصوصا فى منطقة سوق الخضار، كنت أشاهد ضرب الرؤوس

بعضها ببعض وإعتقدت في بادئ الأمر أن المتعاريكين سوف نذهب به للمستشفى ولم يحدث هذا، كانت أصوات إصطدام مقدمة الرؤوس بعضها ببعض تدعو للخوف، وبعد أن ينتهي العراك يعود الحال كما كان وكان شينا لم يحدث.

لم يكن هؤلاء الجنود يحملون سلاحا حتى السكين ولم يكن يحملون ما يثبت هويتهم وكل ما أكدت عليه (عدم التدخين .. عدم التحدث مع الزميل .. التأكد من عدم وجود ساعات اليد أو أى شيء لامع .. والمراقبة في نصف دائرة أما زميله في الخلف عليه أن يراقب نصف الدائرة الآخر .. تأكدت من حفظهم للمعلومات .. كما نبهتهم على الحيلة والحذر حين الوقوع في الأسر من عدم المقاومة والسير بهدوء ومحاولة إستغلال أى فرصة للهرب بعد أن تسدد بعض الضربات بالرأس أو بقبضة اليد للخصم .. وفي نهاية المهمة سوف نجتمع خلف الدشمة الخرسانية المهجورة التى لا تحتلها أى قوات على خط الحدود.

أقبل الليل وسرنا حتى تخطينا خط الدفاع التى تحتله قوات المشاة المصرية وبوجود الضابط حسن رمزى وقائد تلك الوحدة، واصلنا السير مجموعات وبفاصل زمنى عشر دقائق .. كل إثنان يسيران معا .. يتحرك واحد وبعد مائة خطوة يتوقف ويهبط أرضا يراقب فيشاهده زميله على الضوء المتبقى لهذا اليوم فيتحرك حتى يتعدى زميلة بحوالى مائة متر ويجلس يراقب وهكذا حتى نصل للتبة السمرات التى تكسوها كميات من الزلط الأسود ولا يجب علينا السير فوقها حتى لا يسمع العدو إحتماك حبيبات الزلط بعضها البعض، سوف ننتشر على الأجانب فى أماكن حفرتها مياه الأمطار أثناء السيول وتكسوها الرمال الناعمة .. تبدأ كل مجموعة عمل فى الحصول على المعلومات.

هكذا تحركنا ووصلنا لأهدافنا وإلتزم جنودى بالتنفيذ كما إعتدت منهم .. ظللنا فى وضعنا هذا طوال الليل الدامس ولم يكن هناك أى إتصال .. بل لم يكن بين

الزميلين أى حديث سوى إشارة حين طلب الماء للشرب فيقوم الزميل الذى يحمل عبوة الماء البلاستيك بدفعها لزميله بهدوء .. لم تكن نحمل زمزية المياه معنا لأنها تدل على أننا قوات عسكرية واستبدلت بعبوات بلاستيك صغيرة من التى تستخدم فى تعبئة زيت موتور اللوارى.

أضحى اليوم التالى وإنكشفت المواقع الإسرائيلية أمامنا .. أثناء الليل كان التركيز فى الحصول على المعلومات التى تعتمد على السمع أما أثناء النهار فالعين تضيف للسمع الكثير كى نحصل على كمية جديدة من المعلومات عن العدو.

كانت معلومات الليل التى إستطعت الحصول عليها بنفسى من سماع بعض الأحاديث بين الإسرائيليين المتواجدين بالمستعمرة التى أمامنا هامة والحديث يدور بينهم باللغة العربية بل وبلهجة المصريين حيث وضع الإسرائيليين أمام المصريين جنودا من اصل مصرى كى يحصلوا على كل معلومة سواء سلما أو حربا.

بعد عدة ساعات من ظهور الشمس بدا واضحا وجود بعض الآليات العسكرية الإسرائيلية والجنود يقومون بأعمال الصيانة للعربات المدرعة فى المنطقة المواجهة لنا، لم نستطع تمييز صوت الجنود والتعرف على ما يقولون لأنهم يحتلون منطقة أبعد من المستعمرة وأثناء النهار تكثر الأصوات خصوصا أصوات العربات المدرعة الإسرائيلية.

سارت الأمور هادئة ولم يشبها جديد، أقبل المساء وهبط الظلام فتحركنا حتى وصلنا لمنطقة الدشمة المهجورة وفوجئنا بجنود مصريين بها وبالقرب منها وأحدهم أطلق صيحة مفزعة بكلمة (حرس سلاح) وهذا يعنى فى الحياة العسكرية حدوث شيء خطير يستدعى تجميع القوات بالسلاح والتوجه لمصدر الصوت.

هذا ما حدث بالضبط حيث إلتف الجنود من حولنا وقام أحد جنودى بالهرب منهم إعتقادا بأنهم إسرائيليين ولم يتجه فى طريق الهرب نحو الغرب بل عاد من حيث أتى وكان الإسرائيليون قد تنبھوا فأمسكوا به ووقع أسيرا بين أيديهم. إستطعت إقناع قائد تلك الوحدة بأننا وحدة عسكرية مصرية كانت تقوم بمهمة داخل إسرائيل وعلينا العودة لوحدتنا كى نقدم تقريرا بما حدث، تردد الضابط وأرجأ هذا حتى يحصل على إذن من قيادته التى رفضت هذا وإعتبرتنا متسللين عرب من سيناء وتكاثر القوم علينا وفى غمرة هذا الحدث إستطاع إثنان من جنودى الهرب واللاحق بزميلهم الذى أسره الإسرائيليون .

حدث إشتباك بالأيدى بين جنودى وجنود الوحدة التى تحتجزنا وكان من نتيجة هذا الإشتباك هروب جنديين آخرين نحو الجانب المعادى الذى أطلق الأضواء الكاشفة نحو قواتنا ونحو مصدر الأصوات العالية، بعد ساعة من هذا الإشتباك أقبل الضابط حسن رمزى المكلف بإنتظارنا فقد تأخر على مواعده مما ترتب عليه كل هذا التوتر وضياح خمسة جنود أصبحوا فى الأسر.

كنت فى دهشة وأتساءل كيف لجنودى الهرب للجانب الإسرائيلى والوقوع فى قبضتهم لكن الشاويش تادرس إقترب منى وأخبرنى بأنه طلب منهم سرعة العودة والعمل على إنقاذ زميلهم الذى تم أسره بأى طريقة ولهذا اشتبك الجنود مع جنود تلك الوحدة التى تحتل هذا الموقع وبالتالي حدث هرج وعلى إثره إستطاعوا الهرب للجانب الآخر وبالطبع لن يخاطر جنود تلك الوحدة بالعدو خلفهم فى أرض القوات المعادية.

تحرير الجندي عباس الفندى من الأسر

الجندي سيد المشط :

بداخل المستعمرة الإسرائيلية سمعنا صوت زميلنا عباس الفندى وكان فى حياته المدنية متخصصاً فى صناعة الأحذية بإحدى ورش العتبة بمنطقة درب البرابرة، كنا اربعة أفراد من رملانة واستطعنا الهرب بعد أن أشار لنا الشاويش تادرس بالعودة وإنقاذ زميلنا أو نموت معه كما سبق واعتدنا على هذا خلال معاركنا مع عصابات المرتزقة التى كانت تحارب الجيش المصرى فى اليمن.

كان معى بعض زملايى وهم (مصطفى خربوش وفؤاد المنجى وعوض أبوالروس) .. لم تكن تلك أسمائهم الحقيقية بل هى أسماء الشهرة التى لصقت بهم أثناء القتال فى حرب اليمن، مصطفى خربوش يميزه وجود بروز فى إصبع اليد الإبهام وطول كل بروز (ظافر) لا يقل عن نصف سنتيمتر وإذا إشتراك فى مشاجرة نشاهد الخصم والدماء تسيل من وجهه ويديه بغزارة حيث يقوم مصطفى بغرس إبهام كل يد بأحد أجناب وجه الخصم ويسحبها بسرعة لأسفل لتندفع الدماء غزيرة وتترك المتعارك معه فى حالة من الإضطراب والخوف وفى بعض الحالات يصاب بالإغماء بعد دقيقتين.

كان مصطفى سريع الحركة ويستطيع أن يطيح أرضاً باثنين من أعتى الرجال فى خلال خمس دقائق مع تحمله للضربات التى كانت توجه له ولو استخدم فيها النبوت، أما فؤاد المنجى فهو أقرب الناس إلى قلبى حيث كان يساعدنى فى توزيع الصنف (المخدرات) فى حى الباطنية، كان المنجى سريع الحركة لدرجة أنه يحطف السلاح من يد عسكري البوليس ويهدده به ويخطف كمية المخدرات التى تم

ضبطها ويهرب بها من البوليس الذي كان يطارده في حواري وأزقة الباطنية ولا يستطيع الوصول إليه لسرعه ومقدرته على تسلق الحوائط والجدران.

يعتبر عوض أبو الروس من أشد الجنود التي كانت معنا جرأة وقوة وقد ميزه الله بالجسد الفارع ولون البشرة الأسمر ولم يكن له شفاة مثل باقي البشر بل كانت له (شلاضيم) مثل الجمل وفمه واسع ولا يتوانى في العراك عن عض الخصم بعد أن يفقده توازنه بعدد من ضربات الرأس القوية والتي كنا نطلب منه القيام بها للتسلية نظير شراء بعض الحلوى له من كانتين الوحدة، أما في المشاجرات التي كانت تحدث مع جنود الشرطة العسكرية فكان يندفع عوض مسرعا بتوجيه ضربتين بالرأس لكل جندي فيطرحه أرضا فاقدًا للوعي ونسرع بالهرب.

عوض أبو الروس :

إقتربنا من المكان الذي صدر منه صوت زميلنا عباس الفندى .. كنت أعلم قدرات كل زميل لنا وجميعها قدرات عضلية قوية وكان الزميل سيد المشط هو أميزنا الذي كان يتميز بالذكاء وسرعة الحركة والخداع بحيث لا تستطيع أن تحدد ماهي الخطوة القادمة التي سوف يقوم بها نحو الخصم، كان من المعلوم عنه أنه يستطيع دفع إحدى ساقيه أثناء العراك أو المطاردة لأحد الأجانب (الثلوث) أما من يقوم بمطاردته فيعرقل سيره ويوقعه أرضا فيقوم المشط بالإجهاز عليه.

نشاهد بعض الإسرائيليين يقفون أمام باب حجرة بها ضوء وبدخلها يقوم جنود العدو بتعذيب الزميل عباس الفندى يميزه جسد صغير الحجم .. أشاهد سيد المشط يشير إلينا بحركة من رأسه فإندفعنا وسط المجموعة التي تقف بالخارج وكل فرد منا أخذ نصيبه في مهاجمة جنود العدو، ناولت ثلاثة جنود إسرائيليين ضربة رأس لكل واحد منهم بالتوالي أما ضربة الرأس الثانية فسوف تقضى عليه وإكتفيت بضربة واحدة، لقد هرب الجميع من ضربات زملائى ودخلنا الحجرة وكما هي

عادة الجندي المنجى الذى قفز لأعلى وضرب بيده القوية السلاح الذى بيد الجندي الإسرائيلي فطار منه فى الهواء فأمسكته موجهها نحو صدره مهدداً، بعدها قمنا بفك قيود الجندي الفوندى بعد أن نال الجنديين الذين كان يعذبانه ضربات مؤلمة سقطا بعدها على الأرض لا يستطيعان الحراك أو فعل أى شئ سوى الصراخ من الألم. اسرعنا بالعدو جهة مواقعنا وبعد قليل غطت المنطقة القنابل المضينة وخلال تلك الفترة كنا قد إقتربنا من الدشمة التى تحتلها بعض قواتنا وشاهدنا الضابط صبحى فى إنتظارنا فأسرع نحونا مهننا وقبل كل فرد منا وأسرعنا بمغادرة الموقع فى اتجاه تمرکز سرية الإستطلاع.

الرائد : خالد شوقى :

تنبيه من غفوتى أثناء جلوسى فى انتظار جنود دورية الإستطلاع وسماعى لأصوات جنود الحرس بجملة (حرس سلاح) أعقبها بعدة دقائق سماعى لأصوات جنود مصريين تتشاجر وارتفعت درجة الأصوات وإستطعت خلال تلك الجلبة تمييز كلمة (جواسيس جايين من إسرائيل) رغم سعادتى بعودة جنودى إلا أننى خشيت من كلمة جواسيس وهذا معناه وصول المشكلة للقيادة الأعلى وظهور الحقيقة بأننى دفعت الجنود للقيام بتلك المهمة مخالفاً التعليمات المستديمة من إرتداء الملابس المدنية إلا إذا جاء التكليف بهذا بإستبدال الزى العسكرى.

خلال انشغالى أسرع نحوى النقيب فرج قانلا : السبب فى حدوث المشكلة التى حدثت والمسؤول عنها التأخير فى إرسال الضابط حسن رمزى ليكون فى إستقبال جنودنا العائدين من الأرض المحتلة ولهذا أسرع الضابط حسن بالعدو نحو المكان المحدد، أثناء هذا شاهدنا طلاقات مضينة بالجانب الإسرائيلى وتساءل كل منا ما سبب هذا وكانت الإجابة الطبيعية أنهم سمعوا لغطاً على الحدود فأرادوا التأكد مما يحدث.

تمكن الضابط حسن من إجتماع الموقف مع قائد وحدة المشاة التي كانت مكلفة بحراسة الحدود الدولية والتي أحدثت ضوضاء وجلبة كادت أن تعمل على إفشال مهمة رجالي بل كانت ستعرض سرية الإستطلاع للتحقيق مع القيادة الأعلى، عاد الضابط حسن مع رجالي وكان الإرهاق والتوتر واضحا على الوجوه وبدى عليهم الإهتمام بأنهم حصلوا على معلومات هامة.

قبلت رجالي بعد تلك المهمة وطلبت منهم التوجه إلى مكان مبيتهم بعد أن حصلوا على جرعة مضاعفة من الطعام وتناول الشاي، أراد أحدهم أن يخبرني بما حصلوا عليه من معلومات لكنني طلبت تأجيل هذا للصباح، غادروا مكتبي دون حديث وهم صامتون وقد بدا الحزن والضيق على الوجوه المرهقة وتفهمت وجهة نظرهم بأنهم رغبوا بأن يخبروني بما حصلوا عليه ومن المؤكد أنهم يعتقدون بأنهم حصلوا على معلومات قيمة وهامة.

خلال الليل هاجمني شعور بالخوف والوجل بأن يستدعيني قائد اللواء ويفاتحنني فيما حدث خلال هذه الليلة واللييلة السابقة لكن هذا لم يتم ولهذا إتصلت بزميلي الرائد عصام بقيادة اللواء وبعد تبادل بعض الجمل العامة تسائلت عن أخبار قائد اللواء فأطلعني بأنه مشغول في إجتماع هام ولن يأتي قبل ضياء فجر اليوم التالي ولهذا شعرت بالراحة وأن الأمور سوف تنتهي كما بدأت.

أحداث غير طبيعية :

بعد عملية الإستطلاع الجريئة التي تمت في الأول من شهر يونيو تلاحظ بعد مضي يومان على تلك العملية ظهور بعض أطفال من البدو يلهون بطائرات ورقية بالقرب من موقع سرية الإستطلاع، في البداية لم يكن هذا يشكل حدثا غريبا لأن المنطقة يعيش بالقرب منها بعض البدو خصوصا منطقة مفارق الحسنة التي تتفرع منها بعض الطرق المؤدية للكثير من المناطق السيناوية أو الإسماعيلية.

اليوم التالى لظهور تلك الألعاب جاءت سيارة التعيين كالمعتاد وكانت تحمل الطعام لجنود السرية، أثناء توزيع الطعام شاهد أحد الجنود القادمين الطائرات الورقية بالسماء، ضحك لهذا وأخبر الجنود من حوله بأنه شاهد مثل تلك الطائرات الورقية منذ الأمس فى أماكن عديدة وكل منطقة لها لون مميز، بعض المناطق لونها أزرق والبعض أصفر والبعض أبيض والبعض أسمر وهكذا.

لم نهتم بهذا لكن الشاويش تادرس علق على هذا بأنه من غير الطبيعى أن يأتى الأطفال للعب بتلك الطائرات الورقية وبالقرب من المواقع التى تحدث عنها الجندى الموجود بأعلى لورى التعيين، بل من الغريب إختلاف الألوان لأن هذا دليل على إمكانيات غير طبيعية لم تتوافر لأبناء سيناء، إستفسرت منه عن التصرف السليم حيال هذا كى نفك تلك الطلاسم، إقتراح أن نرسل بأحد الجنود ويقوم بمحاوره الأطفال ويعلم منهم من زودهم بتلك اللعب ولماذا يلعبون بها فى هذا المكان.

وافقه الرأى ولهذا أخترت الجندى سيد المشط لتلك المهمة والذى أسرع بالسير نحو المنطقة التى تظهر من خلفها تلك الطائرات وإقترب من بعض الصبية الذين يلعبون ويلهون بسعادة وتحدث معهم بأنه يرغب بشراء طائرة مثل هذا النوع كى يلعب بها أطفاله مما دفع الصبية للضحك وأخبره أحدهم بأن درجة الحرارة شديدة وضوء الشمس يضايقهم لكنهم مضطرون لإستمرار اللعب بها حتى لا يغضب منهم الشيخ سلامة ويمنع عنهم المصروف والحلوى التى يزودهم بها منذ يومين.

تسائل سيد المشط عن الشيخ سلامة فأخبروه بأنهم لم يشاهدوه سوى مرة واحدة حينما توجه للقبيلة وإتفق على توزيع بعض الصبية فى بعض الأماكن حتى يلعبوا بتلك الألعاب نظير مبلغ معين بل أنه حدد لكل مكان نوع من الطائرات الورقية ذا لون مختلف حتى تعلم القوات المصرية المكان التى تتوجه إليه لأن بعض الوحدات تضل طريقها ولهذا فقد كلفه أحد ضباط المخابرات الحربية بهذا الأمر.

عاد سيد المشط وأخبرني بما يحمله من معلومات ووجدت أنها فكرة ذكية وطيبة رغم أن أبناء البدو يتحملون مشاق الجلوس أسفل أشعة الشمس كل يوم لعدة ساعات ولهذا قررت التوجه لقيادة اللواء ولقاء القائد وتزويده بما حصلنا عليه من معلومات هامة تؤيد الرأي بأن إسرائيل تنوى الحرب وقد إقترب وقت بدء المعارك وأيضاً أوجه الشكر لرجال المخابرات الحربية على تحديد أماكن الوحدات العسكرية بتلك الفكرة البسيطة بل أن كل لون من تلك الطائرات الورقية يخص نوع معين من أسلحة القوات البرية.

شعر قائد اللواء بسعادة غامرة من المعلومات التي زودته بها وأيضاً بما نقلته من أسلوب جديد للمخابرات الحربية في تحديد أماكن تمرکز الوحدات العسكرية وكل نوع محدد بلون معين، غادرت قيادة اللواء بعد أن شعرت بأنني قمت بواجب هام وهو تزويد قيادة اللواء بالمعلومات التي حصلنا عليها من الخط الأمامي للجيش الإسرائيلي بالإضافة إلى توجيه الشكر لرجال المخابرات الحربية على ما يقومون به لمساعدة القوات للوصول لأماكنها حتى لا تضل طريقها في صحراء سيناء.

بعد منتصف الليل رن جرس التليفون الميداني وكان المتصل هو الرائد (سعد) من قوة المخابرات الحربية بسيناء، إستوضح مني عما نقلته لقائد اللواء فيما يخص الطائرات الورقية، أعدت تكرار ما زودني به سيد المشط وفوجئت بالضابط يصرخ متوعداً الإسرائيليين وعمالهم وأنه سوف يأتي في الصباح ليشاهد ما نتحدث عنه إنتهت المكالمة لكن تأثيرها ظل يطن في أذني من حديث ضابط المخابرات الذي نفى كل ما قيل وأن هذا نوعاً من الألعاب الإستخبارات الحربية الإسرائيلية بتحديد أماكن القوات ونوعها بناء على رصد تلك الطائرات الورقية من الحدود الدولية وتسجيلها على الخرائط وتحديد لون لكل طائرة تعنى تحديد الموقع لكل سلاح.

فى الصبح الباكر وصل الرائد (سعد) وكان برفقته قائد المكتب وبعض معاونيه من ضباط الصف الذين يرتدون الملابس المدنية السيناوية، بعد قليل شاهدوا الطائرات الورقية فى سماء المنطقة، أرسل الضابط أحد معاونيه وبعد قليل اختفت الطائرات الورقية من السماء وحضر بعد قليل وبصحبه ثلاثة أطفال ما بين الثانية عشر والسادسة عشر من العمر كما قام بعض ضباط الصف بالتحرك بالعربة والبحث عن مثل تلك الظاهرة واقبلوا بعد ساعتين ومعهم بعض الصبية وغادروا الموقع بصحبتهم ولم نعد نراهم.

مساء الرابع من شهر يونيو إتصل بى قائد اللواء يطلب منى إختيار موقع آخر لأن المعلومات التى لديهم أن مواقع عسكرية كثيرة تم رصدها ومعرفة انواع الوحدات المتمركزة بها، أفدت قائد اللواء بأنه من باكر سوف أتحرك لإختيار موقع اخر يبعد عن هذا المواقع بحوالى خمسة كيلومترات، وافقتى الرأى رغم ما سوف نقاسيه من مجهود الحفر لإخفاء العربات المدرعة عن أعين الطائرات المعادية.

بعد انتهاء حديث قائد اللواء جاننى أحد جنود الأمن من قيادة اللواء يحمل لى رسالة من قائده، فضضت الرسالة وكانت تحوى أسطر قليلة توضح أنه تم إكتشاف إثنان من أخطر عملاء الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية بالمنطقة وهما البدوى (سلامة) وهذا إسم الشهرة لكن إسمه الحقيقى هو (سالومه مزراحى) وزوجته ليلى وإسمها الحقيقى (ليليان فيكتور) ويجب الحذر منهما ومن الأفضل القبض عليهما، ووصف مبسط لهما، سلامه يضع حلق دائرى صغير فى أذنه الأيسر متوسط القامة يميزه شعر كستنائى وعيون عسلى أما ليلى فهى طويلة القامة بيضاء اللون سريعة فى الإنقضااض وإستخدام السلاح الأبيض، الإثنان من أصول مصرية وهاجرا لإسرائيل فى أعقاب حرب عام ١٩٥٦ ويجيدان التحدث باللهجة المصرية.

الخامس من شهر يونيو عام ١٩٦٧

صباح اليوم التالي أرسلت في طلب الضباط وأخبرتهم بتعليمات قائد اللواء بالتحرك لإحتلال موقع آخر لأن هذا الموقع تم رصدّه من قبل الأعداء وأخبرتهم بالعميلين ووصف لكل واحد منهما، كان الرأى أن نتحرك بالوحدة ونبحث عن موقع مختار جديد ولكن عدم التجهيز الهندسى وإعداد حفر دفاعية تقى الأفراد والعربات المدرعة من غارات الطائرات الإسرائيلية كان السبب الأول بأننى قررت أن نختار الموقع أولاً ثم ننقل إليه بباقي المعدات.

طلب الضباط أن نمنح جنودهم نصف ساعة ينتهون خلالها من تناول طعام الإفطار نتحرك بعدها بأدوات الحفر إلى أن نعرث على الموقع المناسب ونبدأ فى إعداده، وافقهم الرأى وحددت موعداً للتحرك العاشرة صباحاً أى بعد ساعة ونصف من الآن.

لم يمض على إنصراف الضباط عشر دقائق إلا وشاهدت طائرتين سوبر مستير إسرائيليتان من قاذفات الفنايل قادمة من جهة الشرق بارتفاع منخفض متخذة وضع الهجوم على موقع السرية مما دفعنى للصياح بصوت عال " غارة جوية " وحينما تنبه الجنود لهذا الأمر رافق هذا انفجارات مدوية وانتشرت الحرائق والأدخنة بالموقع وعلى أثره أسرع الرجال بإعداد المدافع المضادة للطائرات المثبتة على العربات المدرعة لمقاومة الطيران المعادى المنخفض.

جاءت الدورة التالية للطائرات فتصدت لها المدافع بنيران كثيفة وتبادل معنا العدو فتح نيران مدافع الطائرات الرشاشة فأصاب بعض الجنود بجروح شديدة مع تدمير عربة مدرعة وإشتعال النار بها، إختفت الطائرتان ورغم هذا كنا نسمع أصوات انفجارات قريبة أو بعيدة عن موقعنا وبدأت سحب الدخان الداكن تظهر من خلف التباب المرتفعة وتأكد لنا جميعاً أن الحرب بدأت.

خلال تلك الفترة كنا مشغولين بجمع الجرحى ومحاولة إطفاء النار المشتعلة بالعربة المدرعة، لم تمضى عشر دقائق على هذا الهجوم الخاطف حتى بدأت منفعية العدو تصب نيران مدافعها على الموقع، كنت أشعر بأن القذائف تصل لأهدافها بدقة ومركزة، تأكد لى حسن إستنتاج رجال المخابرات الحربية من نشاط الجواسيس وأن الطائرات الورقية التى كان يلهو بها الأطفال ما هى إلا خدعة كبرى لرصد الأهداف المجاوره لأماكن لعب الأطفال وأن إرتفاع الطائرات المعادية أثبت لنا ان هناك أهداف تم رصدها بدقة وذلك بتحديد موقع كل هدف من إتجاه ومسافة.

وقعت خسائر أخرى من بينها ضابطان والشاويش تادرس وخمسة من الجنود كما دمرت بعض المعدات ولم تعد هناك عربة واحدة صالحة لدخول المعركة، لقد طالت القنابل الشديدة الانفجار كل مكان وبالتالي احترق وتدمر كل شىء وكان الله معنا فلم يسقط مزيد من القتلى أو الجرحى لأن حفر الأفراد التى إختبنا بداخلها أدت إلى حمايتنا من شظايا القنابل الشديدة الانفجار.

قبل غروب الشمس عادت الطائرتان وقامتاً بغارة واحدة ورحلت بعد أن تأكد لها أن الوحدة لم تعد قادرة على الدخول فى أى معركة وأن الخسائر كانت بادية لهم من أعلى ولهذا تركوا سماء المعركة وإتجهوا لأهداف أخرى، بعد هذا تبين لنا أن جميع الوحدات القريبة منا قد نالتها الخسائر ولهذا أرسلت بإثنان من الجنود المزودين بالسلاح والذخائر إلى قيادة اللواء للإستعلام عن أحوال تشكيلات اللواء وتلقى أى تعليمات لأن خطوط التليفون الأرضى دمرت بالكامل من شدة الانفجارات.

منتصف الليل أقبل الجنديان وهما فى حالة من الإجهاد والتوتر والقلق مما شاهدها أثناء الذهاب والعودة وأيضاً مما سمعاه من قيادة اللواء والتى علموا منهم بأن سرية الإستطلاع قد إنتهت وأبيدت عن آخرها وأيضاً بعض وحدات المشاة

والمدرعات باللواء حدثت بها إصابات شديدة ومن المحتمل أن تصدر تعليمات خلال ساعات بالتحرك للخلف لإحتلال مواقع دفاعية على خط الدفاع التالى على عمق خمسون كيلو متر باتجاه الغرب جهة قناة السويس.

لم نستطع النوم خلال الفترة المتبقية من الليل مع الحالة النفسية السيئة التى دبت فى أوصال ونفوس الرجال جميعاً مع إنعدام وصول المياه والتعيينات، فقد أصيبت عربات الشؤون الإدارية أثناء تحركها وإستطاع طيران العدو تدميرها بالإضافة إلى تدمير مخازن الذخيرة وبعض مراكز القيادة والسيطرة، لم يكن لدى أى معلومات جديدة لأخبر بها رجالى وكنا فى إنتظار أن تصلنا أى تعليمات وما علينا سوى الدفاع عن أنفسنا ضد أى هجوم أرضى من قوات المشاة الميكانيكى للعدو.

بزغ ضياء اليوم التالى السادس من شهر يونيو وكان باديا علينا الحزن والكآبة وأن الكثير من شباب مصر سوف يفقد حياته فى هذا اليوم والبعض سوف يصاب بإصابات جسيمة ولن نجد المكان أو الشخص المعالج، جلست هامدا وأقبل الضباط وبعض الجنود يسألون ويستفسرون ولم تكن لدى أى إجابة، تركتهم وتحركت نحو التبة المرتفعة التى تحيط بالموقع المدمر ومعى سلاحى الشخصى ونظارة الميدان بعد وقوفى لفترة أراقب المكان شاهدت شخصين يستقلان جملا متجهين نحوى أدهشنى هذا المنظر ومازالت نيران مدفعية العدو تظهر من حين لآخر.

توقف الشخصان بالجمال أسفل التبة فى المنخفض وترجلا من فوق صنمه واتجها ناحيتى وأحدهما ممسك بمدفع رشاش عوزى إسرائيلى الصنع وتبين لى أن المرافق لهذا الشخص سيدة ولم أتبين ملامحها إلا حين إقتربت منى، لقد كانت تلتحف بعباءة رجالى من عباءات أبناء سيناء، رفع الرجل السلاح فى وجهى من على مسافة خمسين مترا بالتقريب وبصيغة أمرة طلب منى تسليم نفسى بينما تقدمت السيدة نحوى وأثناء أن كانت تضع الأساور الحديدية حول معصم يدي حدث إطلاق

نار من موقع سرية الإستطلاع فى إتجاه الرجل فسقط صريعا وأثناء هذا شاهدت السيدة تخرج مسدس من أسفل العبائة وتصوبه نحوى وكل ما إستطعت فعله أن قفزت لأعلى وضربت يدها بمقدمة الحذاء فسقط المسدس وألقيت بنفسى أرضاً بينما إنطلقت من الموقع نيران البنادق والرشاشات فى إتجاه السيدة التى سقطت قريبا منى وتدرج جسدها مثلى وسقطنا فى ميول التبة من الجهة المعاكسة للموقع.

شعرت بدماء والام فى وجهى وإصابة بمقدمة الرأس من جراء سقوطى أرضا ولا أعتقد أنها إصابة ناتجة من رصاصات أطلقتها السيدة نحوى أو من النيران التى أطلقها جنودى محاولين إنقاذى، خلال هذا سمعت أصوات جنودى يصيحون .. من قتلناه ما هو إلا الجاسوس (أبو حلق فى ودنه ومعاه مراته) .. بينما كنت فى عالم آخر بسبب السقوط على بعض الصخور الصغيرة التى أحدثت جراحا شديدة برأسى ووجهى ومازالت أشعر بالقيد الحديدى (الكلابشات) يحيط بمعصم يداى.

ظلت فى حالة من السكون وأنا ملقى على وجهى وبالتالى لم أشاهد ما حولى، لم أدرى كم من الوقت مضى على فى هذا الحال لكنى شعرت بنسمات تهب على جسدى وبالتالى قلت من شعورى بالألم والمعاناة، أفقت وتنبهت وتحرك جسدى واعتدلت وجلست فشاهدت السيدة تجلس وقد أصاب وجهها بعض الخدوش وكانت تصوب المسدس نحوى ثم تحدثت تتوعدنى :

- أى حركة منك ح أخلص عليك، أنت أسير وقعت فى إيدى وكل إالى عليك أنك تنفذ كل إالى أطلبه منك.

- ملوش داعى السلاح وإحنا فى حرب والأسير لا يطلق عليه النار خصوصا لما يتكفف رى حالى.

- طيب قوم فز عشان نشوف ولاد الكلب عساكر ك عملوا إيه فى سلامة جوزى.

نهضت وسرت بإشارة منها، كانت تسير بالخلف منى بعدة خطوات وتوجهنى لمكان السير حتى صعدنا إلى التبة التى حدثت فوقها المعركة وشاهدنا جثمان زوجها مضرجا بدمائه فأسرت نحوه تحاول تنبيهه لكن تأكد لها أنه مات.

نظرت نحوى بعيون غمرتها دموع الحزن والألم وتبدلت قسما ت وجهها وأصبحت أشد قسوة ثم توجهت نحوى تسبنى حتى إذا طال السباب والدائى بصقت عليها فوجهت لى ضربة قوية بيد المسدس على رأسى شعرت أن حائطا ضخما سقط فوقى وسقطت أرضا ولم أعد أشعر بأى شىء، بعد فترة سمعت صوتها باكيا تحرك جسدى وتناشدنى النهوض لأن الليل سقط ظلامه وتخشى على نفسها الذئاب او الضباع.

تنبعت وتحركت وإستطعت الجلوس بمساعدتها ونظرت لى بعيونها من خلال الظلام تتحدث معى بصيغة متداخلة بين الأمر والرجاء.

- أنا لحد دلوقتى معرفتش إسمك
- الراند خالد

- إسمع يا خالد، بقينا لوحدها، جوزى مات وعساكر ك هربوا وسابوك، نتفق إننا نخاف على بعض ونحافظ على بعض لحد ما نقابل أى قوة من جيش الدفاع الإسرائيلى وأسلمك لهم، دى كانت مهمتى أنا وسلامه.
- أنتى بتستعيطى، عايزه أساعدك لحد ما تسلمينى للأسر.

- مش قدامك غير كده وإلا ح أضطر أنى أفرغ فيك خزنة المسدس وأريح نفسى أسير أفضل من قتيل لأنك بعد نهاية الحرب ح ترجع لأهلك فى مصر وأنا ح أنول المكافأة اللى وعدونى بيها لوجبت لهم الضابط المصرى المسؤول عن الوحدة اللى الجنود خرجوا منها وهاجموا المستعمرات، مطلوب أسرك سليم من غير اصابة.
- ليلى .. نظرت إلى دهشة!!

- أنت عارف إسمي؟

- أيوه .. أنتى ليلى أوليليان فكتور وجوزك إسمه .. أسرعت بالإجابة
- سلامه.

- ده إسم الشهرة لكن إسمه (سلومه مزاراحى) أكبر قواد فى شارع الهرم.

- أنت عارف كل حاجه عنى وعن جوزى.

- لسه إللى أعرفه عنك مقدرشى أقوله.

- بلاش ندخل فى كلام كتير ، ناوى تسمع الكلام وألا أسيبك هنا وامشى أشوف حالى
وبعد ساعة بهاجمك ديب ويخلص عليك ولا تقدر تدافع عن نفسك.

- نتفق على عدم الخيانة وبلاش تسلمينى كاسير.

- بكده ح تضيع علينا المكافأة.

- المكافأة صايحه لو سبتينى هنا، لكن لو إتفقنا مع بعض ممكن نوصل لبر الأمان
ولمكان يساعدك ترجعى فيه لعلتك فى إسرائيل وأنا أرجع مصر لعلتى.

- عيلتى فى مصر يا خالد، أنا هربت مع سلامه إللى كنت بأشغل معاه فى أحد
المحلات إياها فى شارع الهرم وسبت أبويا وأمى من عشر سنين كنت وقتها لسه
شابه صغيرة حوالى ٢٢ سنة ودلوقتى ٣٢ سنة ومعنديش غيل ولا تيل لأن سلامه
ما بيخلفشى وربنا إنتقم منه ومن إللى عمله فى شارع الهرم.

- المهم .. قلتى إيه يا ليلى؟

- موافقة لكن عايزاك تقسم ليا.

- والنبي محمد .. تقاطع ..

- محمد إيه .. أنا معرفوش .. إقسم بموسى عليه السلام.

- ده يريح بالك؟

- أيوه .. مافيش نبى غير موسى وإبراهيم ويعقوب

- وحياء ربنا إلهى نجي موسى من أذى فرعون لأكون راجل مخلص معاكى طالما أنتى مخلصه.
- أيوه كده .. قسم رائع.
- فين القسم بتاعك؟
- وحياء دولة إسرائيل العظمى .. مقاطعا ..
- إسرائيل إيه وبتاع إيه .. إقسمى بنفس القسم إلهى أقسمت بيه .. بعد تردد :
- وحياء منقذ موسى من فرعون الكافر .. وحياء أم موسى لأكون صديقة لك طول ما أنت بتسمع كلامى.
- بلاش الجملة الأخيرة ، إحنا إتفقنا أننا نكون أصدقاء مخلصين لبعض ومحدث يضر التانى.
- خلاص يا خالد .. وحياء إلهى أنقذ موسى من يد الفرعون الكافر لأكون مخلصه لك يا خالد وإلهى يخون التانى ربنا يعمل فيه زى إلهى عمله فى فرعون الكافر وقومه.
- فكى ليا الكلابشات لأنها مضايقتنى.
- مش عارفه المفتاح راح فين .. الصباح رباح.
- نهضت معها نستكمل الوقت المتبقى من الليل وجلسنا بالقرب من جثمان سلامه الذى قررت (ليليان) أن نقوم بدفنه بعد شروق شمس الغد.

السابع من شهر يونيو ١٩٦٧ :

قبل ظهور ضياء هذا اليوم دخلت فى إغفاءة جميلة لم أستطع خلالها مقاومة النعاس ولم أستيقظ إلا على حركة قريبة منى، تنبهت وفتحت عينائى فشاهدت ليليان تفرغ الملابس التى كان يرتديها سلامة من كل الوثائق والأوراق وحافطة نقودة ولم تترك معه أى شىء لدرجة أنها نزعت عنه ملابسه الخارجية وحين الإستفسار

أفادت بأنها ترغب فى إخفاء موته عن الإسرائيليين كى لا يبحثوا عنها لأن عدم وفاته يعنى لهم أنه مازال على قيد الحياة أو أن المصريين قد أسرونا معا وبالتالي يمكن أن يقوم المصريون بالإفراج عنا بعد إنقشاع غبار المعارك وهدوء الجبهة . طلبت منى إحضار آلة حفر كى نعد له حفرة نواريه بداخلها، هبطت إلى موقع السرية المدمر وشاهدت بعض أدوات الحفر وتبين لى أن الجنود قبل ترك الموقع قاموا بحفر مقابر لزملائهم وأيضا للشاويش تادرس وعلامة الصليب على قبره ، أحضرت كوريك الحفر وصعدت به حتى مكان جلوس ليليان، تركت الكوريك أمامها، نظرت إلى وطلبت منى عمل حفرة لدفن سلامة، إعتذرت بأن يداى موصدتان بالكلاشات ولا أستطيع فعل ذلك وأنا بهذا الوضع، عاتبتنى بأننى فى أول خطوة معها أحنث بالقسم، نفيت هذا وأخبرتها بأننى مستعد ومنتظر إلى أن نعث على المفتاح وبعد أن تقومى بفك الأساور الحديدية نبدأ الحفر ومواراة جثمان سلامة الثرى، نهضت وإقتربت منى وفتحت القميص التى ترتديه والذى يشبه العباءة السيناوية قائلا :

- إسحب سلسلة المفتاح من رقبتى، محذرة بالا أخدعها أو أحاول العبث بجسدها .
لم يكن الموقف يسمح بهذا وقد غطت الدماء وجهينا وتجلطت وأصبحت جافة ولهذا علقت صاحكا :

- مافيش حاجة تخلىنى أعبث أو أندفع ناحيتك، شكلك ما يشجعشى على كده .
أصابها الغضب والضيق وتوعدتنى بقولها :
- بكره لما أشيل كل إلىلى تسبب فيه عساكرك المغفلين ح تشوف حاجة تانيه ومش ح تقدر تبعد عنى وح تجرى ورايا بالمشوار ، لسه معرفتش ليلى يا خالد .

لم أتحدث وأعلق فسوف يصبح الحديث بيننا سجال وكنت أرغب بتحرير يداى ودفن زوجها فقد أصبحت الجثة سينة وبدأ العفن والتحلل يدب فيها، مددت يدى

والقيود بها داخل فتحة العباءة لكن الأنوثة كان لها وضعها مهما كان، لم تكن الحركة سهلة ولهذا عبثت بأماكن أبعد من مكان حبل المفتاح وشعرت بأنها تكتم ضحكة بداخلها حتى عثرت على المفتاح ولهذا أسرع بمساعدتي وأحضرت المفتاح وأدارته ففتحت السوارين وأصبحت يدای محررتان وشعرت بسعادة غريبة، كنت من حين لآخر أحاول تدليك مكان الأساور الحديدية.

وقفت وبیدی الكوريك وتحت إرشادها قمت بالحفر وكان الحفر شديد الصعوبة لإختلاط الرمال بالزلط المقاوم للحفر، حينما نظرت للخلف شاهدتها تجلس بعيدا والمسدس بيدها توجهه نحوى، وقفت قليلا وكدت أن أبدأ بمشكلة معها ولكنى تراجعته حتى أنهى من دفن الجثمان البشع ومضى عليه قرابة الثمانية والأربعين ساعة معرضا للهواء ورائحة التحلل التى أصابته كادت تمنعنى من إستمرار الحفر. أخيرا نجحت فى اعداد الحفرة، جاءت ليلى تتلو عليه بعض الترانيم والصلاوات وتسانلت هل يمكن الحصول على ماء لغسل جثمان سالومه، ابتسمت لهذا فنظرت لى بضيق مرده :

- بتها من كلامى يا خالد؟

- لا طبعاً .. لكنى مندهش أنك قولتى إسمه الصحيح.

- لأنه توفي وحيدخل الجنة ولازم نقول إسمه الصحيح حتى لا يعتبروه من الكفار المسيحيين أو المسلمين.

- خليكى على كده .. كفار إيه يا ليلى؟

طلبت منى دفعه بداخل الحفرة وخلال هذا كانت تقوم بالصلاة عليه باللغة العبرية وبعد أن إنتهت جلست قليلاً حتى إنتهت من تغطيته بالرمال، نظرت إليها ولم تكن باكية، جلست قليلاً أستعيد أنفاسى اللاهئة مما دفع بها إلى محاولة الشد من أزرى كى أنهض وتتحرك.

قبل التحرك وأثناء أن كنت مشغولا بنظافة يداي بالرمال من أى أثر لجثمان
(سالومه) إقتربت ليلى منى حتى كادت أن تلامس رأسها رأسى وتحدثت بصوت
خافت حزين يغلب عليه الأنوثة وقالت :

- خالد .. بقيت لوحدي من غير جوز ومن غير الإدارة إللى أتبعها، لو إنفصلنا عن
بعض ممكن يهاجمنى بعض العساكر أو بعض البدو، إحنا دلوقتى مصريين، راجل
وست ولازم الشهامة تظهر فى حالة ضعف الست.

- إطمنى يا ليلى، فيه قسم غليظ ولازم أحترمه وكمان ح أحترم مشاعرك، وبلاش
المسدس إللى فى إيدك من الممكن تخرج طلقة وأموت فطيس وتفضلى لوحذك.
- حاضر يا خالد، إمسك إيدى وساعدنى وخليك قريب منى فى كل وقت.

بداية رحلة الجميلة والأسير

تحركنا أسفل الشمس التي أصبحت عمودية ودرجة حرارة مرتفعة حتى وصلنا لمكان قريب عبارة عن مرتفع صخري تكثر به الصخور متوسطة الحجم، كنت أتبعها وأشعر بأنها تسير أمامي بحذر وخشية أن أهاجمها وأقتلها وأتخلص منها رغم أن تلك الأفكار لم تدر بخلدی رغم شعوري المؤكد بأنها لن تحترم القسم الذي أقسمناه صباح هذا اليوم بالتبادل أمام كل واحد منا.

شاهدت مكانا فسيحا خلف بعض الصخور وكان بداخل هذا المكان جمل يقف يأكل العشب وحينما شعر بنا نظر للخلف وأخرج بعض الأصوات فاقتربت ليلی منه تهدد على رقبته ثم توجهت لعش صغير أو خيمة صنعت من وبر الجمال التي تشتهر بها سيناء وأشارت لى بتتبعها، دخلت خلفها للخيمة وجلست فى مواجهتها بعد قليل فتحت عبوة مغلقة ممتلئة بالماء وصبت البعض فى كوب وتناولته ثم نظرت إلى بان أتبعها بعبوة ماء أخرى أكبر حجما لخارج الخيمة.

حاولت تناول بعض المياه لكنها نظرت إلى وبإشارة منها منعتنى من تناول شربة ماء صغيرة بعد أن جف حلقى فامتثلت لأمرها، وقفت ليلی بجوار الخيمة ونزعت عنها غطاء الرأس الذى يشبه الطرحة وطلبت أن أصب عليها الماء، كانت تأخذ المياه بيدها محاولة تنظيف وجهها ثم وضعت البعض منه على رأسها بل تبادت فى غسل ساقها إلى منطقة الركبة واليدين وخلال هذا كنت أنظر للمياه المنسكبة على الأرض بعد إستخدامها وكلى أمانى بأن أحصل على جرعات لكن السيدة أبت على هذا وتأكد لى أنها لن تحترم الإتفاق.

أشارت إلى أن أتبعها ودخلت الخيمة وأخرجت عبوة صغيرة الحجم ممتلئة بالماء وناولتها لى وإعتقدت لحظتها أن طعمها غير مستساغ أو أن بها سم، تناولت

بعض جرعات ولدهشتى كانت مياه عذبة صافية ودرجة حرارتها منخفضة مما دفعنى للشرب منها حتى إرتويت، نظرت إلى وشاهدت البسمة على وجهى فانعكس هذا على قسماى وجهها وضحكت بصوت مرتفع شعرت بعدها أننى سوف ألقى ربى وأن السيدة قد فتكت بى، لم أنتبه إلا حينما أخذت عبوة الماء من يدى وتناولت منها عدة جرعات ثم إقتربت منى وهى تردد:

- خالد .. أنا مخلصه لك .. الميه الاولانيه دى ميه مقدسة فى عبادة اليهود وبستخدمها فى حالة موت واحد عزيز علينا عشان كده مخلصك تشرب منها العبوة الثانية ميه نضيفة وطبعا كنت عايزه ابعد عنك كل إللى خوفك منى عشان تشعر أن ليلى جميلة ومتخوفشى وألا لك رأى تانى.

- الحقيقة يا ليلى أنتى جميلة، اللهم صلى على النبى .. بضيق

- بلاش تجيب السيرة دية، أنا معرفشى أنبيا غير إبراهيم وموسى، فهمت؟

- حاضر واعتذر.

- أنا أسفه يا خالد أنى متوتره شويه، فيه شوية ميه باقيين ممكن تغسل وشك وتهندم نفسك، حواء إللى قدامك بتحب الجمال والنضافة، قوم بقى.

نهضت من جالسى وأخذت عبوة الماء وقمت بالنظافة بكل إقتصاد ولم أسرف فى الماء، خلعت حذائى وتوضأت وإخفيت خلف الخيمة وقمت بالصلاة عدة ركعات عوضا عما ضاع منى خلال اليومين الأخيرين، وخلال هذا شعرت بها وأثر ظلها ورغم هذا تماسكت رغم أننى شاهدت ظلها وهى تمسك المسدس فقد كنت قريبا من الله وقلت لو أطلقت النار على وأنا فى محراب الله فسوف أصبح شهيدا.

إنتهيت من صلاتى وعدت للخيمة وشاهدتها جالسة ترتدى ملابس خفيفة وبدا حسننها يظهر حينما إبتعدت عن العنف ثم تلاطفت معى بالحديث عن أحوالى الإجتماعية وما كنت أقوم به من مغازلة الفتيات قبل الزواج وتساءلت هل تعرفت

على فتاة يهودية قبل هذا؟ كانت اجابتي .. بالفعل تعلقت بفتاة يهودية من خلال نادى الجزيرة الإجتماعى خلال مرحلة الدراسة الثانوية، كنت أشعر بأن ليلى تطمح بمعرفة الكثير عن علاقتى بتلك الفتاة ورغم هذا أهملت حديثى لشعور ها بأنها علاقة عادية لفترة المراهقة التى تصيب الشباب من الجنسين.

بكل رقة أخبرتنى بأنها ترغب بالحصول على قسط من الراحة قبل التحرك فى المساء وتخلل أن تنام وأنا جالس بالخيمة مصوبا عيناي عليها، نهضت وجلست خارج الخيمة فى ظل إحدى الصخور الكبيرة شبة العمودية، بعد قليل شعرت بأنها تتلصص على بأن شاهدت رأسها يظهر من أسفل الخيمة وخلال هذا كنت مغمض العينين ولا أتحرك فتأكدت أننى نائم وأنها فى مأمن.

استغرقت ليلى فى نومها فترة طويلة لدرجة أننى خشيت أن تكون قد استيقظت وتركت المكان وإنتابنى الخوف والجزع بأنها توجهت لوحدة عسكرية إسرائيلية وقامت بالإبلاغ عنى مما دفعنى للنهوض والإقتراب من الخيمة وصدق حدسى ولم أعثر عليها وتلفت يمينا ويساراً ولم أعثر عليها لكن الجمل مازال فى مكانه يتناول طعامه بهدوء، تحركت فى كل إتجاه ولم أشاهدها، عُدت وجلست فى مكانى السابق بجوار الصخرة فشاهدتها قادمه من خلف إحدى الصخور ووقفت تنظر نحوى وضحكت بصوت مرتفع وتردد :

- كنت متشوق تعرف أنا فين؟ مش ح أقولك والحدق يعرف.

- المهم أنك بخير؟

- بخير .. أنت عايزنى ماما وإلا عايزنى صديقة.

- ماما مينفعشى.

- ليه؟

- لأننى جعان وعايز أكل.

- أه فهمت .. أنت كبرت على الرضاعة، تعالى يا خالد نقعد فى الخيمة الساعة
الباقية لحد ما الليل يقرب.

نهضت وتبعتها وشاهدتها تخرج لفافة من بعض الملابس التى بحوزتها
وأخرجت قطعة من البسكوت ناولتها لى وطلبت منى تناولها، تسائلت ألا تأكلين؟
كانت إجابتها أنها تناولت قطعة منذ نصف ساعة ثم توجهت إلى مكان مستتر (كى
أعمل زى الناس)، عايزه منك يا خالد تكون جاهز لمشوار طويل، وقبل ما نتحرك
ح تبدل ملابسك العسكرية بملابس بدوية من بعض ملابس سلامة حتى لا يرتاب بنا
الإسرائيليين لو شاهدونا.

لم أعلق على ما قالت وبعد تناول الطعام تصرفت مثلها وتوجهت لقضاء حاجتى
وأثناء عودتى شاهدتها تقف حيث كانت تراقبنى وتوجه المسدس نحوى مما أثار
غضبى، تسائلت ألا ترغبين فى نسيان العداوة بيننا ونحن أبناء بلد واحد وأقسمنا
بالا نخون وأن نتكاف لحماية بعضنا، أنا أبغض تصرفك هذا ويمكنك تسلمى
للإسرائيليين أو إطلاق الرصاص على حتى تستريحى من هذا الشك.

أدهشنى بكانها وإقتربت منى وأمسكت بستره الأفرول وهى تردد :

- خلاص يا خالد، معدش ينفع، لازم نفضل مع بعض، خالد .. تصدقنى لو قلت لك
أننى مبسوطه منك، تعرف وأنت نايم تحت ظل الصخرة كنت باراقبك وأنت نايم
زى الأطفال وكان شكلك حلو خالص.

- ياه يا ليلى، أنتى بتحبينى؟

- لا لا مش للدرجة دى .. إعتبرنى اليهودية إल्ली تعرفت عليها فى نادى الجزيرة.

- مش ممكن؟

- ليه ياخالد؟

- الثانية كانت طيبة وبرينة وكانت بتحبنى بإخلاص وبتجيب ليا كل مرة هدية حلوة من محل أبوها الحلواني .. ضحكت وعقبت :
- أكيد مكنتشى يهوديه !!

نهضت ومعى الجلباب والشبشب وخلف إحدى الصخور استبدلت ملابسى بملابس سلامة بعد أن وضعت بعض الرمال عليها ثم نفستها لتطهيرها وعدت إلى ليلى التى إبتسمت وهى تردد :

- يخرب عقلك يا خالد .. خسارة فيك الموت .. أصابنى الضيق من هذا التعبير ولم أعلق وجلست خارج الخيمة فى طقس الصحراء الممتع قبل الغروب ونسمات ما قبل حلول الليل تشعرك بجمال المكان بينما جلست ليلى بالجانب الآخر وإنشغلت فى ترتيب الأغراض التى كانت موضوعه فى لفافات قماش (بوقج أى أكياس).

رجال الإستطلاع (الضابط صبحى) :

مازلنا نواصل السير وقطعنا مسافة كبيرة، فى خلال اليومين الماضيين منذ عصر الخامس من شهر يونيو، لم نستطع أن نحدد ما الذى حدث بالضبط لكن بعد قصف الطائرات المعادية وما تلاه من قصف المدفعية المعادية لموقع السرية وتمير جميع العربات المدرعة ومقتل سبعة عشر جنديا وضابط صف ومقتل قائد ثان السرية النقيب فرج والشاويش تادرس، وقبل حدوث كل تلك الأحداث صعد الرائد خالد قائد السرية للتبة المرتفعة لإستطلاع المنطقة لتحديد طريق تقدم العدو كى نستعد له بعمل الكمائن فظهر من الجانب المعاكس رجل بدوى وبرفقه سيدة ومعهم الجمل، مجرد أن شاهده النقيب فرج بنظارة الميدان حتى صاح قائلا :

- الراحل الجاسوس أبو حلق فى ودنه مما دفعنى لأن أردد (الواد سالومه أبو حلق) ورحمة أمى لأخلص عليك وبسرعة البرق أطلقت عليه دفعه نار من الرشاش المتوسط الذى أعده الرائد خالد للضرب على الطائرات المنخفضة وكان النقيب

فرج مازال ممسكا بسلاحه يصوبه نحو هذا المجرم مما دفع بهذا المجرم لإطلاق النار نحوه ونحو الرائد خالد الذى شاهده يسقط على الجانب الآخر من التبة.

شاهدت وابلا من الرصاص نحو النقيب فرج وبدا أن إحداها إستقرت أسفل الصدر من شدة إندفاع الدماء من جسده وصبغت الأفول باللون الأحمر، سقط على أثرها أرضا والضابط حسن رمزى بالقرب محاولاً إنقاذه وتأكد لنا أنه نال الشهادة توقف إطلاق الرصاص، لقد قابل كل من قائد السرية والنقيب فرج ربه.

رفعت صوتى أناذى : حضرة الضابط حسن، لم يجيب على ندائى رغم أنه ينظر نحوى حزينا، فقد كانت صدمة كبيرة لى ولمن حولى بأن يسقط الرائد خالد والنقيب فرج من النيران التى صوبها نحوهما الجاسوس سالومه لكن بحمد الله أن استطعت القضاء عليه وأعتقد أن زوجة هذا الجاسوس قد لحقت به لأن الثلاثة (الرائد خالد والجاسوس وزوجته) سقطوا بالجانب الآخر من التبة وهو مكان مكشوف لتحركات القوات الإسرائيلية.

أقبل الليل وصعد بعض الجنود لإستجلاء الموقف وإحضار جثمان الرائد خالد لدفنه ولكنهم لم يعثروا عليه ولا على جثمان زوجة الجاسوس المدعوة ليليان فيكتور كما سبق وأخبرنا الشهيد الرائد خالد بينما ظل جثمان سلومه الجاسوس ملقى على الأرض بعد أن مزقت نيران المدفع الرشاش صدره.

عدنا ثانية إلى الموقع وقمنا بالحفر بهمة ونشاط لدفن الزملاء كل واحد منهم بحفرة إلى أن وصلنا لجثمان الرقيب تادرس فطلب منا الضابط حسن رمزى عمل صليبية من الخشب توضع على الحفرة التى يدفن بها لتمييزه عن باقى الحفر التى بها مسلمون وتأكد لنا جميعا أن الإسرائيليين حملوا جثمان الشهيد الرائد خالد وزوجة الجاسوس.

الضابط حسن رمزي :

تحركنا منتصف الليل فى إتجاه جبل الحلال، لقد فقدنا ضابطين وسبعة عشر جنديا ولم يتبق معنا سوى الجندى سمعان الذى كان يحمل بعض متعلقات الرائد خالد لتسليمها إلى أسرته فى حال إذا كتبت لنا النجاة وبرفقتنا تسعة من الجنود الأشداء (عوض أبو الروس، مصطفى خربوش، سيد المشط، إبراهيم المعسل، عبده محارة، محمود كورنيشه، فؤاد المونجى، سعيد دخميسى، عباس السندي).

لقد أصبحت قائدا لبقايا الوحدة المنسحبة، أمامى مهام صعبة، كل فرد يأتى إلى يسأل ويطلب وكان الضابط حسن رمزي معه عصا سحرية، ألا يكفى ما واجهناه من ضربات قصمت ظهر الوحدة وخرجنا من المعركة دون عائد وخسرنا سبعة عشر جنديا من أحسن الجنود والرقيب تادرس الذى كان يتميز بالعقل والحكمة والإتزان بالإضافة إلى النقيب فرج نمث الأخلاق الذى كان يعالج كل مشاكل الجنود بهدوء دون عصبية أو توقيع العقوبات على المخالف، أما قائدنا الهمام الرائد خالد هذا الضابط الشجاع الذى نال الشهادة بعد أن صعد للتل المحيط بموقع السرية كى يعلم ما يدور من حولنا ولم يجلس ويرسل بأحد من رجاله ليقوم بتلك المهمة.

أشاهد الضابط صبحى قادما فى إتجاهى يقفز بخطواته الرشيقة مع تمتعه بروح معنوية عالية وروح دعابة يغذى بها الجنود ليرفع بها من هاماتهم، توقف أمامى وهبط أرضا على ركبتيه ينظر فى وجهى لعله يرغب بمعرفة ما يخبئه القدر، قبل أن يتحدث أشار كعادته بيده اليمنى فى الهواء كأنه يخبر من حوله بأن إنصتوا واستمعوا لما سوف أقوله:

- حضرة الضابط حسن، خطتك إيه؟

- لسه يا صبحى .. لا خطة ولا يحزنون، لكن همى الأول المحافظة على حياة الرجاله إالى معانا، مش كفايه إننا محاربناش وكانت الطامة الكبرى الخسارة فى البشر، شىء محزن.
- ولا محزن ولا حاجه.
- بتقول إيه يا صبحى، كل إالى ماتوا كان لهم علاقة قوية بينا استمرت سنتين وإحنا فى اليمن ومكنش فيه حد جديد بينا غير الراند خالد رحمه الله، كان ظابط شجاع وشكله يفتح النفس، منظر ظابط بصحيح.
- إسمعى يا حضرة الظابط حسن.
- بلاش حكاية حضرة الظابط.
- لازم يا فندم، أنت بقيت القائد دلوقتى ولازم الجميع يعطيك قدرك عشان التعليمات تتنفذ بكل جدية.
- طيب عايز تقول حاجه، شكلك وأنت جاى ناحيتى بيقول أن فيه فكره فى راسك، صحيح وإلا أنا بأخمن.
- صحيح، فكرة أعتقد أنها تستحق أننا ندورها فى راسنا ولو عجبتنا نقوم ننفذها.
- تقضل وقول فكرتك يا صبحى.
- دلوقتى إحنا محاربناش ودفعنا خسائر كتيره.
- أيوه صحيح.
- الخسائر شهدا عند ربنا منقدرش نرجعهم لكن الحرب لسه شغاله وممكن نشارك فيها.
- بالوضع التبعان إالى إحنا فيه؟
- أيوه يا فندم.
- إزاي؟

- قبل ما أقول إزاي نلم العساكر ونقعد ونتكلم معاهم عشان ما يحصلهمشى إحباط.
- موافق.

- عشر دقائق وأجمعهم وندخل فى الفتحة إالى بين الصخور نستريح من حرارة الشمس وكمان نختفى عن عيون طيارات اليهود.
- منتظرك يا صبحى ومعاك رجالتنا الجدعان.

أشاهد الضابط صبحى يقوم بالمرور على الجنود الذين يجلسون فرادى فى حالة من الكسل واللامبالاه، البعض ينام أرضا وبدا لهم أنهم فى طريقهم للهزيمة وأن مصيرهم لن يقل عن مصير زملائهم الذين شاهدوهم قتلوا أثناء قصف الطائرات والمدفعية المعادية.

منظر صبحى يثير الضحك رغم ظروفنا تلك، فشكله ينبأ بشخصيته، نحيف القوام يسير بنشاط لكن فى خطوط متعرجة فكثيرا ما ينحرف هنا أو هناك ثم ينحن ويمسك بزلطه يصوبها نحو أحد الجنود مكيلا له السباب بكل ما يطرأ على باله من كلمات سوقية كانت دائما محل إنتقاد الرائد خالد، ينهض الجندى ويزعن لأمره ويتوجه لتنفيذ الأمر بالتجمع فى المكان الذى كنت أجلس به بين الصخور.

اجتمع الجنود العشرة بالإضافة إلى الضابط صبحى الذى تحدث بالإنيابة عنى ثم تطرق إلى شىء بعيد عن ذهن الجميع مسترشدا بسيرة الرسول عليه السلام وما حدث بعد الهجرة وصلح الحديبية، ثم وجهه صبحى كلامه إلى الجندى (سعيد دخميسى) :

- سعيد، بصفتك درست فى الثانوى الأزهرى وكنت إمام متطوع للصلاة بالناس يوم الجمعة فى كفر عبده بلدكم بالإسكندرية وكنت دايمًا متعرفشى مكان القبلة الصحيح ممكن تعرفنا بصلح الحديبية :

تحدث سعيد عن هجرة الرسول وأفاض فيما لاقاه المسلمون للهجرة ومطاردة الكفار لهم ثم عرض نقاط الصلح التي تركزت في نقاط أربع:

الأولى : عدم دخول مكة هذا العام وعودة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وإذا أقبل العام القادم دخلها المسلمون بالسلام والخيول والجمال، فأقاموا بها ثلاثاً.

الثانية : وقف الحرب بين الطرفين عشر سنين ، يأمن فيها الناس من شر المعارك (هدنة) .

الثالثة : من أحب أن يدخل في عقد مع محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد مع قريش وعهدهم دخل فيه

الرابعة : من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه رده إليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرد إليه.

أشار صبحي إلى سعيد بالتوقف وقال للجميع : قدأما إلى حدث مع الرسول النقطة الرابعة هيا المهمة، المسلمين إلى أسلموا لم يوافق الرسول أن يظلوا معه في المدينة تنفيذاً للإتفاق مع الكفار، كثر عدد المسلمين فتجمعوا بره المدينة وعشان يعيشوا قاموا بقطع طرق الكفار ودخلوا في معارك معهم بهدلت تجار قريش وخسرت تجارهم فلوس كتيره فإبضر الكفار بأن يطلبوا من الرسول الموافقة على ضمهم للمسلمين لحين دخول مكة السنة الجايه؟ إيه رأيك يا حضرة الضابط حسن؟

- أيوه يا صبحي، ده ماله ومال وضعنا.

- إحنا بقينا زى المسلمين إالى خارج المدينة وحكم قريش يمنعهم من الدخول لها
نعمل زيهم، نحارب ونقطع الطريق وبكده نكون ساهمنا فى المعركة وأخذنا بتار
زمايلنا، رأيكم إيه يا رجاله؟

- (جموع الجنود) .. هيا دى عايزه رأى، جينا للحرب ومحاربناش، فرصه
نحارب ولو قدرنا نموت كام عسكرى إسرائيلى حتى لو متنا نبقى حاربنا وأخذنا
بتار زمايلنا.

- طيب ح نخط الخطة، لازم يكون معانا سلاح وأكل وشرب، نقسم نفسنا، جزء
يرجع الموقع يجيب الرشاشات المتوسطة بنخيرتها وجزء يدور على ميه وأكل
وجزء يفضل معايا نراقب العدو ونشوفه بيعمل إيه لحد ما بييجى الوقت المناسب
للمعركة .

هكذا تحرك الرجال تحت قيادة الضابط صبحى يرتدون الملابس المدنية وليس
مع أى واحد منهم تحقيق الشخصية العسكرية وطلب منهم حين لقاء الإسرائيليين
فجأة عليهم التحدث بلهجة أبناء اليمن الأقرب للهجة أبناء سيناء والبعيدة عن اللهجة
المصرية والتي يجيدون التحدث بها بعد قضاء عامين باليمن.

سار الرجال بعزيمة ونفضوا عن كاهلهم حالة الحزن من أثر الهزيمة وفقد
العديد من زملائهم وها هم يستعدون للأخذ بالثأر ويبدأون أول طريق لهذا العمل
المقدس بتوفير الإمكانيات.

بعد مسيرة استمرت طول الليل وصل الرجال فى صباح اليوم التالى إلى الموقع
المدمر وشاهدوا آثار التدمير التى لحقت بالمدركات الخاصة بهم، توارى الرجال

بداخل الصخور المحيطة بالمنطقة بعد أن شاهدوا عدداً من عربات الجيب الإسرائيلية قادمة نحو المكان، وصلت العربات وقام بعض الجنود بالتفتيش في المنطقة للبحث على شيء ما ولم ينجحوا في هذا، أصاب رجال الإستطلاع الخوف والرغبة بأن يكتشف الإسرائيليون تواجدهم ورغم هذا سمعوا حواراً بين أحد الضباط الإسرائيليين وجنوده وكان باللهجة المصرية :

- مافيش أثر لهم سيادة النقيب

- إزاي؟ يعنى راحوا فين؟

- يمكن المصريين أسروهم.

- ح يأسروهم ويروحوا بيهم فين، لو حصل ح نكتشف الحكاية عند قناة السويس الدوريات بتاعتنا وصلت الشاطئ الشرقي للقناة، آخر إشارة من جهاز الإتصال معاهم توقفت في المكان ده، وده إللى خلى الإستخبارات العسكرية تكلفنا بالبحث عن سلومه وليليان مراته.

- نقوم ندور تانى.

- لا تانى ولا تالت، كفايه كده، الجميع يركب العربات ونعود لنبلغ القيادة بعدم العثور عليهم.

بعد تحرك الداورية خرج الرجال من مخابنهم وحمدوا الله على عدم كشفهم كما أسعدهم مقتل الجاسوسين لكن السؤال الذى تبادر إلى الذهن : أين جثمان الرائد

خالد؟ تفتق ذهن أحد الرجال بإستنتاج من إحتمال أن بعض الجنود المنسحبين شاهدوا جثامين الرائد خالد وسلومة الجاسوس ترافقهم زوجته ليليان وأطلقوا عليها النار وقاموا بدفن الثلاثة فى رمال سيناء الشاسعة.

هكذا إستطاع الرجال الإفلات من هذا الموقف وإستطاعوا تجميع العديد من أدوات الحفر والمدافع الرشاشة الثقيلة والذخائر وبعض الأغراض من بوصلة ونظارة ميدان وعادوا لموقعهم وعلموا أن سيناء تم إحتلالها بالكامل ولم يعد أمامهم مفر سوى القتال أو الإستسلام للعدو، ولهذا إستمر سيرهم طوال الليل.

لم يتبق أمام الرجال سوى عشرون كيلومتر بالتقريب للوصول إلى الموقع المختار الذى سبق وأن تم إقامتهم به، ساعدهم الطقس الليلي منخفض الحرارة على السير دون مشقة مع الإمتناع عن الحديث وكان سيرهم فى وضع الإنتشار كى لا يقتنصهم العدو دفعة واحدة ولا يستطيعون المقاومة.

منذ عدة ساعات إستطاع الرجال الذين يبحثون عن الطعام والماء العودة إلى موقعهم بعد نجاحهم فى الحصول على أطعمة جافة متبقية من مواد إعاشة إحدى الوحدات المصرية كما إستطاعوا التوصل لمكان إحدى بيارات المياه وقد ميز تلك البيرة إختفائها عن أعين دوريات العدو حيث تتوسط منطقة كثبان رملية كثيفة لا تسمح بدخول الدوريات إليها كما عثر الرجال على بعض الأغراض الخاصة بجنود مصريين ولهذا تركوا كميات كثيرة من الأطعمة الجافة بالقرب من بيرة المياه لعدم مقدرتهم على حمل الماء والطعام معا وأنهم يستطيعون العودة ثانية بعد عدة أيام وحمل المتبقى من الأطعمة.

صباح اليوم الثالث لبدأ تنفيذ خطة مقاومة العدو بنظرية حرب العصابات التي تدرب عليها الرجال أثناء القتال في حرب اليمن أصبحوا مزودين بإمكانيات تساعد على الحياة وتنفيذ بعض العمليات الجريئة بأقل خسائر وقرر الضابط حسن رمزي أن تتم تلك العمليات قريباً من سلسلة الجبال الفرعية القريبة من جبل الحلال حتى لا يفاجئهم العدو في الأماكن التي يحاربون فيها وبالتالي سوف ينفذون عمليات الكمان ثم الإسراع بالفرار مستغلين طبيعة وتضاريس المنطقة الجبلية للإختفاء عن أعين العدو وتفادي مدركاته والإحتماء من طائراته وعليهم إستغلال الليل للتحرك فرادى حتى لا يقتنصهم العدو دفعة واحدة.

السياسة والعداء بين البشر

الرائد خالد :

أسدل الليل ستارته على الصحراء وبدى لى أنها ليست بصحراء سيناء القاحلة أثناء النهار، لقد كانت رائعة مع نسيمات الليل البهيج بعد أن طردت حرارة النهار الدامية وضونها الشديد الذى يحرق عدسات العين حين النظر نحوها مباشرة، أثناء السير كنت متقدما عن ليلى مسافة عشرة أمتار على الأقل بناء على رغبتها ومازالت تسير خلفى وبيدها المسدس فى وضع الإستعداد مما كان يسبب لى الضيق والضجر لكن ليس أمامى مفر من هذا وتأكد لى أننى الأسير والمضاق إلى معسكر الأسرى بيد سجانة مصرية الأصل جميلة لكنها يهودية الديانة إسرانيلىة المذهب والاتجاه.

وصلنا إلى الهدف الذى كنا فى الطريق إليه منذ ساعات عدة، قامت بتبريك الجمل وأشارت لى لانزال أغراضها من فوق ظهره، قمت بتنزيل السرج الذى يوضع على الناقة ليجلس عليه الراكب والحبل أو الرباط الذى ينسج من الصوف المعقود الذى يوضع على الإبل ليقاد به و(الغبيط) وهو المكان الذى تجلس فيه المرأه فوق الجمل والذى يوضع فوق ظهره.

نفذت ما طلبته منى بعدها طلبت منى جمع بعض العشب الأخضر الموجود بالمنطقة وعلى الإحتراس من الأفاعى والعقارب التى تاوى أسفل مجموعات العشب تختبئ به، عُدت بعدها وألقيت بالعشب أمام الجمل فأنهمك فى الطعام بينما بدأت فى تنفيذ تعليمات ليلى بإعداد الخيمة كى تستريح بها خلال الليل، أمرتنى أن

أسير أمامها حاملاً وعاء لملأه بالماء من عين مياه قريبة لا تبعد عشرون متراً،
تحركت نحو العين.

لقد تأكد لي مساوئ السياسة والسياسيين، أشاهد تصرفات ليلي معي وأقارنها
بصديقتي الصغيرة (صفية) اليهودية أثناء مرحلة المراهقة بنادى الجزيرة، كانت
رفيقة معي بل كانت تتبعضني مثل القط الأليف ولا يبدر منها أى شئ يسبب لى
الضيق، وفى كل لقاء يتم بيننا كانت تحمل لى بعض الحلوى التى يعدها والدها فى
ورشته كى يقوم بتسليمها للمحلات الفاخرة، رغم أنها كانت تعلم أن والدها لن يغفر
لها هذا الصنيع لأنها بذلك تبذل مدخراته رغم أن قطعة الحلوى تلك كانت صغيرة
الحجم تنتهى فى قضمتين فقط وكانت تحصل عليها من أمها التى كانت تجمع
حواف صوانى الحلوى الشرقية المحترقة من جراء التسوية وتوزعها على أطفالها
وتقوم ببيع المتبقى للجيران بسعر خصم ٥٠% عن مثيله بالمحلات.

لم ترفض لى صفية أى طلب أو رغبة، حينما كنت ارغب بتنفيذ بعض وصايا
وبصائح أصدقائي من أعضاء النادى معها لم تكن تغضب حين أقترب منها محاولاً
إحتضانها أو تقبيلها قبله صغيرة أو أمسك يدها أثناء التنزه معاً، لم تطلب منى فى
يوم من الأيام أن أبتاع لها هدية أو حلوى وفى إحدى المرات رغبت فى إختبارها
حين بث صديقى الشك فى صدرى بأنها تبغى من ينفق عليها، عرضت عليها شراء
أى شئ ترغبه من أحد محلات وسط المدينة قريباً من محل جروبي رفضت هذا
وشكرتني كثيراً على مشاعري.

أعتقد أن صفية الآن فى مثل عمر ليلي وفى نفس مقومات الجمال التى يميز ليلي
وهو جمال فاتن صارخ يناشدنى بالألا أعبت بتلك الفتنة أو اتصرف بتلك الغلظة.

أذكر أنني التقيت بصفية قبل زواجي بعدة أيام مصادفة بشارع عدلي بالقاهرة بعد أن إنتهت من أداء الصلاة بالمعبد اليهودي، كانت مصادفة سارة واقتربت مني مصافحة واشادت بوسامتي وصحتي خصوصا بعد أن أخبرتها بأنني عدت من فينا منذ عشرة أيام بعد قضاء فترة علاج طويلة من أثر الحرب.

أخبرتني أنها تزوجت وأن زوجها سافر كي يجرب حظه في الهجرة للعالم الجديد ولهذا سافر إلى إستراليا وتركها منذ أربعة أعوام ولديها طفلة صغيرة تجاوزت الأعوام الخمسة وأكدت لي أن زوجها (شمعون) تناساها وإنشغل بحياته هناك، لأن هذا سلوكه الذي يميزه ويقدره في جمع الأموال.

ضحكت لهذا فتسائلت لماذا تضحك؟ أخبرتها بأن تلك صفة سائدة بين يهود العالم، أيدت حديثي وتعتقد أنها المستثناء من تلك الصفة لأنها تحب الحياة ومن يحب الحياة لا يهتم بالنقود ومن يسعى للمال لا يحب الناس ولا العطف عليهم.

تسائلت صفية بخجل، هل من الممكن أن تعود صداقتنا كما كانت في الماضي أخبرتها بكلمات قليلة منتقاه حتى لا أكر عليها أحلامها بأن هذا شيء صعب للغاية نظرا لما يشوب العلاقة بين مصر وإسرائيل وأنا ضابط بالجيش المصرى ولا أعتقد أن الجهات الرسمية فى الدولة سوف تسمح لى بهذا، شاهدت نموع الأسى فى عينها وعادت بى أشواق الماضى للحاضر وكادت تلك الأشواق أن تدفعنى للتمادى فى المستقبل، تنبهت وتسائلت بداخلى : ما خطب حبيبتي وخطيبتى فريال تلك الفتاة الجميلة ذرة الله فى الأرض.

حدث وداع بتشابك الأيدي التى لا تبغى الانفصال ومع كلمات الوداع مازالت القلوب ونكريات الماضى الجميل تؤثر على سلوك الأعضاء بتشابك الكفين بل وصل التشابك إلى الساعدين وكاد أن يحدث تقارب أكثر لولا نفر من الناس طلب منا أن نتواري بأحد الأجناب كى نفسح للناس طريقا للسير أو نتوجه لكورنيش النيل الحالم ونقضى وقتا بعيدا عن أعين الناس..

عند هذا الحد إفتقرت الأيادي ومازالت يدي ممدودة فقد يصيبها الطول وتعود ثانية تتشابك لكن لم يحدث هذا وظلت العيون تتشابك رغم تقاطع سير الناس بيندا رغم أن دموع الفراق بدأت تحجب الرؤيا رويدا رويدا حتى أصبحت أقف فى الشارع ماذا يدي للأمام ولم أنتبه إلا على صوت رجل يحدثنى بأنه من الواجب على أن أعمل وألا أقف هكذا طلبا للصدقة من المارة!!..

تلك الليلة لم أستطع زيارة فريال، لقد كانت الهيئة التى كنت عليها تنبأ بما أقاسيه وفضحتنى قسماات وجهى وما عليه من مشاعر امام أمى التى تسألنى ماذا ألم بى وهل حدث مكروه لأحد الأصدقاء جعلك فى حالة من الإنفعال بدت على قسماات وجهك، أخبرتها بأن أصدقائى بخير لكنى شاهدت حادث بين سيارة والترام ولهذا أصابنى التوتر والضيق فتركنتى وعادت بعد قليل تحمل كوبا من الليمون كى يهدأ من حالى..

تنبهت من أحلام المراهقة الجميلة التى لا تكلفنى أى شئ وتترك العنان للخيال ليطير فوق السحاب بينى قصورا وحدائق، تنبهت على صوت حاد يطلب منى التوقف عن السير، توقفت وتنبهت بأننى مازلت أسيرا أى مسجوناً وتذكرت مساجين السجن الحربى وكيف كانوا يتلقون الأوامر ولم أشاهد سجيناً واحداً تم

تصويب السلاح فى ظهره مثل حالى والكلايشات فى يديه، إقتربت ليلى منى
ونظرت بجانب وجهى وتسانلت:

- ماشى كده ولا شاعر بالدنيا ولا خايف أنى فى أى لحظة أنشك رصاصة فى مخك
وإلا قلبك وأجيب أجلك، إحنا عدينا عين الميه وقلت أشوفك رايح فين.

- إيه القرف بتاعك ده، كلامك ناشف ويضايق أى واحد، ما قلت لكى طلعي
الرصاصه من غير إحم ولا دستور، أنتى ناويه تنشفى دمي كل شويه بالقلاليل إالى
طالعاه من لسانك الزالف.

- أنت بتشتم يا خالد؟

شاهدت يدها ترتفع بسرعة راغبة بأن تضربنى مرة أخرى بظهر المسدس على
رأسى لكنى كنت أسرع منها وقبضت على معصمها وألقيت بها أرضا وسمعت
صرختها المكبوتة تتوعدنى ورغم هذا جثمت فوق صدرها ونزعت المسدس من
يدها وقذفت به بعيدا متسانلا :

- أعمل فيكى إيه دلوقتى؟ بقيتى من غير المسدس وممكن أضغط على رقبتك الحلوة
ديه وتنتهى حياتك بعد كام دقيقة.

- كده يا خالد، تعمل فيا كده، بعد ما حبيتك تقوم تغدر بيا، ح أطلب من النبى موسى
يسامحك.

نهضت من فوقها وجلست بالقرب منها وأخبرتها بأن المسدس خلف ظهرك ويمكن تآخذه وتعملى إالى أنتى عيزاه، نهضت ونفضت الرمال عن ملابسها وإقتربت منى وبهمس مثير أخبرتنى بأنها كانت تشعر بسعادة أثناء هذا العراك كنت أشعر بقلبك ينتفض بصدرك، خلىنا آدم وحواء وبلاش إبليس يدخل بنا، كدت أصرخ بها، أنا معملتش أى حاجه، أنا زى ما أنتى عايزه، ضحكت بصوت خفيض وإقتربت منى ووضعته يدها على ركبتي وهى تقول:

- عايزه بعد كده تعمل إالى أنت عملته من شويه، كان حلوا يا خالد.

بعد هذا جلست هامة ونظرت لأسفل ولم تتحرك فنهضت وعثرت على المسدس ونفضت ذرات الرمال من عليه وهددت على كتفها وناولته إياها، نظرت لى ولم تأخذ المسدس وعندما طلبت منها أن تأخذه خطفته منى وألقت به خلفها وأمسكت بيدي وطلبت منى الجلوس وجذبت يدي لأسفل، جلست ونظرت فى عينيها وسحر الليل بالصحراء له قوانينه والخلوة لها تأثيرها، كنت أنظر فى عيون صفية وليس فى عيون ليلى، شعرت السيدة أننى سعيد بهذا فرطبت على خدى بيدها ولبمسات رقيقة طيبة، قطعت الصمت قائلة :

- خالد، أنا بأحبك، أقولها تانى، أنا بأحبك مووت، شفت إزاي أنا شجاعة وأنا الست وأنت الراجل ومرضتشى تقولها، قولها يا خالد خلىنى أشعر بالأمان، متعرفش شعور الست لما تفقد الأمان، عايزه أشعر أن الراجل إالى موجود معايا هو الأمان وأنه ليا وحدى وأنا مستعدة لكل حاجه، متعرفشى لما الست بتحب بتعمل إيه ولما تكره بتكون زى النمر المفترس، أرجوك خلىنى قطة سيامى وديعه وبلاش النمر

لأنه ح يقضى على إالى بيحبه ويمر نفسه كمان، ساكت ليه .. هه .. خالد .. رحت
فين.

- أنا جنبك يا ليلي، كلامك جميل وتصرفك أحلى لكن يابنت الناس الحب عايز
الأمان، إزاي أحبك وأنتى ماسكه المسدس وتقولى ليا رصاصه واحده فى راسك
وإلا قلبك وأجيب أجلك، ده بيقى حب .

- إعذرني يا خالد، شوف رغم حكمك عليا كده لكن عمرى مكنتش لوحدى ومن غير
راجل يحمينى، سبت أبويا لقيت سلامه ومات سلامه لقيتك، إزاي تسيينى لكلااب
السكك تاككنى، خليك جانبى ربنا يرضى عنك .

- خلاص يا ليلي، ليلي .. إيه إالى بتعمله ده، ميصحش تبوسى إيدى، أنا جنبك
وربنا يساعدى أنى أحميكى من أى حاجه.

- خالد، خدنى فى حضنك ودفينى، أنا حاسه برعشه وشاعره ببرد شديد، خالد ..
قرب منى .. ساعدنى أروح الخيمة، هات كل اللبس والغطا وحطهم فوقى.

نفذت ما طلبت وتأكد لى أن السيدة أصابتها رعشة ورجفة شديدة وبدا لى أن
العرق الغزير بدا يتصبب من جبهتها، تأكد لى أنها مصابة بالمalaria أو أخذت
ضربة شمس أثناء سيرنا خلال هذا النهار، قمت بعمل كمادات باردة لتخفيف درجة
الحرارة وحاولت أن أعطيها جرعة ماء لكنها لم تستجب، شعرت بأن أسنانها تصك
ومازالت درجة الحرارة مرتفعة، ظللت بجوارها خلال الليل وكنت أتمنى بكل
إخلاص أن تشفى من وعكها تلك فلست جباناً كى أتركها بهذا الوضع وأهرب

منها، اليوم التالى بدأت تشعر بألم فى معدتها وخشيت أن تكون حامل لكنى تذكرت أن سلومه لا ينبج فاستبعدت هذا الخيار.

مازالت متنبها متنبعا حالتها محاولا العثور على أى شىء يساعدنى لتخفيف آلامها، مضى اليوم الثالث على تلك الحالة ولا أملك لها نفعاً سوى عمل كمادات باردة تطف من درجة الحرارة، كنت من حين لآخر أهدهد على كتفها وبعض الحالات أدلك كفيها بل كنت أداعب شعر رأسها، كنت أشعر بحنين نحوها وبشئ غريب وتأكد لى أن هذا ليس بعطف لكنه الحب، لقد بدأت بواده تظهر على السطح بعد أن همدت قوتها وصراخها وتهديدها لى من حين لآخر، ظهر الآن الضعف الإنسانى والأنوثة الهادئة والرغبة الصادقة فى طلب العون والإحتماء بى.

ليلى :

أشعر بأن مفاصل جسدى تؤلمنى بل فى بعض الأوقات أشعر بالآلام أسفل البطن انتبه فى بعض الحالات وأشاهد طيف خيال يجلس بجوارى بل من حين لآخر أشعر بقطعة من القماش مبللة توضع على مقدمة الرأس وأتسال من يكون هذا الشخص الذى يجلس بجوارى؟ أخشى على نفسى بأن يكون أحد ذئاب البشر شاهدنى بمفردى وأقبل نحوى يرغب بى وأنا على تلك الحالة من الضعف والهزال.

أشعر فى بعض الحالات بدرجة حرارة مرتفعة والعرق الغزير يبلل ملابسى أرغب فى التوجه لقضاء حاجتى ولا أستطيع أن أطلب من هذا الشخص الغريب القابع بجوارى أن يساعدنى على هذا، فالخجل يمنعنى وكبريائى أوقف لسانى عن طلب تلك المعاونة الهامة، أحاول إستعادة تفكيرى وأتسائل أين أنا ومن يجلس

بجوارى ويحرك يديه من حين لآخر نحوى، ماذا يفعل بى وهل تجرأ على لمس جسدى وإذا تجرأ ماذا على فعله فلا أشاهد أحدا بالقرب منى يساعدنى إذا إحتجت العون ولا مغيث لى ولا أستطيع رفع صوتى بطلب العون، أشعر بأن حالة الإغماء تعاودنى، بل توقف النظر وأسمع أصواتا سمعتها من قبل ولم أتبين لمن تخص.

تنبهت من غفوتى على لمسات طيبة على كتفى بل وصل إحساسى بأن من يجلس بجوارى يقبل يدى ومازال يضع قطعة قماش مبللة بمياه باردة على جبهتى لقد تذكرت، أن من يجلس بجوارى هذا المصرى الأسير، يجب على النهوض وتسليمه لمكتب الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية، كيف يصل حالى لأن أصبح جثة هامدة وسجينى يجلس حر طليق، كيف لا يهرب وقد أصبحت فى تلك الحالة ما الذى يمنعه، أنظر إلى يديه فلا أجد الأغلال الحديدية التى كنت قد وضعتها حول معصمه بعد القبض عليه، أشعر بعودة حالة الإغماء.

تنبهت ولم أجد الأسير بجوارى، لقد هرب المجرم، لابد من النهوض والبحث عنه، سوف أحاول، بعد مجهود جلست شبه مترنحة فشاهدته نائما بالقرب منى وكيف ينام بهذا الوضع؟ أعتقد أنه كان جالسا وغلبه النعاس، سوف أتذكر إسمه، لا أستطيع، سوف أقبض على بعض الرمال وأقنفه بها، لقد نجحت التجربة وأشاهده قد نهض من نومه وعلت الإبتسامة وجهه فأشرق وأقبل نحوى سعيدا فرحا يقبل رأسى ووجهى يعطرني بكلمات طيبة كنت أسمعها من أمى.

الآن علمت من هو، إنه الضابط المصرى خالد، ينظر إلى بعين ساهمة يعرض على ما أريده، هل أصارحه برغبتى بحاجتى الملحة لقضاء حاجتى أو أمتنع لكنى فى شدة الإحتياج، سوف أتشجع وليكن ما يكون :

- خالد.

- أيوه يا ليلي، عايزه حاجه؟

- مكسوفه لكنى محتاجاها أوى.

- قولى يا حبيبتي، عايزه إيه؟

- عايزه أعمل حمام.

- بس كده، من عيونى الإنتين.

تعالى معايا وبالراحة، أيوه كده، متسبش إيدى وخليكى سائده علياً، المكان ده كويس، ح أسيبك وأرجع بعد دقيقة أجبك شوية ميه عشان تتشطفى.

(ليلي) : أشاهده يسرع الخطى ثم عاد بعد أن أحضر عبوة الماء وسلمها لى وتراجع فطلبت منه الانتظار بعيدا وحين أنتهى سوف أنادى عليك، أشاهده يبتعد فشعرت بالأمان، أتلفت حولى لأتأكد أنه ليس هناك من يشاهدنى بل أن خالد إبتعد عنى حتى وصل للخيمة ويجلس بوضع مخالف وظهره نحوى، إطمئن قلبى وشعرت براحة نفسية عالية بعد تعامل خالد معى وإحترامه لخصوصيتى بل وتقبيله ليدى ووجهى، يا له من شاب رائع، أشعر بأننى إنتهيت مما جئت من أجله وسوف أنتهى بعد قليل من إجراء النظافة الشخصية وأطلب من خالد عونى لإعادتى للخيمة.

(خالد) : كنت أجلس فى إنتظار أن تنتهى ليلى من قضاء حاجتها وكنت أحاول أن أستمع لصوتها الواهن وكل فترة زمنية أنظر للخلف فأشاهدها أنها مازالت على حالها، بعد قليل سمعت صوتها ينطق بإسمى، كان الصوت ضعيفا ووصل إلى أذنى بكل صعوبة، نهضت واقفا وإعتدلت بالنظر نحوها وتساءلت هل إنتهيت يا ليلى فشهدتها تحاول الوقوف فأسرعت نحوها وأمسكت بيديها قبل أن تسقط أرضا من الإعياء، إستندت على وسرت بها ببطء نحو الخيمة لكنها لم تقوى على السير فسقطت أرضا فحملتها وسرت بها إلى الخيمة.

(ليلى) : أشعر بمنتهى السعادة حينما قررت إختبار مشاعر خالد نحوى وقررت عدم مقاومة السقوط ولهذا تركت نفسى فسقطت أرضا وأسرع خالد بحملى على يديه نحو الخيمة، كنت فى منتهى السعادة وعادت بى الذكريات ومشاهدة الأفلام المصرية والحبیب يحمل حبيبته على يديه ليلة الزفاف، تلك أول تجربة لى بأن يحملنى شخص نظرا لطولى الفارع.

من بين أهذاب رموشى كنت أشاهد خالد يسير وأنا محمولة على يديه ورغبة فى زيادة المتعة ومشاعر الأمان أمسكت جلابه بقوه يداى حتى إذا إنحنى كى يضعنى على الأرض فوق الفراش التى أنام فوقها وضعت يداى حول رقبته ورغم محاولته أن يفك اليدين المتشابكتين إلا أننى تشبست بهذا الوضع مما دفعه لأن يقترب منى أكثر حتى نمت أرضا وعمل على فك يداى بكل نعومة ورقة ثم تلى هذا قبلة حانية على خدى وهدد على صدرى لأول مرة شعرت بعدها بسعادة وأننى فى حماية الحبيب ودخلت فى نوم عميق.

خالد :

بعد أن إنتهيت من تلك المهمة بحمل ليلى إلى مضجعها جلست متعباً من كثرة المجهود نظراً لنقل وزنها رغم أن جسدها ناعم وبه ليونة لكن الثقل شيء آخر كنت في دهشة بأن الإنسان يستطيع أن يكون ملاكاً وعلى العكس وفي الغالب بل ومن الأسهل أن يكون شيطاناً عتيداً، تلك كانت حالة ليلى والتي شعرت بأنوثتها ورقتها وجمالها بعد أن أصابها المرض وهذا عنفها نحوى، لماذا لا تظل هكذا وهذا السلوك يتمشى مع الأنوثة والرقّة، لكن الحمد لله أنها شديدة وعنيفة لأن رقتها وأنوثتها لاتقاوم ولدى رغبة شديدة من الإنتهاء من هذا الوضع الشائك.

مازالت ليلى تغط في نومها والاحظ أن قسمات الوجه هادئة عن ذى قبل، أعتقد أنها كانت فى اشد الحاجة لقضاء الحاجة فهذا شيء هام للإنسان خصوصاً أن الأطعمة الجافة التى نتناولها منذ خمسة أيام تجعل الإنسان يشعر بالتخمة وأن معدته غير مستريحة وتلك هى اطعمة الطوارئ التى تستخدمها الجيوش، دخلت فى نعاس مفاجيء ومازلت بوضع الجلوس قريباً من خيمة ليلى، تنبهت على ضوء الصباح من حولى وشعرت بسعادة لهذا الضياء الإلهى الذى يعطى الإنسان الأمان.

أثناء غفوة سريعة تنبهت على صوت أحد يتحدث يرافق هذا الصوت حركة من حولى وحين فتحت عيناي شاهدت فتاة سيناوية يقترب عمرها من العشرين عاماً ترعى الأغنام ووقفت أمامى تلقى بالتحية، حين تنبهت رددت تحيتها.

- و عليك السلام.

- ممكن أجيب ميه للغنم من البير وأعود تانى.

- تفضلنى.

- مَرَّتْكَ إِلَى نَائِمِهِ؟

- أَيْوَه، بَسْ تَعْبَانِهِ وَبِعَافِيهِ شُوِيَه.

- خَيْر، مَا أَصَابِيهَا، مَمَكْنْ أَشَوْفَهَا .. الْوَلِيَه سَخْنَانَه، لِأَزْمِ النَّامُوسَه عَضَّتْهَا.

- فَعَلَا عِنْدَهَا مَلَارِيَا وَزَى مَا أَنْتَى شَائِفَه حَالِنَا، مَعْنَدَاشْ عِلَاج.

- أَسْجَى الْغَنَمِ وَسَاعَةً زَمَنْ وَأَعُودَ لَكُمْ بِالْعِلَاجِ وَرَبِنَا حِ يَشْفِيهَا.

شعرت بسعادة غامرة أن أرسل الله لنا بتلك الفتاة كى تقدم لنا يد المساعدة ونحن فى هذا المكان ولم يحتاط أحد منا لمثل تلك الأحوال، كنت أراقب الفتاة التى كانت على مسافة ٣٠٠ متر خلف التل وتركت الغنم والماعز يجوارى ترعى من الكلال الكثير المتوافر مما أضفى على المكان الحركة والبركة بعد هذا السكون الحاد.

أشاهد الفتاة عائدة نحوى وتحمل وعاء من البلاستيك كبير الحجم ووضعت خوزة حديد قديمة تخص أحد الجنود وسكبت فيه الماء وبدا الغنم فى الشراب، طلبت منها أن تنتبه وألا يعلم اليهود بمكاننا ونحن هاربين من مدينة العريش.

- كُنْتُمْ مُوظِّفِينَ؟

- أَيْوَه بِنَشْتَغَلْ فِى الْمَدْرَسَةِ.

- مافيش يهود فى المنطجة دية، لكنهم بجالهم يومين بيدورا على دفعة هاجموا لورى
تعيين وجتلوا دفعه منهم كثير وسرجوا الحاجه إالى فى اللورى وتانى يوم الدفعه
المصريين هاجموا دورية من اليهود وجتلوا كام نفر وعورا إثنين عشان كده تلاجى
على الطريج المرصوف حركة ودبابات يامه وطيارات بتضرب فى كل مكان وده
إلى خلانى بجالى يومين ميروحش دارنا الناحية الثانية ولحد دلوجتى عايشة فى
دار عمتى، أروح أجيّب حاجه تخفف عن الولية مرتك وح أخلى الغنمات هنا تاكل
بس ح أخذ الكلب معايا يساعدننى ويحمينى.

هكذا تركت الفتاة المكان وتلاشى ظلها سريعا فهي خفيفة الحركة فى السير على
الرمال الناعمة ومازالَت الأغنام ترعى هنا وهناك، لاحظت على ليلى أنها تتقلب
على أحد الأجناب فقامت على مساعدتها وجفت العرق من على جبهتها وهددت
على كتفها مع تدليك المنطقة بين الكتفين من الظهر نظرا لنومها فترة على هذا
الوضع مما دفعها لأن تبدل نومها لشعورها بالهم.



الإمبراطورة فوزية شقيقة الملك فاروق ملك مصر

فريال السرجاني

مضى على قيام حرب يونيو ثلاثة أيام وتأكد للشعب المصرى أن الجيش هزم هزيمة منكرة، كما ظهرت بعض الصور بالجراند للعديد من الجنود المنسحبين من المعركة، كانت الصدمة شديدة على الشعب المصرى وأشد قسوة على من لهم أبناء وازواج بالجيش، أجلس فى المنزل أو بالعمل وأنا فى حالة سيئة، صديقاتى بجريدة الأهرام يقدمن لى المواساة والتهنئة بأن زوجى الحبيب قادم من الحرب وأنه بخير فلم يحدث قتال بعد تدمير الطيران بداخل المطارات ولم يشترك فى الحرب.

لم أعد أستطيع التفكير، كنت أنظر إلى طفلى مصطفى أثناء الرضاعة أو أثناء نومه وأحدث نفسى بأن هذا الطفل أصبح يتيم الأب ولن يراه والده أبداً وعندما يشب سوف يسألنى عن أبيه وما هى الإجابة التى سوف أستطيع أن أجيبه بها، إنها معضلة شائكة.

أشاهد أبى وقد تحجرت النموع بعينيه وظل صامتاً لا يتحدث سواء فرحاً أو حزناً، يقبل على الطعام دون شهية ويكتفى بتناول فنجان القهوة بل طلب زيادة عدد مرات تناول القهوة، رغبت بتقديم النصح لكننى تراجعته ولم أبغ أن يشعر بالضيق من حديثى معه.

اليوم الثانى عشر من شهر يونيو أعلن جمال عبدالناصر عودته للحكم وتحمل المسؤولية كاملة لما حدث، أسألت: ماهى المسؤولية التى سوف تتحملها أيها الزعيم هل تستطيع إعادة الأموات الذين قضوا نحبتهم إلى الحياة؟ هل تستطيع أن تعيد المصاب كما كان وتعود إليه ساقه المبتوره او ذراعه التى فقدها خلال الحرب؟

كنا على إتصال دائم بوكالات الأنباء العالمية ونقتطع الجزء المصرح بنشره ونخفي باقى الحقائق المرعبة، أعلم أكثر مما يعلمه عامة الشعب عما حدث بحكم عملى فى الجريدة.

شاهدت الصور المفزعة لعشرات القتلى من جنود مصر، شاهدت مئات الأسرى من الضباط والجنود، كانت مناظر بؤس وشقاء أن يحدث هذا لأبناء مصر من شباب الجيش ضباطاً وجنوداً، كنت أعلم أن مئات العائلات تبحث عن أبنائها وزوجات تبحث عن أزواجهن، لم تكن هناك جهة ما بالدولة تفى بالإجابة على الأسئلة المطروحة فجميع الأبواب موصدة أمام الناس.

حدثنى أبى بعد مِضى أسبوعين على نهاية الحرب متسائلاً :

- ما فيش أخبار عن خالد يا فريال؟

- للأسف يا بابا مقدرتش أوصل لأى حد مسئول يعرفنى بأى معلومات.

- طيب يا بنتى، ربنا معانا وإللى يجيبه مش ح نقدر نعدل فيه ولازم نقبل حكمه كفايه هزائم، عاصرت هزيمة حرب ٤٨ وكنت فى الخدمة وعرفت كل أسرار المعركة والفشل الذريع وطبعاً حرب ٥٦ كنت بالمعاش لكن أحمد مظهر لما جه وقابلنى يزورنى بعد نهاية الحرب عرفنى بحاجات كتير.

- ممكن يا بابا تكلم أونكل أحمد مظهر يمكن يعرف حاجه.

- هاتى التليفون رغم أنى عارف أن معندوش معلومات لأنه ترك الجيش من فترة
لكن السؤال واجب عشان نستقر على حال.

- تفضل يا بابا التليفون وأدى رقم تليفون أونكل مظهر .. لم يستطع أبى أن يشاهد
الأرقام بدقة فطلب منى طلب الرقم وحينما سمعت جرس التليفون سلمته السماعه.

- مساء الخير أحمد بك.

- أهلا يا فندم، مين بيكلم ؟

- أنا حشمت السرجانى.

- أهلا ساعات الباشا، ربنا يكرمك أنك فاكرنى وسمعتنى صوتك.

- شكرا يا أحمد بك، ليا رجاء لو أمكن تعمله أكون شاكر لحضرتك.

- تأمرنى ساعات الباشا، أنا رهن إشارتك.

- جوز بنتى الراند خالد شوقى من ساعة بدء الحرب وإحنا منعرفشى حاجه عنه
بنتى بتعيط كل يوم ومش عارف أساعدها وأنا فى حالتى دية ومعندش ليا حول ولا
قوة، قلت مين من أولادنا يقدر يساعدى وفكرت فيك، لو تقدر أكون ممتن لك ولو
فيه إحراج نفضل على حالنا وربنا يتولانا.

- أنا ح أعمل كل جهدى وح أكلم حسين الشافعى رغم أن الأمور ملخبطه فى
الرياسه، بس عايز أعرف الوحده بتاعته.

- حاضر ح أنده فريال تكلمك .. فريال .. تعالى يا بنتى كلمى أحمد بيك.

- إزيك يا أونكل

- أهلا فريال، ممكن تعرفينى بالوحدة إالى خالد شوقى كان منضم لها قبل الحرب.

- وحدته .. اللواء ١١٦ مشاه وكان قائد سرية إستطلاع اللواء.

- شكرا فريال وربنا يقدم إالى فيه الخير، تحياتى لسعادة الأميرالاي حشمت باشا السرجانى.

بعد إنتهاء المكالمة شعرت بنوع من الراحة ونحن فى إنتظار ما يخبئه القدر وليس بوسعنا فعل أى شىء سوى الإنتظار لحكم الله.

مضت الأيام بطيئة ثقيلة، وتعدى إتصال أبى باونكل مظهر أربعة أيام كنت أشعر بأنها فترة طويلة خصوصا حالة الإرتباك التى كانت سائدة فى الدولة وقد إتضحت الأمور وأن القتلى تعدوا الألاف والجرحى أكثر من ألف وخمسمائة أما الأسرى فقد ذكر البعض أنهم حوالى ألفى رجل ما بين ضباط وجنود، أين مصير زوجى من بين هؤلاء، هل يكون القدر رحيماً بى وبطفلى الرضيع بأن ينجو خالد من أتون تلك المعركة كما أنقذه الله من معارك اليمن الدامية.

هذا يوم لن أنساه أبداً، عُدت من عملى وإستقبلتنى الخادمة بوجه مكفهر على غير عادتها وأصابنى الخوف وتساءلت :

- إيه إالى حصل لبابا؟

- أبدأ ياستى، الباشا بخير بس تعبنا شويه.

- من إيه؟

- فيه واحد أفندى عليه الجيمة جه زاره بعد ما روحتى الشغل وجعد معاه مدة بسيطة وسمعت الباشا بيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، شكرا يا أحمد بيه، شكرا يا إبنى والأفندى خرج والدموع فى عينيه.

- بعدين حصل إيه؟

- الباشا نده عليا وطلب منى أوديه لسريره وجعد عليه، بعد شوية جلت أعمله فنجان قهوة رجعت لقيت دموع كتيره فى عينه ولما كلمته مشفنيش.

- ينهار، يعنى إيه، فقد النظر؟

- مش عارفه ياستى، من ساعتها وهو لا بيكلم حد ولا ببشوف حد.

- لطفك يارب، طيب ح أروح أطمئن عليه، الله يرحمك يا خالد.

دخلت بهدوء وحذر على والدى بحجرتة فشاهدته جالسا لا يتحرك، خشيت أن أحدث صوتا فازعجه، ظللت واقفه لفترة حتى شاهدته يحرك يديه لأعلى يطلب من الله أن ينزل صبره على فريال، إقتربت منه وتحدثت معه بهدوء وقبلت رأسه فتنبه لى وخاطبنى بصوت باك.

- فريال؟

- أيوه يا بابا.

معلشى يا بنتى، الخبر إلى عندى مش حلو.

- كل إللى يجيبه ربنا كويس.

- أحمد مظهر جه زارنى ومرضيش يكلم فى التليفون وحب يكون جنبى فى الظرف الشديد ده، الكلام ده حصل من حوالى خمس ساعات وقال أن الوحدة بتاعة خالد كلهم نالوا الشهادة، ح أقول إيه يا فريال، عليه العوض، ربنا معاكى ومعانا.

- طيب .. باباه ومامته عرفوا؟

- لا .. معروفش لكنى شاعر أن فيه حد عرفهم، يمكن زبيدة الخدامة قالت لهم.

- طيب إيه رأيك نتغدى؟

- مليش نفس.

- دا النهارده فيه أكل كويس وبعده على طول ح أعملك فنجان القهوة بتاعى ونكلم مع بعض.

- أنتى مش زعلانه.

- زعلانه طبعا لكن خالد ح يكون أحسن من مين، بابا .. بعد ماما محدش وصل حبى له زيهها، الله يرحمها.

- الحمد لله أنك بخير وربنا معاكى، خلاص بعد ما تجهزى الأكل إبعثى زبيدة تحرك الكرسى لحد السفرة لأن إيدى تعبانه شويه من ساعة ما عرفت الخبر.

- حاضر يا بابا.

غادرت حجرة أبى وعلى قدر إستطاعتى وصلت إلى حجرتى وإندفعت دموعى المحبوسه وخلعت قناع الصبر التى كنت أحادث به أبى، كنت أخشى على حياة أبى فقد تقدم فى العمر والضربات التى حدثت له منذ قيام الثورة بترك العمل والجلوس بالمنزل ساكنا محدد الإقامة ومرض أمى ووفاتها قد أثر كل هذا على هذا الفارس النبيل وأعلم مقدار حبه لخالد وشعوره بأنه الحامى لى حين يأتى موعد لقاء ربه.

بداخل الحمام إغتسلت من عناء العمل وتوضأت وجلست على السجادة أناجى الله بأن يجعل خالدا فى جنان الخلد مع الصّديقين والشهداء وأن ينزل سكنته على وعلى أبى وعلى والديه، كنت راغبة بأن أتوجه لزيارة والديه للأخذ بيديهم لكنى كنت فى حالة سينة للغاية ولا يجب على الظهور أمامهم بهذا المظهر الذى يدل على الضعف والإستكانة، يجب على أن أتصرف معهم مثلما فعلت مع والدى.

إرتديت ملابس المنزل وطلبت من زبيدة أن تعد السفرة لتناول الطعام وأن تتوجه للباشا وتدفع بكرسيه لمكانه بالسفرة وسوف ألحق بها بعد أن أطمئن على الطفل الرضيع الذى أصبح يتيما لفقد والده بالحرب حتى مكان الدفن سنحرم منه وبالتالي من زيارته وتجديد ذكراه، دخلت على مصطفى فشاهدته يسبح فى نوم عميق وعلمت أن الله أخبره بما وصل إليه حال والده وإنه يحيا بالجنة التى وعد بها الشهداء.

تناولت الطعام مع والدى وإستطعت أن أبعده قليلاً عن تلك المأسة وتطرقت
لتصرف وشجاعة أونكل مظهر وتقديره لوالدى ودفع هذا بأبى إلى أن ينخرط فى
سرد مآسر الضباط الشرفاء الذين كانوا تحت قيادته ومنهم أونكل مظهر وأونكل
حسين الشافعى.

جلست مع أبى بعض الوقت وقدمت له فنجان القهوة وتناوله بنفس راضية
وسبحان مغير الأحوال وأن الله قادر على أن يخفف المصائب عن البشر وإلا هلكت
جميع المخلوقات عند أول حادث لفقد عزيز عليهم وكما قال أحد رجال الدين
الأتقياء إن كل شىء يبدأ صغيراً ثم يكبر إلا المصائب فإنها تبدأ كبيرة فاجعة ثم تبدأ
فى الذبول يوماً بعد يوم حتى تصبح نكرى عند الأهل والأحباب.

دفعت كرسى أبى إلى حجرته وعاونته على أن يستلقى وادرت المروحة كي
ترطب الحجرة من حرارة شهر يونيو الشديدة، خرجت بهدوء فشاهدت زبيدة قائمة
تحمل مصطفى فحملته عنها وأعطيته من حبى وحنانى الكثير وبداخل حجرتى
جلست على السرير لأعطيه حقه فى طعامه الإلهى حتى تفصد العرق من جنبيه
ونام هاننا فقبلته ورفعته بوضع القائم على كتفى حتى تجشأ بعدها وضعت فى مهده
وتركته مع أحلامه كي أنهى المهمة التالية وهى إعلام وإخبار عائلة خالد
وموازرتهم والوقوف بجانبهم.

سألت زبيدة عن كيفية إخبارها لأسرة خالد فقالت أن والد خالد أقبل للقاء الباشا
وعندما فتحت له الباب نظر فى وجهى متسائلاً (خالد راح يا زبيدة) حركت رأسى
علامة التأكيد فترجع عائداً بعد أن إنهمرت الدموع الصامتة من عينيه.

اتصلت تليفونيا بمنزل والد خالد وجاء صوت أونكل شوقى وبعد أن قمت بتحيطه أخبرته بشخصيتى فرحب بى وسألته هل الوقت مناسب لزيارتكم الآن فرحب الرجل وسمعتة يحدث طنط سميحة والدة خالد بأنها فريال زوجة المرحوم وسمعت بكائها وهى تردد : خليها تيجى ومعاه مصطفى، الإنتين من ريحة المرحوم، إنتهت المكالمة وشعرت أن هناك حملاً ثقيلاً على أن أقوم به وهذا هو واجبى رغم أننى أحمل هموم الدنيا لكن الشباب له من القدرات التى تساعد على تخطى المحن والدروب.

جلست بعض الوقت أرتب أفكارى وكيفية لقاء والدئ الشهيد خالد، كلما وصلت لطريق أفضل فى التعامل معهما أراجع وأفكر بطريق وأسلوب آخر، أعياى علقى وفكرى، نفضت توترى هذا وحصلت على حمام منعش وتناولت كوباً من عصير الليمون وإستبدلت ملابسى بملابس قاتمة نسيياً ولم أضع أى مساحيق على وجهى كعادتى منذ سفر خالد إلى سيناء، نظرت فى عيون طفلى لعله يخبرنى بحال أبيه الآن لكنه كان فى عالم آخر مع الملائكة يبتسم لى كلما إقتربت منه.

بعد أن شعرت بأننى مستعدة لدخول تلك المعركة النفسية وبعد أن نال مصطفى عنايته فى ملابس كى يدخل السعادة على جديه حملته وغادرت الشقة بعد أن أخبرت زبيدة بمقصدى وما عليها سوى الجلوس بجوار حجرة أبى كى تلبى له طلباته وإذا حدث شئ لا تستطيع التصرف فيه فعليها الحضور إلى لتخبرنى حتى أتى على الفور لملاحظة أبى الذى كان يمر بنفس الحالة التى أعقت وفاة أمى.

طرفت باب شقة أونكل شوقى، بعد قليل فُتح الباب وظهر لى مرحباً بى وبمصطفى وتناوله منى وحصل على العديد من القبلات وسرعان ما شاهدت طنط

سميحة قادمة تكاد تتعثر فى سيرها حتى وصلت إلى فقبلتني واحتضنتني باكية وأونكل شوقى يعمل على تهدئتها مردداً :

- إحنا ما إتفقتاش على كده، لازم نقاوم الحزن.

- لا يا أونكل شوقى، خلى طنط سميحة تطلع كل إللى عندها، كلنا حزن على إللى حصل لخالد ومئات آخرين.

- صحيح يا بنتى، لكن عرفتم الخبر من مين.

قصصت عليهما الحوار الذى دار بين بابا وأونكل أحمد مظهر ثم عودة أحمد مظهر صباح اليوم حينما كنت فى العمل ولقاء والدى وإخباره بكل ما حدث معتذرا عن شعوره بالأسى أن يقوم بإيلاج والدى بخبر حزين وأنه لم يطاوع مشاعره بأن يخفى خلف التليفون ليبلغ أبى بالحادث وأنه قرر المجيء حتى يشاركنا أحزاننا.

شاهدت طنط سميحة تحتضن مصطفى كل فترة قصيرة تقبله بنهم وتردد ..

- أنت من ريحة الغالى، والنبي يا فريال تخلى زبيدة تجيبه ليا الصبح بعد ما تروحي شغلك، أنا ح أقوم برعايته ورضاعته ونصافته لحد ما تيجى من شغلك.

- بس ده جهد عليكى يا طنط.

- جهد إيه، خلينى أحلم بالماضى وأفكر وأنا بآربى وأرضع خالد لما كان فى عمره ربنا يدملك طولة العمر يا مصطفى.

تبدل الجو العام للقاء بعد تلك الجمل التي أعادت للوالدين الحياة بمشاهدة الحفيد
نظر الإثنان إلى الحياة بمنظار آخر وكل إهتمامنا الآن منصب على الرضيع ابن
الشهيد وسرعان ما عوضهما الله بتلك القبلات والمشاهدات والمشاكسات التي كان
الطفل يقوم بها مع الجدين بمحاولة مسك الأنف أو الأذن بيديه الصغيرتين مما كان
يشعرهما بالسعادة.

طلب منى أونكل شوقى العودة لشقتى كى أرعى أبى حينما علم منى بحالته
ومشاعره نحو خالد وخشى عليه من دخوله فى حالة نفسية سيئة يعتبرها الأطباء
خطرة على كبار السن وهى الإنعزالية وكره الحياة والرغبة فى الموت، نهضت
مقبلة والدة خالد ومصافحة أونكل شوقى وغادرت الشقة بين دعاء الإثنان لى بتمام
الصحة وأن الله لن ينسانا وسيعوض أحزاننا تلك بأشياء لن نعلمها وهو علام
الغيوب ومفرج الكرب.

عُدت إلى شقتى وإطمئنت من زبيدة على حال والدى وأنه يقظ ويجلس فى سريره
وعلم منها باننى أقوم بزيارة والدا خالد فرفع يده للسماء بالدعاء أن يخلقه الله عليك
بالصحة والستر بأن تراعى والدا الشهيد، دخلت عليه فشاهدت إبتسامة طيبة لم
أشاهدها منذ ميلاد مصطفى، إنحنيت عليه وقبلته وطلبت منه مرافقتى كى نجلس
فى البلكونه وأعد له قهوة العصارى ففرح كثيرا وأيد تلك الفكرة وطلب منى أن
أترك مصطفى معه إلى أن أنتهى من إعداد القهوة فوافقت وسُر لهذا وظل يدعو الله
لى بالصحة والسعادة.

إنتهى هذا اليوم التعيس، إنتهى الكابوس اللعين ورغم الحدث والألم لكنى شعرت
براحة نفسية غريبة، لقد علمت ما حدث لزوجى وأنه فى عداد الشهداء وإستقر به

المقام فى الفردوس الأعلى وما هى منزلة الشهيد تلك المنزلة الكبيرة التى ذكرها الله فى كتابه الكريم وعدد مآثرها رسولنا الصادق الأمين فى أحاديث شتى، نم قرير العين يا خالد بجوار ربك العظيم وسوف أرى تلك النبتة الصغيرة التى تركتها للدنيا قبل رحيلك كى تنبأ الآخرين بأن هذا الطفل هو ابن الشهيد ليكون آية للناس بأن هناك شهداء بمصر يسقطون من حين لآخر دفاعا عن الوطن المقدس العظيم حتى تظل مصر عظيمة شامخة آمنة كما ذكرها رب العزة فى كتابه الكريم.

كنت متوجسة بأن تهاجمنى الأحلام المزعجة ولهذا وضعت كتاب الله بجوارى كى يطمئن قلبى ومن حين لآخر أنهض وأنظر فى عيون مصطفى فأجده يقطأ على غير عادته ولم يبك رغم سكون الليل وقلة الضوء، كنت أقبله وأقربه من صدرى فيهدأ وتهاجمة سنة النوم وألحق به بعد دقائق.

هذا هو خالد حبيبى أسأله أين أنت يا خالد فينظر إلىّ باسمأ ويشير لى بأنه سيعود بعد أن ينتهى من طريق يسير فيه، ومن يكون مع خالد تلك السيدة طويلة القامة والتى يبدو عليها الحسن والجمال، إن الحروب ليس بها نساء وأندھشت لهذا وإعتقدت أن خالداً تخلف عن الحرب وإتجه لمكان آخر وتلك السيدة رفيقته فى العمل أو جارة له لأنها تنتظر له بنوع من التحدى والضيق.

تنبهت من نومى وإعتدلت على السرير وأنا جالسة اردد : بإسم الله الرحمن الرحيم، يا ترى ما الذى تخبرنى به تلك الرؤيا، صمت قليلاً ورددت بداخلى أنها أضغاث أحلام ولهذا أضأت الأبالجوره المجاوره لى وفتحت كتاب الله وقرأت بعضاً من آيات من سورة الرحمن وشعرت بتخدير شديد وهدوء وسكينة فحمدت الله

ونَهَضْتُ مِنَ السَّرِيرِ وَتَوَجَّهْتُ لِلْحَمَامِ وَاسْتَقْبَلْتُ وَتَوَضَّأْتُ وَعَدْتُ وَفَرَدْتُ سَجْدَةَ
الصَّلَاةِ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْ شُكْرِ اللَّهِ أَنْ بَسَطَ عَلَى قَلْبِي الْهُدُوءَ وَالسَّكِينَةَ.

اَطْفَأْتُ الْأَنْوَارَ وَدَخَلْتُ فِي نَوْمٍ طَوِيلٍ وَاسْتَيْقَظْتُ فِي الصَّبَاحِ عَلَى صَوْتِ
مُصْطَفَى يَغْرُدُ بِجَوَارِي وَيُمْسِكُ أَنْفَى وَخَصَلَاتٍ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي، نَظَرْتُ إِلَيْهِ
وَشَكَرْتُ اللَّهَ عَلَى نِعْمَتِهِ وَبَدَأَتْ يَوْمَ جَدِيدٍ فِي حَيَاتِي مُعْتَمِدَةً عَلَى اللَّهِ وَأَنْنَى أَصْبَحْتُ
زَوْجَةَ الشَّهِيدِ وَأُمًّا لِهَذَا الطِّفْلِ الرُّضِيعِ وَابْنَةً لِهَذَا الْأَبِّ الْقَعِيدِ الْحَزِينِ.

أبطال الإستطلاع

الضابط حسن رمزي :

أجلس مع جنودى الأبطال بين الصخور المتداخلة والتي تحجب الرؤيا عن أعين العدو وتوفر لنا ملاذاً آمناً ينفعنا عند الحاجة، عُدت بذكرتى للأيام العشرة الماضية منذ وصولنا لهذا المكان المختار والذي ثبت لنا أن الله قد وفقنا فى إختياره من بين أماكن كثيرة، المكان عبارة عن مجموعة كبيرة من الصخور مختلفة الأحجام والتي يطفى عليها اللون الرمادى والأسود وتلك البقعة مسيطرة على المكان، بداخل تلك المنطقة بيارة للمياه العذبة النقية تمدنا بهذا العنصر الهام للمساعدة على الحياة وتساعدنا على القيام بواجبنا نحو الوطن ونحو الزملاء الذى قتلهم العدو بموقع سرية الإستطلاع والرائد خالد الذى قتل أو أسر.

تلك المنطقة تعتبر جزء من سلسلة (جبل الأبرقين) القريبة من (جبل الحلال) و (جبل البنى) لقد قمنا بأول عملية هجومية على العدو بعد أن أعدنا كمين على الطريق الأوسط للقادم من الشرق فى إتجاه الغرب مارا بحدود جبل الحلال الشمالية، كانت عملية جريئة جاءت نتيجتها مباشرة لأنها كانت الفتح لبابورة عمليات سوف تتم لكن المهم هو البداية وأخذ زمام المبادرة والحصول على الثقة واكتساب الخبرة.

قام الضابط صبحى وبرفقتة ثلاثة من الجنود الشجعان وتخبروا مكانا على حافة طريق الأوسط والمكان المختار يقترب من جرف أحد الوديان الصغيرة، أترك للضابط صبحى المجال كى يتحدث عن بطولة رجاله:

الضابط صبحى :

ظل الرجال الثلاثة فى إنتظار لورى الإمداد بالطعام الذى كنا نراقبه على مدى ثلاثة أيام سابقة حتى تأكد لنا توقيت سيره وعدم تواجد قوات تقوم على حمايته فدائما يتحرك بمفرده إعتماداً على ثقة الجيش الإسرائيلى بتحقيق الإنتصار التام له والهزيمة للجيش المصرى وأصبحت سيناء خاوية من الجنود المصريين بعد أسر وقتل العديد منهم والذين ظلوا بها ولم يسرعوا بالإنسحاب مع إخوانهم.

أقبل اللورى المكلف بتوزيع الطعام على الوحدات الإسرائيلىة المتمركزة بمحيط منطقة جبل الحلال وجبل الأبرقين وجبل البنى، عندما وصلت مقدمة اللورى أمام الكمين مباشرة أعطيت إشارة فتح النار على كاوتش اللورى الأمامى وبسرعة ونقطة رغم الظلام قام الجندى (سيد المشط) الرامى المتخصص على الرشاش من فوق العربات المدرعة والذى كان يجيد عمله بجمهورية اليمن بتنفيذ الأمر وخرجت دفعات متتالية من المدفع فى إتجاه اللورى.

سمعنا صدى إطلاق الرصاص يرتد من الجبل عائداً إلينا كما توقف اللورى بعد حوالى مائتى متر وقفز منه جنديان وببد كل منهما مدفع رشاش وقاما بإطلاق نيرانهم فى كل إتجاه ثم أسرعوا بالفرار، أسرنا جهة اللورى بينما ظل الجندى سيد المشط محتلاً موقعه ويده على عتلة الضرب حتى إذا شاهد ظل الجنديان أطلق عليهما دفعات نار قليلة فسقطا أرضاء، هذا الحال وقام الجنديان المتبقيان معى بالسطو على اللورى عادا بعدها مُسرعين إلى منطقة الكمين فنهضت مع سيد المشط وإنضموا إلينا واسرعنا بالإختباء بين ثانيا الصخور وإبتعدنا مسافة أمنة حتى لا يشاهدنا العدو؟

قطنا حوالي خمسة كيلومترات دفعة واحدة حتى بزغ ضوء نهار جديد فإختبنا في مكان تخبرناه بدقة دون ظهور أى علامات تنبئ بوجود بشر في هذا المكان، بداخل إحدى الفتحات أو المغارات الصغيرة دلفنا بداخله وحصلنا على جرعة من النوم كنا في إحتياج إليها ولم ننهض من نومنا إلا بعد سماعنا أصوات طائرات هليكوبتر تحوم بالمنطقة للبحث عن مرتكبي الحادث، ظلت مع الرجال مختبئين في مكاننا لكن نيران الطائرات سمع صداها قريبا من مكان تواجدنا مما دفعنا لعدم الحركة مع الإستعداد لقدم قوات برية للعدو.

مضت أكثر من ساعتين من البحث والتنقيب ثم هذا الحال وتأكد لنا أن العدو نصب عدة أكملة لمحاولة القبض على من قام بهذا العمل وأن المتهم الأول فيما حدث هم جنود مصريين من الفارين من المعركة، تأكد للرجال صدق حدسهم من المراقب الليلي الذي دفعنا به لإحتلال قمة جبل (الأبرقين) فقد شاهد سيارات العدو تتوقف في نقاط محددة ليلا وهذا دليل بوجود كمانن بتلك المنطقة نتفحص كل من يتحرك على الطرق وبالقرب منها، اليوم الثالث هذا الحال تماما فنهض معى جنودى الثلاثة وتحركنا حتى وصلنا لموقعنا قبيل ظهور ضياء فجر هذا اليوم.

الضابط حسن رمزى :

كنت فى إستقبال الضابط صبحى وجنودى الثلاثة الشجعان سعيد فرح بنجاتهم من أى إصابة مع تنفيذ الكمين والذى لم أكن أعلم نتائجه حتى الآن، تركتهم يحصلون على الراحة بينما قام زملائهم بإحضار الغنائم وعرضوها على وكانت قيمة فى المعنى والهدف، فقطعتين من الرشاش الإسرائيلى العوزى القصير وهو

رشاش خطير ذو كفاءة فى إطلاق النار كما أحضر الرجال الكثير من الأطعمة الجافة وقطع من البسكوت وبعض عبوات عصير طبيعى.

عصر هذا اليوم جلسنا شبه مختفيين لأنه من الجائز أن نشاهد طائرة هليكوبتر فوق المنطقة التى نحن بها وتمطرنا بمدافعها الرشاش بل قد يتعدى هذا إطلاق صاروخ شديد الانفجار يقضى على أكبر عدد منا ومن المحتمل ان تقوم بطلب قوات إبرار جوى تسقط بالقرب منا وتقوم بمهاجمتنا ونحن نعلم أنهم سوف ينتصرون علينا لكفائتهم فى التدريب مع تزودهم بأسلحة متقدمة وأعدادهم الهائلة، كان الاختفاء هو أحسن وأفضل أسلوب لتجنب كل تلك المحاذير.

قام الضابط صبحى بقص رواية ما حدث خطوة خطوة وكان جنوده يستكملون ما يقال فى بعض الحالات فقد كان هذا الكمين بمثابة إغارة أيضا للحصول على معلومات أكبر وأشد دقة وكان هذا واضحا فى المعلومات التى حصلنا عليها ولهذا رتبنا كثير من الأفكار التى كنا قد قررناها قبل هذا بناء على ما إستجد من معلومات، لقد أصبحنا أكثر ثقة بأنفسنا مع إلترام الحذر من هجوم مباغت ولهذا كان الجميع راغب فى الحذر والإختباء لا يتحرك دون سلاح مع فتح النار على أى جندى إسرائيلى نشاهده بالقرب من موقعنا المختار ونكون البادئين وندفعهم للتراجع حتى يستعد جميع الرجال للقتال.

طلبت من الرجال الحصول على الراحة لمدة ثلاثة أيام أخرى كنا نقطعها فى التسلية والحكى مع إستمرار وجود المراقب ليل نهار على أن يستبدل كل أربع ساعات حتى لا يصيبه الملل، كان هناك ثلاثة مراقبين فى كل إتجاه ولكل واحد منهم جهة يقوم بالمراقبة خلالها مع عدم التحدث وبالطبع لم يكن هناك تدخين لعدم

وجود سجانر، خلال تلك الفترة سنحدد الهدف الجديد الذى سوف يقع عليه الاختيار وتوقيت بدأ الهجوم عليه.

بعد نجاح الضابط صبحى ورجاله فى تنفيذ عمليتين متتاليتين بفارق أربعة أيام وأثناء فترات الراحة من أى عمليات والإختباء عن أنظار وعيون العدو شاهدت الجنديين (عوض أبو الروس وخربوش) قادمين فى إتجاهى أثناء راحتى وبدى عليهما الإهتمام وجلسا أرضا وهمسا فى أذنى بكلمات قليلة :

- أفندم، شقنا شوية عساكر ماشيه وبابن عليهم تايهيين وحالتهم صعبة ومش قادرين يتحركوا، ممكن ننزل نجبهم ونعمل معاهم واجب من الأكل والشرب والراحة.

تنبهت لحديث الجنديين وأسرعت بإعطاء موافقتى على تلك الفكرة وإستدعيت الضابط صبحى وأخبرته بما شاهده الجنديان وعليه الإستعداد لإحتمال تدخل العدو ومن الجائز أن يكون هؤلاء الجنود مراقبين من العدو ويلاحظ هبوط جنديان من جبل الأبرق نحوهما، دفع هذا بالضابط صبحى لإستنفار رجاله وكل واحد منهم إستعد بسلاحه وإنتشروا بين ثانيا الصخور وكل واحد منهم أخذ مكانا لفتح النار فى حالة تدخل العدو وكنت أراقب الجنديان الذين هبطا من الجبل فى إتجاه الوادى.

إختفى الجنديان وشاهدت مجموعة الجنود وأعتقد أنهم تسعة من رجال المشاه تنبهوا لصوت صادر من بين الصخور فتوقفوا عن السير وأحدهم رفع يديه علامة الإستسلام، خرج إليهما الجنديان وبسرعة إصطحبوهم لثانيا الجبل وبعد نصف ساعة أقبلوا بصحبة الرجال وتبين لى منذ الوهلة الأولى حالة الإجهاد والعطش والجوع التى طالتهم، أمرت بتوزيع المياه وسرعان ما تهافت الرجال على الماء

بعدها أمرت بتزويدهم ببعض الأطعمة الحديثة المستولى عليها من لورى الشئون الإدارية الإسرائيلية وتركبتهم يأكلون وبدت السعادة على الوجوه السمرء.

هذا اليوم كان مخصصاً للطعام والشراب والإستئناس بالجنود الذى تم إنقاذهم من طريق الإنسحاب المهلك، حصلوا على راحة ونوم هائى حتى صباح الغد كانوا فى صباح اليوم التالى أفضل حالاً بعد أن رد إليهم جزءاً من عافيتهم فتحدثوا وضحكوا وكانوا فى حالة نفسية جيدة وبالأخص لتواجدهم معنا وزادت فرحتهم وسعادتهم بتواجد ضابطين وهذا فى عرفهم يعطى إنطباعاً وإعتقاداً بأنهم سوف يجدون المساعدة فى أن يسلكوا طريق الإنسحاب الآمن والمضمون.

خلال الحديث معهم علمت أنهم من جنود وحدة مشاة إنسحبت وخلال الغارات الجوية الإسرائيلية تفتت شملهم ولم يستطيعوا الإنضمام للقوة الرئيسية وساروا بلا هدى ولا يعلمون الطريق الأمثل وكادوا يلقون حتفهم أثناء مطاردة قوات العدو لهم وسقط بعض زملاء لهم قتلى بينما تبقى هؤلاء الرجال التسعة على قيد الحياة من مجموع الأفراد المنسحبين وكان قوامه سبعة وثلاثين رجلاً وخمسة من الضباط الذين هلكوا.

علم الرجال بما قمنا به ضد العدو وكانت سعادتهم كبيرة ومن ضمن ما تم ملاحظته وجود أسلحتهم معهم وكان هناك مدفع رشاش خفيف وإثنان قاذف RPG خارق للدروع والرجلين الذين يعملان عليه أفادا بأنهما بارعين فى إستخدامه حيث كانوا من ضمن فريق رماية القوات البرية المصرية للمسابقات على مثل هذا النوع من الأسلحة.

كانت هناك مشكلة وهى عدم توافر ذخائر لهذا السلاح وأصبح هناك هدف جديد مطلوب تنفيذه وهو العثور على ذخائر لهذا السلاح وباقى أسلحة المشاة التى تبين أن غالبية الأفراد تخلصوا من خزن السلاح الإحتياطى.

تم تشكيل فريق بحث عن الذخائر وقررت أن أتولى قيادته لكن الضابط صبحى إعترض على هذا مقراً أن القائد يظل على رأس القوة وفى مقر قيادته وسوف يتولى تلك المهمة مع الإستعانة ببعض الرجال الذين لهم سابق خبرات فى السطو فى حياتهم المدنية قبل التجنيد ولهذا تخير الجنود (إبراهيم المعسل و عبده محارة و فؤاد المونجى).

تحرك الرجال بعد غروب الشمس بساعة زمن تقريباً ومقصدهم قيادة اللواء ١١٦ مشاة الذى كنا نتبعه للبحث عن ذخائر بين أسلحة المشاة التى تم تركها أثناء الهرولة لتنفيذ أمر الإنسحاب الذى تم تحت ضغط نيران طائرات ومدفعية العدو وهجمات المدرعات، لقد وضع الرجال نصب أعينهم أن يستهلكوا الليل للسير وفى الصباح يتوزعون فرادى للبحث حتى لا يلفتوا أنظار العدو وجميعهم يرتدى ملابس مدنية دون تحقيق شخصية حتى إذا لاحظ العدو أحداً منهم سيعتبرونه أحد اللصوص ولن يكون فى خطورة أحد الجنود المنسحبين.

مضى على تحرك الرجال يومين وهذا هو ليل اليوم الثالث ونحن فى إنتظارهم ونحن نخشى عليهم الخطر، قبل بزوغ فجر يوم جديد أيقظنى أحد الجنود ليخبرنى بأن الرجال وصلوا لثأيا الجبل وما هى إلا نصف ساعة ويصلون لمقر القيادة وهبط باقى زملائهم لإستقبالهم وحمل ما شاهدوه من أحمال وأثقال للتخفيف عنهم.

هكذا وصل الرجال إلى الموقع وأقبلوا مصافحين وبدورى نهضت مهننا سلامة الوصول، جلسوا للراحة وأصابتنى الدهشة أنهم يحملون بعض الأشياء وليست ذخائر فقط وصدق حدسى حيث عثر الرجال على عبوات شاي جاف وسكر فأحضروها لشرب الشاي مما أسعد باقى الجنود.

تم تزويد باقى الأسلحة بالذخائر من مختلف الأنواع خصوصا القاذف المضاد للدروع الذى لم نكن قد تدريبنا عليه من قبل، مضى أسبوع على تلك المهمة وبدا لنا أن صيدا ثميناً سوف يقع قريباً حيث كنا نراقب الطريق الأوسط والذى أضيف إليه دورية مدرعة إسرائيلية عبارة عن دبابة وعربتان نصف جنزير وأسعد هذا رجال المشاة خصوصاً رماة القواف المضادة للدروع.

وكما تم فى المعركة السابقة تم فى تلك الليلة حيث إنتظر الرجال الدورية حتى عبرت من أمامهم وأمطروها بنيران الرشاشات ولحق بها مقذوفان مضاد للدروع أصاب أحدهم الدبابة فمرت عن آخرها بينما الآخر أصاب جنزير العربة المدرعة فسكنت فى مكانها ولم تستطع العربة السليمة مطاردة الجنود خشية التدمير أو وجود كمائن أخرى فى إنتظارها.

أقبل الرجال فرحين سعداء وكان أكثرنا سعادة رجال المشاة الذين لم يختبروا فى القتال قبل هذا واليوم قاموا بعمل مجيد للأخذ بثأر زملائهم وقادتهم الذين لا قوا الشهادة دون أن تكون أمامهم فرصة جيدة للقتال، جن جنون العدو وبدأت الطائرات القاذفة تحوم فى منطقة العملية، كنا قد ابتعدنا عن مكان الإغارة خمسة كيلومترات وشعرنا بالأمان نسبياً وظل هذا حالنا من الإختباء والحذر ولم نقم بعملية تالية إلا بعد مضى عشرة أيام حتى لا يقتنصنا العدو، لقد تأكد له أن كل أسبوع على الأكثر

نقوم بعملية، لهذا تأخرنا فى تنفيذ أى عملية بل نقلنا نشاطنا للمنطقة الغربية لجبل
الحلال كى نشنت مجهود العدو ولا يكون فى إنتظارنا.

الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية :

مكتب الميجور جونين نائب رئيس فرع الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية
بجنوب إسرائيل والمسؤول عن منطقة عمليات سيناء الذى إتخذ من مبنى محافظة
العريش مقراً له بجوار مقر قائد المنطقة الجنوبية، توجهت إلى المكتب وهناك
شاهدت (الميجور جونين) يجلس ساكنا ووضع يديه على أذنيه، إستأذنت فى
الدخول عليه فأشار بالموافقة بل أشار لى بالجلوس حيث بدأت الحديث :

- سيادة الميجور، لم نعر على كل من (سلومه مزراحى و ليليان فيكتور) وإتصلنا
بنقاط التفتيش المنتشرة على شاطئ قناة السويس الشرقى فلم يعثروا عليهما
وجميع العمليات التى تمت فى المنطقة التى كانا يعملان بها لم تجعل قوات العدو
قادرة على التعامل معهما بل أن آخر إشارة من الجهاز اللاسلكى المسلم إلى سلومه
ظل يعمل يومين منذ نشوب الحرب ويغلق ثم يفتح وفى آخر إتصال سمعنا صوت
زوجته ليليان تطلب منه الإستعداد للعودة إلى المكتب ولقاء سيادتكم وتقديم كل
المعلومات التى لديهم، لقد تأكد لنا أنهما بخير ولم ينقطع الإتصال حتى نفذت الطاقة
ببطارية التشغيل وهذا يدل على أنهما مازالا يعملان بوسط سيناء.

- كابتن مورخاى، دعك من هذين العميلين وعلينا أن نضع أسوأ الإحتمالات
والنتائج وأن المصريين إكتشفوهم وقاموا بتصفيتهما، وليكن تلك هى النتيجة النهائية
ولنعد عملاء آخرين لكن الشيء الهام الآن والذى يشغل بالى وبال القيادة هنا هى

تلك العمليات التي تمت بالقرب من جبل الحلال وتدمير عربة الإمداد بالمواد الغذائية ولم يكن هذا شيئاً عابراً لكنه تكرر بالأمس حيث أطلق مخربين وقتله الرصاصات الغادرة على عربة جيب إسرائيلية وقتل جندي وأصيب آخر ونجا الباقون ولم يستطيعوا مقاومة الأعداء لشعورهم بأنهم أقلية.

- شيء سيء سيادة الميجور، وهذا هو السبب في أنك في حالة من الضيق واليأس؟

- بل ما زادني ضيقاً وألما ما حدث فجر اليوم من تدمير عربة نصف جنزير بقذيفة مضادة للدروع ويعتبر هذا شيء خطير وتصيد ولو تأكد لنا أن هناك مجموعات مقاومة إرهابية تنتشر بسيئات ومزودة بهذا السلاح الخطير فسوف ندفع ثمناً باهظاً من أرواحنا ومعداتنا ولهذا فإنني أبحث عن عدد من العملاء نقوم بتوزيعهم بتلك الأماكن لعلهم ينجحون في الوصول لتلك المجموعات المخربة.

أشاهد البعض يهرول جهة مكتب الجنرال قائد منطقة سيناء العسكرية، لا بد أنه قد جد جديد في تبعات الحرب وما تلاها وتلك هي النقطة الجوهرية التي تناساها قادة إسرائيل بأن مصر لن تستكين وسوف تستمر في القتال إلى مالا نهاية، هم بطبعهم غيورين على وطنهم وهم شعب كثيف السكان ولديهم القدرة على تحمل معارك طويلة ولن يكون سلاح الجو قادراً على تحقيق نصر أو مفاجأة أخرى لكن المصريين قادرين على دخول معارك صغيرة في أماكن متفرقة يدفعون خلالها خسائر بشرية ويكبدون إسرائيل خسائر بشرية لا يمكننا أن نعوضها فليس لدينا تخمة في عدد السكان مثل المصريين ولم يعتاد الجندي الإسرائيلي العيش على شظف العيش مثل الجنود المصريين.

- كابتن مورنخاي سوف أتركك بعض الوقت لأننى سوف أتوجه لمكتب الجنرال لمعرفة ماذا يحدث وما الذى جعل قادة الأفرع يسرعون بالتحرك نحو المكتب ومن المؤكد أنه فى إحتياج إلى أيضا نظراً لأن قائد الفرع متواجد فى القيادة بتل أبيب للحصول على بعض الأوامر والصلاحيات فى التعامل مع السكان المحليين.

دخلت إلى مكتب القائد الذى اشار إلى بالجلوس بعد أن قمت بتأدية التحية العسكرية له، إستكمل حديثه حيث كان يخبر روساء الأفرع بالعملية الجريئة التى قامت بها قوات الصاعقة المصرية جنوب شرق بورسعيد فى منطقة تدعى رأس العش وكيف كانت مقاومة الجنود المهزومين شديدة وقاتلوا ببسالة وفداية عالية مما دفع بقوة الهجوم المدرع الإسرائيلى إلى فقد الكثير من الأفراد بالإضافة إلى تدمير العديد من القطع المدرعة وإنسحاب المتبقى من القوة تحت جسارة المصريين وخشى القائد الميدانى أن تزيد أعداد القتلى ولهذا طلب دعماً جويًا لمحاولة أنقاذ باقى القوة التى أحكم المصريين حولها الخناق بغرض قتلهم أو أسر ما يمكن أسره.

أيها السادة لم يقتل الثعبان بعد ولننتظر إلى أن يأتى الوقت المناسب للإجهاز عليه حينما يتم الإجهاز على الفرعون ناصر المصمم على إبادة شعب إسرائيل الذى ميزه وإختاره الله دون البشر ورفعته فوق باقى المخلوقات، أترككم الآن وكل مسؤول يتوجه إلى موقعه أو مكتبه لأن وزير الدفاع أرسل فى إستدعائى لبحث هذا التطور الخطير.

زمرده

خاله :

أقبلت على الفتاة البدوية باسمه وأسرعت نحوى تمد يدها بعلبة صغيرة من البلاستيك قانلة :

- شرب مرّتك المخلوط ده، رحت جبته من جار عمتى، راجل زين ويعرف فى خلطة دوا غضة الناموسة، الناموس الجبلى جتال وأنتم يا مصراوية مش واخدين عليه، تحب أساعدك؟

- ياريت .. إنحنت الفتاة على ليلى التى كانت فى حالة من النوم المتقطع وأعتقد أن أصابتها أدت إلى سخونة جسدها فدرجة حرارتها مرتفعة، كانت تهلوس وسمعت صوتها المتحشرج ينادى على سلامة مما إستلفت إنتباه الفتاة التى سألتنى إسمك سلامة؟ لم أنتبه وأسرعت بالرد أن سلامة هذا هو إسم شقيقها الأصغر.

- ليلى .. خليكى على الوضع ده .. بالمناسبة إسمك إيه؟

- زمرده.

- أهلا زمرده .. أيوه كده ناوليها اللعبة، بيتهيا ليا أنها مش ح تقدر تمسكها ويمكن تقع منها، طيب أنا ح أشربها، أيوه يا ليلى .. إفتحى بفاك .. كويس كده .. أعتقد أنها شربت شوية كويسين.

- لازم تاخذ الجرعة كلها، كمل يا زلمه وفضى باجى العلبه فى فمها وإلا أنت خايف
على شفايفها الحلوه من ريحة الدوا؟

- ماله الدوا .. له ريحه؟

- ما شमित يازلمه، كله عصير توم وشوية جنزبيل مع بعض العشب الجبلى، طعمه
نار وريحته تجرف بلد.

- الحمد لله أن ليلى مش شاعره بحاجه.

- طيب أجوم أنا جبل ما الدنيا تغرب والشمس تسافر، تحب أجبلكم شوية حليب من
العنزة؟

- مش مهم.

- لا مهم جوى لأن مرتك لما تفوج وتصحصح ح تخلقى اليوم مهيب لأنك شربتها
الدواء العجيب ده لكنه ح يجيب نتيجه حلوه معاها وح تصحصح وتبجى عال، شوية
وأجبلكم شوية حليب.

تحركت زمردة فى إتجاه الماعز والأغنام التى كانت ترعى الكلاً سعيدة بهذا
المكان الرطب الذى ينمو فيه العشب بكثافة والمياه بجوارنا وبعض الأغنام والماعز
إستظلت بظلال بعض أشجار العنب والجوافه والخوخ والرمان خصوصا الماعز
الصغيرة التى كانت تلهو من حولى وتقفز بحرية ولا يضايقها شىء وكلما شعرت
بالجوع تسرع نحو أمهاتها تحصل على وجبة سريعة تعود لتكمل سعادتها باللعب.

- شوية الحليب نوول خليم ريك و إيجى إشرى أنت ومرك وبكره جاية لكم
أرعى هنا وأشوف حالكم.

- شكر زمرده.

تحركت زمرده بأغنامها بعد أن هشت عليهم بالعصا فنبج الكلب فأسرعت
الماعز والأغنام لتنفيذ الأمر وسارت خلف الكلب بالتوالى ومازلت تمضغ بعض
العشب التى حصلت عليه وكل أم يسير بجوارها إثنان من أبنائها ولا يخطأ أى
ماعز أو خروف صغير (خولى) عن أمه وإذا أخطأ أو تجاهل الأم تصدر صوتاً
ميمزاً فيسرع بالعودة يسير بجوار أمه وكأنها تناديه أقبل يا إبنى العزيز ولا تترك
حضان أمك.

نهضت وتناولت بعض الطعام الجاف وتبعته بجرعات قليلة من لبن الماعز
الرائع شعرت بعدها بحالة من الإسترخاء ولهذا أسرعت بوضع قطعة صغيرة من
ملايس ليلى على فوهة إناء اللبن لمنع سقوط النباب به، بعد هذا عدت إلى حالة
الإسترخاء وشعرت بأننى فى طريقى إلى نوم هادىء، حدث هذا ولم أشعر كم من
الوقت غفوت لكنى تنبهت على صوت ليلى تحدثنى وشاهدتها تجلس بوضع صحيح
تنظر نحوى تحدث بصوت حاد خافت:

- خالد .. ريقى ناشف وفيه مراره فى بقى .. مش عارفه إيه السبب؟

- أنتى شاعره أنك خفيتى شويه، يعنى السخونه والرعه خفت؟

- صحيح أنا دلوقتى أحسن من إمبراح.

- ليلي .. إلى إنتي شاعره بيه ده من أثر الدوا إلی عطيته لکی من أربع ساعات.

- دوا إيه؟

- دوا من البدو عبارة عن مخلوط التوم والجنزبيل وبعض العشب الجبلی.

- یعنی أنت رحت للبدو وإلا البدو جولاك هنا؟

- لا أبدأ، فيه بنت بدوية جت هنا وفضلت قاعده ترعى الغنم وبعدين لما عرفت بحالتك راحت لقييلتها وبعد ساعه رجعت ومعها المحلول إلی شربتك منه.

- طيب أعمل إيه فى ريقى إلی نشف وشاعره أن ريحة بقى مش كويسه ومررة.

- ح أجيب لکی شوية لبن تشربييه بالهنا والشفاء، نهضت وأحضرت العبوة التى بها اللبن فشاهدت ليلي تنظر لى بضيق وصاحت فى موبخه ناهرة لى وهى تردد :

- مغطى عبوة اللبن بملابسى الداخليه، معندكشى حياء، مبتفهمشى، عيب تعمل كده يا راجل فى واحده ست مريضه واخذ ملابسها الداخلية تتفرج عليها.

- حيلك، بتزعق على إيه، ملابس إيه بلا قرف، اللبن قدامك عايزه تشربى منه إشربقى ومش عايزه إرميه على الرمل.

نهضت وسرت فى إتجاه البياره فسمعتها تنادى على لکنى لم ألتفت نحوها وظللت سائرا وسمعت صوتها أكثر من مرة تنادى على وأنا فى طريقى رغم سماعى لتوسلاتها ومازلت حانقا على طريقة حديثها معى حتى وصلت للبياره وجلست على ركبتي وبدأت أغرف بيدى الماء لإتمام الوضوء.

نهضت ووقفت بين يدي الخالق لأداء صلاة العصر قبل هبوط الظلام ، مازلت أسمع صوتها الخافت من تأثير المرض تنادى على وتلحق إسمى بعبارات الأسف والإعتذار وفي بعض الحالات تضيف بعضاً من مشاعرهما الفياضة نحوى.

بعد أداء الصلاة والدعاء لله بأن ينهى محنتي تلك وأن ينزل سكينته على قلب والدائ وزوجتي وكل من يشعر نحوى بالحب والإخلاص توجهت نحو خيمة ليلى فشاهدتها قد تركت الخيمة ببضع خطوات راغبة في الوصول للبيارة لتتضم إلي لكن حالتها الصحية منعها فنامت على وضعها الزاحف، حاولت تنبيهها حتى أفقت وطلبت منها النهوض والسير معي للخيمة فلم تقو ساقها على حملها، قمت بحملها كما حدث سابقاً حتى الخيمة وجلست أرضاً وبكل رفق فردت جسدها على الفراش وهددت على كتفها ويديها حتى شعرت بأنها أحسن حالاً عن ذي قبل.

نظرت ليلى نحوى وطلبت مني وعاء اللبن ومساعدتها في تناول البعض منه نهضت وأحضرت الوعاء الذى مازال بالغطاء الذى أغضبها وكشفت عن الوعاء بعد أن وضعت الغطاء بجوارها فابتسمت رغم حالتها وساعدتها في تناول بعض جرعات من اللبن حتى إرتوت ونامت قريرة العين بينما ظللت مستيقظاً بجوارها مثل الليالى السابقة وأفكر في كيفية التخلص من هذا السجان متقلب الأمزجة.

ليلى :

أثناء نومي المصطنع كنت أشاهد خالداً يجلس ساكناً ينظر في أفق المساء القادم وعينه تلاحق قرص الشمس البرتقالي الراغب في الإختفاء خلف قمة الجبل المجاور لنا وأعتقد أنه جبل الأبرقين أو الحلال، أشعر بسعادة أنني إستطعت أن

أقنع خالدًا بحملى على يديه مثلما فعل قبل هذا ولولا حيائى لوضعت يدى حول عنقه ودفعته لتقبلى فخشيت أن يشعر بضيق من رائحة فمى جراء تناول مسحوق الثوم.

أفكر ماذا على أن أفعل فى الأيام القادمة، يجب على أن أستقر واتخذ قراراً مهما فيما يتعلق بوضع خالد، لو قمت بتسليمه للإسرائيليين وحصلت على المكافأة التى وعدونى بها أفضل أو أن أظل لصيقة به سواء بقينا فى سيناء أو إستطعنا بمعاونة بعض البدو الدخول للأراضى المصرية، وكيف سيحدث هذا؟

أستطيع التوجه للقاء الشيخ عرفان طرابيك وهو شيخ له مهابته وأعرفه ويعرفنى وسبق أن قمت له يد المساعدة عندما ألقت قوات حرس الحدود الإسرائيلى القبض على ابن شقيقه الطفل الذى تسلل إلى حدود إسرائيل وبعد هذا العمل شعر نحوى بالتقدير والعرفان ووعدنى بالعمل على رد هذا الجميل والتصرف الحكيم إذا كنت فى حاجة لأى خدمة فسوف يقدمها لى رغم وجودى بدولة إسرائيل، أعتقد أن الشيخ يستطيع أن يقدم معاونته ويساعدنى ومعى خالدًا على الدخول للأراضى المصرية.

بفرض نجاحى فيما أفكر فيه، ما هو العائد من وراء هذا؟ هل سيرتبط خالدًا بى وأصبح زوجة له وهو ضابط بالجيش المصرى وأنا عميلة للإستخبارات العسكرية الإسرائيلية وأعلم أن المخابرات الحربية المصرية تعلم عنى كل كبيرة وصغيرة ومن المؤكد أن لى ملف لديهم و(لسلومه) أيضا وسبق أن حاول عملاء المخابرات المصرية إغتياله بالقرب من إحدى المستعمرات الإسرائيلية بالنقب.

لا أعتقد أن خالدًا سوف يرتبط بى وعلمت منه أنه متزوج ولديه طفل ودائم السرحان وعندما أسأله هل كان يفكر فى زوجته بيتسم ويحرك رأسه دليلاً على

صحة ما اعتقدت، انه لشيء ساحر جميل أن تشعر المرأة أن هناك رجلاً يحبها ويعشقها ودائماً يفكر فيها ويتمنى لها السعادة ويعمل على راحتها والحفاظ عليها وهذا ما كنت أشعر به نحو خالداً حينما كان يرعاني وأنا مريضه وأشاهده يقوم على رعايتي ويسهر على خدمتي من حين لآخر حينما أنتبه من رقدتي أشاهده ينظر إليّ بكثير من الحنان والشفقة.

كنت أتمنى أن تكون تلك النظرات نظرات حب بل نظرات رغبة، فإذا لم يكن هذا الرجل الذى يعيش معي لأكثر من أسبوعين لم يرغبنى فكيف أدفعه لهذا؟ كيف أجعله يرغبنى فلم يشاهد ما أملكه من مفاتن تدفعه للإندفاع نحوى راغباً بى وهذا الفعل مضمون النتائج، فانا أعلم قدراتى ومواهبى منذ شعرت بانوثتى منذ أربعة عشر عاماً قبل ترك مصر بأربع سنوات.

كيف كان المهندس المجاور لسكن عائلتى ينظر لى نظرات هائمة تحولت إلى نظرات بهيمية راغبة فى وكنت أشعر بسعادة رغم أننى أمقته ولهذا فلم ينال منى أى شيء بينما إستطعت إستحلاب بعض أمواله فى صورة هدايا أو قيامه بدفع إيجار الشقة التى تسكن بها عائلتى مما دفع بأبى وأمى للسعادة وتشجيعى على هذا التصرف مع توخى الحرص.

خالد :

هذا صباح يوم جديد فى معائتى بسيناء، لم أكن أتوقع أن يحدث لى ما حدث قبل بدأ المعركة، كل ما أتوقعه الإستشهاد أو الإصابة أو الأسر لكن أن أقع فى قبضة تلك السيدة وتضع القيد الحديدى بيدي مثل المجرمين ومن حين لآخر توجه المسند

نحوى مهددة متوعده فهذا شيء أشبه بالأحلام المزعجة، بل أننى أتوقع أن تطلق رصاصات المسدس نحوى وأنا نائم، أنها تراقبنى حينما أبتعد قليلا كى أقضى حاجتى وما يسببه لى هذا التصرف من ضيق بأن تشعر بأن هناك من يشاهدك ويتربص بك فى تلك الحالة الخاصة جداً.

أشاهد ظلال تتحرك قادمة نحونا، بعد قليل إقتربت الصورة أكثر وتأكد لى أنها زمردة وقطيعها المبارك فهذا القطيع من بهائم الأنعام التى ذكرها الله فى كتابه الكريم، توقفت أمامى مباشرة بعد أن تركت للأغنام والماعز حرية الحركة وأشارت للكلب بالتوقف قريباً منها، أشاهد إبتسامتها العذبة تنظر نحوى ثم بادرتنى قائلة :

- صباحك زين، كيف مرتك اليوم.

- بخير يا زمردة، الحمد لله، صحتها أحسن.

- أنا عينى ما طلقتها لحد الساعة، وبين راحت؟

- أخذت شوية ميه من العين ودخلت ورا شجرة العنب عشان تستحم من آثار المرض والعرق.

- خير ما فعلت لأن عرج الثوم يلزق فى النفر لو ما بدلىش الهنمه ولا غطس بدنه فى الميه، عرج شديد الريحه والله يا زلمه، لكن تعرف أنك زلمه زين خالص.

- يعنى إيه زين؟.

- يعنى بتحب مرتك، أنت تفتح نفس الوليه إالى ريحك، خابر كده وإلا ما تعلم؟

- شكرا على كلامك.

- تعنى إيه كلمة شكر؟ ده الكلام الزين، تعرف لو أنت مش مجوز وفيه صبيه من البدو عينها طالت سحتك ما تركتك واصل لحد ما تعجد عليها.

- إيه الكلام ده يا زمردة، كلام غريب.

- ليه غريب، الستره شينه وإلا شينه، السترة جاية من الستر والشرف والعفة.

- صحيح، كلامك صحيح، لكن النفر يقدر أنه يجوز واحده تانيه لو البننت إالى شايفها حلوه وجميله وإلا ده يضايق البننت عندكم.

- ما يضايق يا زلمه لأنه جانون وشرع الله، ما حد يجدر يخالف شرع الله، على كل حال فكر ولما نتجابل عرفنى، أجوم أمشى لأن مرتك جايه ونظرتها عفشه وهيا بتطلع ناحيتى.

أشارت زمردة للكلب الذى نبح فتجمع الغنم والماعز ولم يتخلف سوى الماعز الصغير والخراف الصغيرة التى لم تهتم بنباح الكلب والذى يعتبر بمثابة الجرس فى حضانة الأطفال وهم للآن لم يعتادو عليه.

شاهدت زمردة إنحنت وأخذت علبة اللبن وحينما شاهدت قطعة الملابس التى تغطى العلبة ضحكت تنظر نحوى وتحرك القطعة بيديها يمينا ويسارا ثم ألقت بها على فرشاة ليلى وإتجهت نحو إحدى إناث الماعز التى يميزها ضرع كبير وجلست بجوارها تحلب اللبن وتنظر نحوى من بين فواصل القطيع تبتسم من حين لآخر.

عادت زمردة بعد أن وضعت بعض أوراق العنب الأخضر فوق علبة اللبن وناولتها لى ثم نظرت إلى ليلى تحدثها :

- كيفك يا مره اليوم؟ لم تجيب ليلى على سؤالها ونظرت إليها بنوع من اللامبالاه والإزدراء، تحركت زمردة تغادر المكان بعد أن وجهت لى إبتسامة عذبة وأشارت.
- باكر بأعود عليك وأعرف رأى الزلمة وأشوف طلبك، ربنا معاك ويحرسك.

ليلى:

كدت أنتهى من حمام عاجل كى أزيل آثار المرض والعرق ورائحة الثوم التى إنتشرت بملابسى وشاهدت نظرات الفتاة نحو خالد، كنت أعتقد أن خالداً لم يهتم بها أو لم يفهم مقصدها لكننى شعرت بأن هذا الضابط خائن غدار ومكار حيث تجاذب معها أطراف الحديث الشيق مما دفع بالفتاه التى تجهل مثل تلك اللاعيب فى أحاديث شباب المدن المصرية لإثارتها لأن تتجذب نحوه، كدت أصرخ بهما محذرة من التمادى فى الحديث لكننى صمت وعكفت عن الحديث فى إنتظار أن أنفرد به وأتعامل معه بالطريقة العكسية تماماً وليس بطريق الزجر والعنف.

عملاء المخابرات المصرية

وصلت بعض المعلومات المستقاة من عملاء لنا مؤكدة رواياتهم بوجود بعض جيوب مقاومة بسياء رغم قرار انسحاب القوات والذي تم منذ أكثر من عشرة أيام ولهذا قررت إدارة المخابرات الحربية تكليف مكتب مخابرات القنطرة غرب بعمل إتصال ببعض العملاء والمحدد عملهم بمناطق العمليات الفدائية ومعرفة ما يجري هناك ومن وراء تلك البطولات الحقيقية التي بدأت القوات الإسرائيلية تتحدث عنها ولهذا نشط رجال مكتب مخابرات القنطرة وقاموا بالإتصالات الفورية والمستترة بعمالهم لمعرفة حقيقة ما يجري على أرض سيناء.

خلال تلك الفترة وصل إلى سمع عملاء مكتب القنطرة ما تم تنفيذه بعمليتين أخريين بعد العمليتين الأولى والثانية التي إستهدفت لورى التموين والتألية دورية عسكرية إسرائيلية ومقتل وجرح من فيها لكن العمليتين الأخيرتين تميزتا بوجود سلاح مضاد للدروع وكان هذا شيئاً جديداً مخالفاً للعمليتين الأولى والثانية.

الضابط حسن رمزي :

استمر رجال المشاة معنا قرابة الشهرين تمت فيها عمليات رائعة وتبين لنا أن العدو ليس بالقوة التي شعرنا بها بعد الهزيمة، لقد استطاع العدو أن يدب في القيادة روح الرعب والخوف وتأكد لهم أننا لمهزومين ولو تركتنا القيادة بالمواقع الدفاعية نقاوم حتى بعد تدمير القوات الجوية لإستطعنا تخفيض الخسائر بطريقة كبيرة وما استطاع العدو مطاردة تلك الجحافل الضخمة التي كانت تهرب أمامه دون نظام أو قيادة وإستغل العدو تلك الفرصة لبعثرة القوات بطريقة صحيحة فقتل من قتل وأسر

من أسر وترك باقى القوات تعود للصفة الغربية للقناة تحكى مأساة الهزيمة التى راح ضحيتها الألاف من الشباب وعددا كبيرا منهم لا يعلم ما هى صحراء سيناء.

بعد مضى تلك الفترة التى تعدت الأسابيع الستة جاءنى الرجال على إستحياء وأنهم راغبون بإستكمال طريق الإنسحاب للعودة إلى بلادهم لأن خلفهم أفراداً وعائلات تعتمد فى جزء كبير فى معيشتهم على مجهودهم ولا طائل من الإنتظار فى هذا المكان فالحرب إنتهت وإنتصرت إسرائيل ومات من مات وأسّر من أسّر وعلينا العودة إلى ذوبنا.

حاولت إقناعهم بأن من المحتمل أن يغدر بهم العدو أثناء الإنسحاب لكنهم كرروا الشكر والثناء على إستضافتهم تلك الفترة وكل ما طلبوه بعض المؤن من مياه وطعام ولهذا نصحتهم بإرتداء ملابسهم العسكرية كى لا يقعوا تحت طائلة القانون الدولى الذى يقضى بالإعدام على الجنود الذين يستترون فى ملابس المدنيين.

هذا يوم صعب علينا جميعا فقد ودعنا هؤلاء الرجال الأفذاذ الذين ساعدونا وإستطاعوا تدريب بعض رجالى على إستخدام القوافض المضادة للدروع وترك الرجال أسلحتهم معنا كى لا يعتقد العدو أنهم مقاتلون ويطلق عليهم النار غيلة رغم تأكدى من أنه لن يتركهم يسبرون وودعوا الحرب وتركوا له الميدان خاويا يلهو به.

فهو غادر بطبعه، جلسنا لمدة ثلاثة أيام فى حالة من السكون وخلال تلك الفترة إنتقلنا من موقعنا هذا لمكان آخر خشية أن يقع الرجال فى الأسر وتحت التعذيب ينطقون بمكاننا وما قمنا به رغم التنبيه عليهم بعدم التعاون مع العدو حتى لو وعدهم بمساعدتهم للوصول لقناة السويس فهو خائن غادر.

جرير والفرزدق :

أنهما من رجال المخابرات الحربية الأفذاذ وتلك أسماء كودية، وكلفا من مكتب مخابرات القطرة بالعمل بالقطاع الأوسط الذى تتم به العمليات الفدائية للعثور على هؤلاء المقاتلين للمساعدة والإستفادة بهم.

وصلت إلينا التكاليف الواجب القيام بها، سوف نتوغل بالمحور الأوسط للبحث عن هؤلاء الرجال والتخطيط معهم للإستفادة بخبرتهم وقدرتهم وما يقومون به والحصول على أى معلومات تفيد رجال المخابرات الحربية مستخدمين الجمال، كنا مزودين بصور ومعلومات لعملاء الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية لتفاديهم وعدم الوقوع فى براثنهم، استخدمنا الطريق الأوسط الذى تدور حوله كل العمليات مع الحذر والسير على مسافة بعيدة عنه بداخل الصحراء بطريق مواز له.

أمضينا خمسة أيام منذ التكاليف الأول وهو البحث عن هؤلاء الرجال، قصدنا جبل يعلق للتزود بالماء من إحدى البيارات المنتشرة به، حينما إقتربنا من البيرة شاهدنا مجموعة من الأغنام والماعز وبدوية صغيرة السن ترعى بجوار البئر وعلى مسافة مائى متر منه توجد خيمة بدوية يعيش بها رجل بدوى وزوجته.

ظللنا نراقب المكان من على مسافة حتى نستطيع الإقتراب من البئر دون أن نلاحظنا أحد، تعدى الوقت عدة ساعات وضرب العطش بنا فقررنا التقدم نحو البئر والحصول على المياه مثل أى بدوى بسيناء، لاحظت البدوية تقدمنا نحوها ووقفت تراقبنا ووقف كلبها بجوارها لإستطلاع الأمر وملاحظة القادمين، إقتربنا منها أكثر فأكثر وتحديث زميلى (جرير) بصوت هادىء وألقى تحيته عليها :

- مساء الخير يا مستورة.

- مساء طيب يا أخ العرب، بك تتزود بالمياه؟

- فعلا محتاج نحصل على زوادة مياه حتى نستكمل الطريق للجبيلة.

- أكيد أنتم من جبيلة (البياضية).

- بالفعل إحنا من عرب البياضية وكنا ناويين نكمل طريقنا لحد رمانه لكن ظروف الحرب عرجلت مشوارنا جلنا نريح هنا ونكمل بالغد.

- زين الراى لأن اليهود ملخبطين الحال ويبدورا على الدفعة عشان يخلصوا عليهم موتوا دفعه إسرائيليين يامه.

- ربنا ينتجم منهم، نروح على عين الميه نتزود ونطفى عطشنا.

- الميه وفيه .. ميه زى زمزم ربنا يبارك لنا فيها.

هكذا تركنا الفتاة مشغولة بالغنم وأثناء أن قمنا بملىء المياه شاهدت البدوى وزوجته وطلب منى جرير أن أقوم فى الخفاء بالتقاط بعض صور سريعة لهما وإرسالها لمكتب القنطرة مع المرسال اليومى الذى سيمر علينا بجوار جبل الننى.

جلسنا بعيداً عن عين المياه ومازلنا نراقب المكان ومن فيه، بعد ساعة زمن تقريباً تحركت الفتاة مودعة قاطنيه وهى تشير للرجل بأنها سوف تعاود فى الصباح وتخبره بما تتوى فعله معه لمساعدته فيما تحدثنا فيه، صمت الرجل بينما تحركت

الفتاة، بعد سيرها بعدة دقائق أقبلت زوجة الرجل تتحدث معه بكلمات شديدة قاسية وأهم ما لفت نظرنا أنها تتحدث بلهجة أبناء المدن المصرية وليس البدو وأجاب الرجل على حديثها بضيق وتبرم محذرا إياها من القيام بأى تصرف طائش مما دفعها إلى إظهار مسدس كانت تخفيه أسفل ملابسها وبسرعة أخرجت سوار حديدى (كلايشات) من بين طيات ملابسها والمخصص للمجرمين المقبوض عليهم وصرخت به:

- ناولنى إيدك.

- كانت دهشتنا أنه إنصاع لأمرها ومد يديه الإثنين فوضعت فيهما السوار وتركته حائقة تسبه ثم عادت نحوه وبصقت عليه ولم يعتد بها الرجل وظل ساكناً.

عادت السيدة إليه ثانية وصرخت به وإقتربت منه تتوعده قائلة له (مبقاش ليلى يا خالد إن مخليتك تندم على تصرفك مع البت البدوية) دفعه تهديدها له بأن أوضح لها مقصده السليم وأنه لم يضرها فى شىء ما لكنها تركته ودخلت إلى خيمتها الصغيرة وأسدلت الستارة، أتاح لنا هذا التصرف بأن تمكنا من الحصول على بعض الصور لهذا الرجل المدعو خالد بالإضافة إلى أن التقرير الذى سوف نعهده سيشمل ملاحظاتنا عما حدث وعن الفتاة التى تتحدث عنها المرأة التى تدعى ليلى ولهذا أسرنا بترك المكان والهرب.

خالد :

صباح اليوم التالى أقبلت زمردة سعيدة مرحة وألقت بتحيتها على أثناء كنت جالساً خارج الخيمة مما دفعها للدهشة متسائلة لماذا لا أنام فى الخيمة مع زوجتى

وكانت إجابتي بأنها مازالت تعاني من إصابتها بالمalaria ولهذا تركت لها المكان كي تحصل على راحتها.

أثناء حديثي مع زمردة فتحت ليلى باب الخيمة وتوجهت نحو عين المياه ترتدى ملابس شفافة غاية فى الرقة والروعة مما دفع زمرده للدهشة وهى تردد:

- مرتك جميلة جوى يا خالد، أروح منها فين، دى تغطى على كل النساوين بالجبيلة.

صمت وفوجئت بما قامت به ليلى ولم يسبق أنها تصرفت بمثل هذا التصرف ولم يكن يدر بخلى أنها سوف تتصرف هكذا، تبين لى أنها سيدة شديدة المراس وأشد من هذا المراس جمالها وفتنتها التى تعلمها، اليوم ظهرت بشكل لم أتوقعه مما دفع بزمردة إلى إصطحاب أغنامها وتركها المكان حائقة وتحديث بكلمات كثيرة لم أتفهم منها الكثير بينما ليلى تنظر نحونا بعدم إكتراث متعمدة إتيان بعض التصرفات والحركات التى تثير أى رجل مما دفع الفتاة لمغادرة المكان كارهة.

أقبلت ليلى سعيدة بإنتصارها فى أول معركة بأن إستطاعت قهر الفتاة التى رغبت بأن تصبح الزوجة الثانية، إقتربت منى ونزلت بركبتىها أمامى ونظرت فى عينيّ بتركيز متوعدة بأننى إذا لم أخلص لها فسوف تكون نهايتى على يديها ومدت يديها نحوى مرردة :

- الصواب الحلوة دية ممكن تسعدك وممكن تخنقك، ممكن تضغط على زناد المسدس فتخرج الرصاصة الأخيرة الموجودة بماسورة المسدس، دى آخر طلقة يا خالد، عارف آخر طلقة معناها إيه، معناها كبير ولا مجال للخطأ ولا بد أن يكون

التصويب فى القالب أو بين العينين، أسبك شويه تحاول تفوق لنفسك من الخبل إلی
فى نفوذك.

أيقنت أنى أصبحت فريسة سهلة لتلك السيدة ولن أفلت من يديها بسهولة وقررت
بينى وبين نفسى أن أستغل أى فرصة للهرب منها بعد أن أصبحت يدياى محررة
من الأغلال فجر هذا اليوم وقبل حضور زمردة بأغنامها حيث نهضت ليلى من
نومها وفكت القيود الحديدية كى لا تأتى الفتاة وتشاهدنى على هذا الوضع.

جلست بجوار عين المياه ارتب أفكارى ولم تتركنى ليلى انفرد بنفسى وأقبلت
نحوى وبدا عليها أنها راغبة بى وأنها تقلبنى على نار الإثارة فعدت كما شاهدتها
بعد أن ارتدت عباءة مفتوحة من الأمام حتى تتجنب مفاجأة أى قادم للعين مثلما
شاهدت إثنان من البدو بالأمس للتزود بالماء وجلسا مع زمردة بعض الوقت.

نظرت إلی ليلى حائقا على حديثها الفج الوقح فى حقى والتى دائما ما تشعرنى
بأنها تتحكم فى حياتى وفى حريتى ولابد أن اظل عبدا لها وأن تظل هى السيدة
الأمرة لى وأنا أعلم تمام العلم أنها لن تتركنى وبعد أن تحصل على ما تريد سوف
تسلمنى للإسرائيلىين أو تطلق على الرصاصة الأخيرة التى تثبت لى أنها سيدة قوية
وشجاعة ولم تخشى أن تخبرنى بأنها لا تملك سوى تلك الرصاصة الأخيرة ولابد
من إنتصارها على وهذا الإنتصار لابد أن يأتى وأنا عاجز عن مقاومتها لتأثير
إصابتى السابقة خلال حرب اليمن فلا أستطيع الإعتماد على نراعى الأيمن، وأنا
فى حالة من السكون أو خلال النوم بحيث تفاجئنى فلا أستطيع الدفاع عن نفسى
وتكون نهايتى على يديها.

كتشف حقيقة ليلي

الفرزدق :

بعد مغادرة مكان بيارة المياه الموجودة بجبل يعلق عُنت مع جرير إلى مكاننا المختار بأحد كهوف جبل (البنى) القريب من جبل (يعلق)، بعد الحصول على راحة من عناء السير عدة كيلومترات جلست مع زميلي جرير نستعيد ما شاهدناه ظهر اليوم بجوار عين المياه والفتاة السيناوية والزوجان المتواجدان بهذا المكان وتأكد لنا أنهما ليسوا من بدو سيناء لهيئتهم وأسلوب حديثهم وأيضاً لشعورنا بأنهما لو كانوا من بدو سيناء فلماذا لم ينضموا للقبيلة التابعين لها، خطر في بالي خاطر وسرعان ما أوضحته لصديقي جرير :

- قوم بيينا نشوف الصور إल्ली أخذناها من مكتب مخابرات القنطرة.

- الصور أهنية وأكيد محدش منهم فيها لأنها تخص بعض العملاء.

- شوف يا جرير، لاحظ صورة الست دية المكتوب إسمها عليها (ليليان فيكتور) الشهيرة بإسم ليلي زوجة (سلومه مزراحي) هيا نفس الست إल्ली كانت عند عين المياه وقاعده فى الخيمة وأخذنا لها صور عديده.

- مش معقول لكن الراجل إल्ली معاها شكله غير إल्ली فى الصورة.

- صحيح .. يمكن الإسرائيليين إستبدلوه بواحد تانى عشان التمويه.

- يمكن وكل شىء جايئز لكن يا ترى يبقى مين؟.

- ياترى ليليان بتعمل إيه فى المكان ده، لازم نراقبها هيا وإللى معاها.

- صحيح، طيب نتحرك قبل الفجر عند نقطة الإتصال ونسبب الفيلم يوصل لمكتب القنطرة وننتظر أى تعليمات لكن المهم هو مراقبة ليليان وأكد ح توصلنا لحاجه.

زمردة تستعد لمنافسة ليلى:

بعد عودة زمردة مساء هذا اليوم والأسلوب اللفظ التى شاهدت عليه ليلى زوجة خالد والطريقة التى ترتدى به ملابسها المثيرة دون حياء وكأنها تستعرض نفسها أمام الفتاة التى لاحظت تضاريس جسدها وشعرت أنها تتفوق على ما لدى ليلى من مفاتن لكن الحياء يمنعها من القيام بنفس التصرف إلا إذا تم العقد عليها من خالد التى شعرت نحوه بعاطفة قوية لم تستطع أن تضع لها لجاماً حتى لا تنمادى فى رغبتها وهى تعلم انه متزوج وزوجته تغير عليه وهو أيضاً لم يشعرها بأنه مهتم بها سوى ببعض النظرات الخاطفة وبعض الكلمات المعسولة الرقيقة التى أثارت مشاعرهما وأحاسيسهما وتلك الكلمات تخالف عادة ما يتحدث به شباب البدو.

عرضت زمردة على عمتهما ما حدث لها من مشاعر تجاه هذا الشاب وزوجته التى تغير عليه ولا ترغب بأن تقترب منه امرأة أخرى مما دفع العمة للضحك وأن هذا هو حال جميع النساء لكن الشرع أباح للرجل الزواج بأخرى ولن تستطيع زوجته الحالية منعه من الزواج بك.

شعرت زمردة بالراحة وأن باب السعادة لم يوصد بعد ولهذا قررت أن تعاود الذهاب للقاء خالد مع تجاهل زوجته، إستطاعت بمعاونة عمتهما أن تقوم ببعض إجراءات من شأنها أن تزيد من روعة ما تتمتع به من بهاء وجمال ومن أجل هذا

قامت بالإستحمام بماء ساخن كى تزيل عن بدنهما كل ما علق به من أوساخ أو روائح لحركتها بالصحراء تحت أشعة الشمس الشديدة.

فى الصباح عطرتها عمتها ببعض العطور التى لديها وأثنت على جمالها ولهذا شعرت الفتاة بأنها جميلة وفاتنة وسوف تنافس زوجة خالد ولن تستكين أمامها، أثناء سيرها نحو عين المياه للقاء خالد كانت تنظر إلى زيتها النظيف الجديد من حين لآخر والتى حصلت عليه من عمتها وقررت تنفيذ وصايا العمة حينما تنفرد بخالد وتقرب منه وتعمل على تحريك مشاعره وأحاسيسه نحوها.

وصلت زمردة إلى عين المياه وتركت أغنامها ترعى الكلاً وتلهو ومن حين لآخر ترأى الزوجين وتؤكد لها أنهما ليسا على علاقة طيبة حيث مايزال خالدًا يجلس خارج الخيمة وزوجته تجلس بالداخل تلهو ببعض الصحف والأوراق ومن حين لآخر يصدح صوتها بأغنية من الأغاني التى كانت تسمعها من راديو عمها سليم.

خالد؛

تنبعت لوجود زمردة ورغبت فى قطع حالة السكون المؤلمة التى احياها وخامرتنى شكوك قوية بأن ليلى لن تطلق سراحى وسوف تسلمنى للقوات الإسرائيلية وأن القسم المتبادل بيننا بالإخلاص قد زال ومحيت أى آثار له بعد تلك التهديدات المباشرة شبه اليومية، ولهذا تركت مكانى القريب من خيمة ليلى وتوجهت لمكان زمردة التى شاهدتني مقبلا نحوها فأشعرها هذا بسعادة غامرة كانت واضحة عليها من إبتسامتها الصافية وهى تتحرك بدلال، وقفت فى إنتظارى

واعتقد أنها تأكدت أنني لمحت محاسنها وشاهدت مفاتن جسدها التي تغطيه ملابس رقيقة بعد أن تخلصت من العبانة السيناوية سميكة الحجم.

- صباح الخير يا زمردة.

- صباحك عسل نحل وحليب يا خالد.

- كويس خالص، أنت فاكهه إسمي.

- بالطبع لما تكون الولية منا بتميل للزلمه ما تنسى إسمه واصل.

- أنتى مياله ليا يا زمردة؟

- بلاش كسوف.

- على كل حال أنتى منوره النهاردة وجميلة جداً وتفتحى النفس .. بتضحكى؟ :

- اكيد أضحك، إنفتححت نفسك للأكل وإلا للحكى؟

- قصدى إنفتححت نفسى للحياة، لحب الدنيا وحبى لمصر وأمنيتى أرجع للقاهرة.

- ما فيش حد هنا يهكم أمره ولو سافرت ح يزعل ونفسه تكون جريب منه؟

- ما أفكرشى .. مين يا ترى؟ تفنكرى ليلى؟

- يمكن حد تانى غير ليلى.

- ما فيش حد تاني هنا عايزنى.

- فكر ودور دماغك وإطلع ريك.

- قصدك إيه؟ أنتى يا زمرده، بتحبينى وعايزانى.

- أيوه يا زلمه .. فهمك بطيء خالص وإلا خايف من مرتك؟

- ح أخاف منها ليه، هيا فين وأنا فين، هيا فى آخر الدنيا.

- يازلمة مرتك جدامك وبتطل علينا وعيونها بتطلع شرار.

- قصدك ليلى.

- أيوه إمال عجلك راح فين؟

- صحيح، على كل حال إالى يحبنى بأحبه أكيد ومن القلب للقلب رسول.

- ده يطمنى، عايزه أخد منك وعد أنك جاي تزور دار عمى وتعجد على جدام جوزها.

- كلامك صحيح .. لكن بلاش اليومين دول.

- بخاطرك، جوم فز وروح لمرتك ولما ترهج منها ح تلجاني منتظراك.

تركت زمردة متجهاً نحو ليلى التى تجاهلتنى تماماً لحظتها شعرت بسعادة غامرة وطلبت من الله أن يستمر هذا حالها وسلوكها، جلست بعيداً عنها وعن زمردة أفكر ماذا على أن أقوم به فى المرة القادمة، كنت راغباً بأن يصبح لى عزوة أحتفى بها تحمىنى من مصائب ليلى ومعانيتها الذى لا أعلم عنهم شيئاً، كنت أشعر بداخلى بأنه لو إرتبطت بزمردة فسوف أحقق تلك العزوة وأنجو من براثن ليلى وعنفوانها الذى لا أستطيع تحديد إتجاهه أو منعه، فما زلت سجيناً لها رغم فك قيودى.

ترددت فى فكرة عقد قرانى على زمردة، فهذا شىء بعيد عن فكرى رغم أنها فتاة طيبة وجميلة، أنا رجل متزوج ولى طفل وأخشى أن أتزوج من زمردة فتتجلب لى طفل أو أطفال وتأتى إلى فرصة مناسبة لترك سيناء والعودة لعائلتى ولحظتها سوف أتحرق شوقاً لها ولأطفالى بينما سيظل هؤلاء الأطفال هنا بجوار زمردة وسوف يكبرون ويصبحون رعاة للأغنام، شاهدت زمردة تترك المكان تغادره بأغنامها تشير نحوى وهى تردد :

- بكره ح اعود عليك وأشوف نويت على إيه يا زلمه.

جلست ساكناً هامداً من كثرة التفكير فى حالى بعد أن أصبحت سلبى الإرادة رغم أن قيودى فكت عن ساعداى لكنى خشيت الهرب ومغادرة المكان نظراً لأن ليلى سريعة الغضب قوية الشكيمة لا تتأثر بالأم الناس، أشاهدها خلال الأيام الماضية تتجه بالقرب منى ويبيدها بعض الخناجر وتقوم بالتصويب على ساق إحدى أشجار النخيل بمهارة عاليه أحسدها عليها، تتوقف بعد هذا تتحدث بأسمة موجهة حديثها نحوى :

- حبيبي خالد .. تعرف لو فيه واحد أنا مرقباه وسهاني وهرب منى تلاقانى بسرعة تبعته وصوبت له خنجر من دوول يرشق فى ظهره، طبعاً ملوش علاج لأنها خناجر مزودة بسم قاتل بداخل التجويف الموجود به وعلى طول يلوث الدم وبعد خمس دقائق تخرج روحه فى ستين داهية.

- أنا مش مصدق أنك إتربيتى وعيشتى فى مصر ومش مصدق أنك حفيدة حتشبسوت وإلا نفرتيتى، فيه لحظات وأنتى بتكلمينى بأفكر أنك راجل قاتل محترف.

- عشان أنت غبى ومبتفهمشى، فيه يا مغفل راجل شكله كده وإلا أنت بتحاول تعمل ليا صورة باهته عشان ملكشى فى الستات حتى البنات اليهودية إالى حبتها وأنت شاب صغير معملتش معاها حاجة، خليك فى حالك وأسكت.

- على فكرة .. أنت ست قليلة الأدب ومش متربية وأنا ما أقبلشى على نفسى أنى أقوم أضربك على وشك وأعلمك التربية.

- أنت تعلمنى التربية، قوم فز وإقف.

- برده المسدس، النيلة إالى مسكاه فى إيدك على طول، من غيره متعرفيش تعملى حاجه معايا.

- لا ياشاطر، جهاز إتصال معايا ممكن أفتحه وتلاقى قوات محموله وطيارات هليكوبتر فى كل مكان، وتأخذك على طول، يا تموت يا تتسجن فى عتليت ومترجعشى مصر.

- طيب ساكتة ليه؟ معملتش الحكاية دية لحد دلوقتي وتخلصيني من الغلب إلى أنا فيه، ليه بتلعبي معايا لعبة القط والفار، خلصى عليا وإقتليني وهيا لحظة ألم وبعدها بقيت جنب رب العباد.

- متهونشي عليا.

- ليه يا ست الحلوين.

- لأنى حبيتك، من خييتى حبيتك، أول مره من يوم ما سبت مصر قعدت وتسامرت وبيت كام ليله قريب من شاب مصرى ما رحشى إسرائيل، بتخلينى أرجع لأحلام مصر الجميلة، عايزه أكون لك وأنت بتبعد وأخرتها رحت تترمى تحت شيشب البت المشقة بتاعة أول إمبارح .. بتضحك؟

- أيوه بأضحك، لأنك لو بصيتى لزمردة حتلقيا حتة قشقة على فراولة وشوية كاكاو يعنى شيكولاته.

- طيب يا حق، خليك مع القشقة والغنم .. بسرعة مد إيدك .. أيوه كده .. خليك بالكلايشات دية لحد ما بيان لك صاحب.

كما هى عادة ليلي فقد تركنتى قبل هبوط الظلام مقيد الرسغين أجلس لا أستطيع الدفاع عن نفسى ضد أى خطر لو كان بسيطاً، لقد علمت اليوم الكثير وشاهدت دقة تصويبها بالسلاح الأبيض المسمم ومقدرتها على إستدعاء قوات إبرار جوى تقضى على أو تعمل على أسرى، لقد أصبحت سجيناً وحيداً لأقوى سجانة وتلك السجانة لو إقتربت منها تنفيذاً لرغبتها ما إستطعت الإبتعاد عنها فهى سيدة جميلة جداً وتمتلك

من مقومات الجمال الكثير جدا سواء بإبداع الله فى خلقه أو لأسلوب تحدثها وتصرفاتها والتي تعلمت منه الكثير فى ملاهى شارع الهرم مع زوجها القواد سلومه.

مكتب المخابرات الحربية بالقنطرة غرب :

كما هى عادة ضباط المكتب الذين قاموا يتفحصون رسائل العملاء القادمة من سيناء، ظلوا طوال الليل يتفحصون الرسائل وفى إنتظار طبع الأفلام المرسلة، قبل الفجر أقبل المتخصص فى تمييز وطبع الصور وسلمها للضباط الذين تفحصوها حتى وصلوا للعميلين جرير والفرزدق وقارنوا الصور بما كتباه فى رسالتهم تعرفوا على لىلى أو (ليليان فيكتور) زوجة سلامة أو (سلومه مزارحى) .. توقف أحد الضباط الصغار أمام الصور وهو يشير إلى صورة خالد وتبين لهما وجود قيود حديدية حول معصمه وهذا يدل أنه أسير وردد هذا الضابط بصوت ملأ المفاجأة والضيق :

- دا النقيب خالد شوقى !!

- تسائل آخر، هل تعرفه؟

- أكيد ، أول خدمتى فى اليمن كانت فى سرية إستطلاع اللواء العاشر وكان قائد السرية فى عملية جريئة قمنا بيها فى منطقة (صاعده) أصيب خلالها إصابات شديدة ونقلته الطائرة لمستشفى المعادى بالقاهرة.

تسائل المقدم حسن قائد المكتب عن السبب فى تواجد النقيب خالد مع ليليان فيكتور، طلب منهم الإسراع بإرسال مندوب بالصور لإدارة المخابرات والإستطلاع بالقاهرة للتعرف على صورة خالد للحصول على بعض المعلومات.

بعد مضى يومان عاد المندوب بتقرير يوضح بأنه الرائد خالد شوقى قائد سرية إستطلاع اللواء ١١٦ مشاه والذى كان يتخذ موقعا له بمنطقة العوجة وجميع الأخبار تؤكد أن تلك السرية تعتمد الإسرائيلين إبادتها لجرأتهم فى دخول مستعمرات النقب بإسرائيل والحصول على معلومات وبعض الوثائق ولهذا قرروا الإجهاز عليها مهما كان الثمن.

جلس قائد المكتب يفكر مع ضباطه عن الطريق الأمثل لفك قيود الرائد خالد شوقى والذى تأكد لهم شخصيته وقد أصبح أسير تلك العميلة الخطيرة ومن المؤكد أنها سوف تسلمه للمكتب التى تعمل به، تقرر إرسال رسالة عاجلة إلى العميلين جرير والفرزدق نحو هذا الأمر والتعريف بالشخصية والعمل على إنقاذه بأى طريقة مع الحفاظ على حياته.

محاولة إنقاذ خالد

مصاعب الإنسحاب (العريف محروس):

بعد مغادرة موقع الرجال الأشداء رجال الإستطلاع ومعاونتهم فى عمل كمانن للعدو بالقرب من جبل يعلق وجبل البنى، ها قد تركنا هؤلاء الرجال كى نكمل طريق الإنسحاب وقد مضى على نهاية الحرب حوالى الشهرين كنا فى أشد الحاجة للعودة إلى قرانا وعائلاتنا وكل واحد منا مثقل بأعباء إعاشة عدد كبير من أفراد عائلته بعد وفاة الأب الذى كان يجرى على قوت عيشهم، لم تكن مكافأة التجنيد تشفع باى شىء لأنه مبلغ ضئيل لا يصل إلى ثلاثة جنيهاات شهريا.

مازلنا نواصل سيرنا مثلما كنا نسير فى السابق بعيداً عن الطريق المرصوف خشية العدو وحينما نسمع صوت طائرة نسرع بالإنبطاح أرضاً خشية أن تقوم بإطلاق مدافعها علينا أو تسقط قنابلها فوق رؤسنا.

بعد مضى ثلاثة أيام على السير أخبرنا أحد زملائنا الجنود بأننا إقتربنا من قناة السويس هدفنا الذى نتجه إليه، فقد علم من ضابط الإستطلاع بأن منطقة (ممر الجدى) تبعد عن قناة السويس ما يقرب من خمسون كيلو متراً من جهة الشرق ولهذا كنا نتقدم نحوها.

رفعت صوتى لزملائى قائلاً هيا ايها الرجال نصل إليها ونحصل على راحة ومن أجل هذا تناول كل واحد منا شربة ماء وقطعة من البسكوت الذى إستولى عليه رجال الإستطلاع من الإسرائيليين وأعتقد بأن تلك القطع سوف تنتهى فى وجبة تلك الليلة فقد أسرفنا فى تناول هذا الطعام الشهى.

صباح اليوم التالى واصلنا سيرنا وشعرنا بسعادة أننا سنصل إلى شاطئ القناة منتصف الليل أو صباح الغد، بالفعل شعرنا بإقترابنا من القناة حينما تعدينا منطقة (الحمة) وبعدها بعدة كيلومترات شاهدنا إحدى السفن الضخمة متوقفة فى مياه القناة وكان هذا على مسافة لا تقل عن خمسة كيلومترات، حصلنا على راحة تلك الليلة ولم يكن معنا سوى بعض مياه الشرب القليلة ولم تكن هناك أية أطعمة فقد إستهلكنا كل ما كنا نحملة.

صباح اليوم التالى واصلنا تقدمنا حتى وصلنا إلى شاطئ القناة لكن تبين لنا أن هذا الشاطئ هو شاطئ منطقة البحيرات وبالتالى لن يشاهدنا أحد من الجانب الآخر نظرا لعرض منطقة البحيرات الذى يتعدى عدة كيلومترات حيث كنا نشاهد بعض الأشجار من الجهة الغربية بصعوبة بالغة ولهذا سرنا بجانب شاطئ البحيرات حتى نصل إلى منطقة القناة ذات العرض المحدود حتى نستطيع طلب المساعدة من الجانب الآخر.

واصلنا السير وأثناء هذا شاهدنا لورى من لوارى الجيش قادمة نحونا، البعض تخوف منها بينما تشجع البعض وكان أحد المرافقين لنا جندى سائق والذى أكد أن هذا اللورى مصرى ابن مصرى ومما زاد من يقيننا بأن هذا اللورى مصرى أن شاهدنا أحدا بداخله يشير إلينا ملوحاً مما أسعدنا وأن الله سوف ينقذنا من عناء السير مسافة طويلة هى طول البحيرات المرة وقد يصل طولها إلى أكثر من ٣٥ كيلومتر تحت أشعة الشمس الشديدة وبخر مياه البحيرة الذى أطبق على الهواء من حولنا والذى أصبح رطبا فشعرنا بالإختناق وصعوبة التنفس.

توقفنا حتى وصل إلينا اللورى وقفز من الخلف أحد الجنود مهلاً ومتسائلاً :

- الدفعة منسحبين وناويين تعدوا القناة الناحية الثانية .. أجابه احد الجنود :

- ايوه ناويين نكمل.

- طيب حظكوا حلو، إركبوا معنا والعربية فيها أماكن تسعنا كلنا لأن معنا شوية من العساكر زمايلنا ونكمل مشوارنا سوا.

تسائل أحد الجنود عن خشيتنا أن يهاجمنا الإسرائيليين فضحك الجندي وهو يشير إلى سطح غطاء اللورى المصنوع من الشمع القوى بأنهم وضعوا علم إسرائيل فوق اللورى حتى لا تهاجمهم القوات الإسرائيلية مما أسعدنا جميعا والبعض ضحك مردداً بأن الإسرائيليين مغفلين والحمار يفهم أحسن منهم، قفزنا لداخل صندوق اللورى من الخلف وشاهدنا عدد من الجنود المصريين البائسين الذين أسعدهم قدومنا وتساءلوا عن الماء فقمننا لهم البعض وقرر احدنا أن يهديهم كل ما معه من مياه لأنها ساعات قليلة ونصل للغرب ونشرب الشاي والمياه المثلجة أيضاً.

سار بنا اللورى فترة تقارب النصف ساعة ثم شاهدناه يتجه للطريق المرصوف فشعرنا براحة الجلوس باللورى بعيدا عن الطريق غير المعبد الذى سرنا عليه مسافة طويلة، بعد نصف ساعة أخرى سمعنا صوت طائرة وخشينا منها لكن الجندي المسؤول عن اللورى طمأننا بأن العلم سوف يحميننا ورغم هذا كنا نخشى العاقبة وكانت المفاجأة أن الطائرة تحركت بجوارنا وهى من نوع الهليكوبتر بل من كان معنا أشار إليهم بعلامة التحية ورد أحد بداخل الطائرة ملوحاً لنا.

كان اللورى يسير بسرعة كبيرة وشعرنا بأننا قطعنا مسافة طويلة مما دفع بأحدنا لأن يسأل من يتولى قيادتنا أنك تسير فى طريق طويل وأجابنا بهدوء المعهود :

- فعلاً، إحنا أخذنا طريق ملفوف عشان كماين إسرائيلية فى بعض الحتت وعشان كده بنلف .. أعقب هذا قيامه بالغناء لنشيد (ناصر كلنا بنحبك .. ناصر يا حبيب الكل يا ناصر) زادت سعادتنا لسماع هذا وأخذنا خاطبه قائلاً:

- والله أنت مصرى جدع وشهم ووطنى وأيد الجميع هذا وفى غمرة هذا الحديث المرح توقف اللورى وأمرنا هذا الشهم الجدع بالهبوط، هبطنا ولم نشاهد القناة وقبل أن يتسائل أحدنا تحدث هذا الجندى مخاطباً بعد أن انضم إليه السائق وجندى آخر:

- إحنا دلوقتى فى مفارق الحسنة، يعنى بينكم وبين القناة مسافة كبيرة تصل لحوالى ٢٥٠ كيلو وبعد ما وصلتوا لها إرجعوا مشى تانى يا ولاد الكلب.

حدث لنا نوع من الصدمة وقال أحدنا :

- طيب شوف أنت عايز كام يا حضرة الصول .. ضحك هذا الشاب ثم أحدث صوتاً بديناً بفمه مردداً :

- أنا يا ولاد الكلب شاويش فى جيش الدفاع الإسرائيلى وكل مهمتى من يوم ما الحرب بدأت ألم الحمير الأغبيا إالى زيكم من على الطريق وأرجعهم تانى عشان يمشوا المشوار ويموتوا قبل ما يوصلوا، غوروا من قدامى قبل ما أفتح عليكم النار خسارة فيكم الذخيرة، خلى الجوع والعطش والشمس تخلص عليكم لأن فيه حمير زيكم كتير.

قفز الرجل بداخل اللورى الذى أسرع مغادراً المكان بينما وقفنا لا نستطيع التفكير وجلسنا أرضاً نندب حظنا وأنا كنا على وشك العبور للجانب الغربى للقناة

وفى نفس هذا التوقيت كنا نجلس مع الجنود المصريين نأكل ونتحدث معا ونستعد لركوب أى مواصلة للعودة لعائلتنا، بكى بعض الجنود وقرر البعض الإنتحار فى حالة عثورنا على سلاح حيث كنا جميعا دون سلاح، لقد أصبحنا أكثر من عشرين جنديا بعد إضافة الجنود الذين كانوا بداخل اللورى والذي حدث لهم مثلما حدث معنا.

هبط الليل بظلاله سوداء على قلوبنا التعيسة وعلى أجسادنا المنهكة وقرر البعض مواصلة الإنسحاب ولن نظل فى مكاننا ويجب علينا ألا نجعل الإسرائيليون ينجحون فيما قاموا به، يكفى أنهم إنتصروا علينا فى المعارك ويجب علينا أن نحافظ على أرواحنا، وافق الجنود الراضين تكملة الإنسحاب على السير خلف الجنود الذين بدأوا السير، خلال الليل سرنا مسافة لا بأس بها، مما دفعنا للحصول على الراحة بجوار بعض الدبابات المدمرة ومن حُسن الحظ أننا عثرنا على قليل من المياه فى تلك الدبابات.

جدير والفرزدق :

منذ ساعات وصلت إنباء سريعة وهامة تفيد بأن الرجل الذى كان مع ليليان فكتور ما هو إلا الرائد خالد شوقى قائد سرية إستطلاع اللواء ١١٦ مشاه وهو من الرجال الأفاضل فى معارك اليمن الضارية وتبين الصور التى أرسلتموها أن بيديه قيد حديدى، إعملوا على إنقاذه بما تستطيعون ويمكنكم الحصول على مساعدة الرجال الفدائيين الذين يقاومون العدو وسبق بأن كلفكم المكتب بالعثور عليهم كى يصبحوا نواه لتحرير سيناء.

أسرعنا لتنفيذ الأمر وكان السبيل الوحيد هو الإقتراب من المناطق التى حدثت بها عمليات فدائية، جلسنا ليلاً كى نحصل على راحتنا فسمعنا صوت وقع أقدام على الطريق الأوسط سرعان ما ظهر بعض الشرر الناتج من وجود جزء حديدى بأحذية الجنود كى تمنع الأحذية من الإستهلاك السريع، خشينا أن يكونوا من الإسرائيليين لكن بخبرتنا فإن الإسرائيليين لا يتحركون ليلاً إلا فى حالات الإضطراب وتحركهم تحكمه ناقلات الجند المدرعة.

بدأ الصوت يزداد وضوحاً وتلى هذا مشاهدتنا لظلال أشباح تسير وتتحرك وبعد عدة دقائق سمعنا لغواً وأحديث متدخلة متقاطعة والبعض ينعى حظه العاثر فيما حدث لهم بالأمس والبعض يستجدى الماء وقد ضرب بهم الظما، حينما إقتربوا منا ناديت عليهم بصوت خفيض :

- دفعه، أنتم يا دفعه، شعرت أن الرجال تخوفوا وزاد من هذا الشعور هروبهم للجانب الآخر من الصحراء والبعض إنبطح أرضاً، نهضت وزميلي جرير وإتجهنا نحوهم نسألهم لماذا الخوف ونحن مثلهم ونرغب بالسير معهم ومساعدتهم فى الوصول لبئر مياه عذب ننهل منه، نهض عدد قليل وأقبلوا نحونا ووقفوا معنا متوجسين وتحدثنا معهم بهدوء وإصطحبناهم فى سيرنا نحو البئر مما دفع بالباقيين للحاق بنا.

قبل بزوغ ضوء هذا اليوم تركت جرير معهم وحملت عبوات البلاستيك التى كانت معهم وتوجهت بحذر نحو البئر التى تعيش بالقرب منه العميلة الإسرائيلية (ليليان) ويهدوء ملأت عبوات المياه وعدت إلى الجنود الذى أنهكهم العطش

والسير فنهضوا وشربوا سداء والبعض منهم من فرط سعادته حاول تقبيل أيدينا والدعاء لنا بالسلامة ولأولادنا بالصحة.

طلبت منهم الإختباء خشية ظهورنا وأن تقوم طائرات معادية بمهاجمتنا وعدنا أصبح كبيراً أو تفاجئنا دبابة أو أكثر وتطلق علينا قذيفة واحدة تقضى علينا جميعاً تحدث معى أحدهم يخبرنى بأن تلك المنطقة لهم فيها أصدقاء رجال أشداء ومكثوا معهم فترة من الزمن ثم غادروا المكان وليتهم ما فعلوا وأعياهم مكر ودهاء الإسرائيليين وقص علينا ما حدث من اللورى الذى يجمع الرجال المنسحبين قبل وصولهم للقناة ثم يعيدهم مرة أخرى بالقرب من الحدود الدولية.

عصر هذا اليوم تحركنا نحو الطريق المؤدى إلى موقع الرجال المقاتلين الأشداء، كانت سعادتى وسعادة جرير لا مثيل لها فمن نبحت عنهم علمنا أين مكانهم ونتجه إليهم ونطلب من الله التوفيق فيما نحن متجهين إليه، ظل حال سيرنا حوالى ثلاث ساعات، قطع صمت السير أحد الرجال قائلاً هذا هو المكان الذى كنا به صعدنا لمرتفع عال بداخل جبل يعلق حتى وصلنا للمكان المحدد ولم نعثر على أحد تخوف الجندى الذى أرشدنا لكن زملائه أخبروه أن هذا هو المكان بالتمام والكمال.

إنتشر الرجال بداخل المكان وعاد أحدهم يؤكد بأنه المكان الذى تواجدوا به قبل هذا والدليل على هذا هى كميات الذخائر والأسلحة التى عثروا عليها بل عثروا على بعض الأطعمة مما دفع الرجال الجوعى إلى إلتهايم جزء منها والمياه مازالت بحوزتنا، نام الرجال فى هذا المكان المختار وقبيل بزوغ الفجر نهض أحدها وأخبرنا بأنه يسمع أصوات رجال قادمة، أرهفنا السمع وتبين انه لمصريين فجلسنا

صامتين حتى إذا إقتربوا تحدثنا ليسمعوا صوتنا وأحد الرجال تحدث معهم يخبرهم بأنه وزملاءه كانوا معهم منذ ما يزيد عن الأسبوعين.

أقبل الرجال بحذر وعندما تعرفوا على البعض ظهرت سعادتهم وأشاروا لمن كان معهم بالصعود وتجمعوا جميعا وتعدى العدد ما يزيد عن الثلاثين رجلا، لقد كان الرجال فى إحدى العمليات وإختبؤا عدة أيام فى أماكن أخرى للتمويه وعادوا تلك الليلة للحصول على الراحة عدة أيام وللتزود بالذخيرة والطعام والشراب.

أثناء النهار وجميع الجنود مختبئين وبدت السعادة على الجنود الغرباء الذين كانوا باللورى من تلك الصحبة والحماية مع توفر الأمان والطعام والشراب وزاد من شعورهم بالسعادة مشاهدتهم لإثنان من الضباط، جلست مع الضابطين بعد ما عرفتهم بنفسى وعرفتهم بزميلى جرير وعلاقتنا بالمخابرات الحربية والأمر الصادر لنا منذ عدة أيام بإتقاد ضابط مصرى أسير وقع فى براثن عميلة إسرائيلية من أصل مصرى تدعى ليليان فيكتور مما لفت إنتباه الضابطين وعلق أحدهما قائلاً الشهيرة بـ (ليلى).

خطة إنقاذ خالد:

(الفرزدق) سألت أحد الضباط عن موقعهم أثناء الهجوم الإسرائيلى وأفادنى بأن سرية الإستطلاع التى كانوا يخدمون بها كانت تحتل المنطقة الخلفية للخط الأمامى لقيادة اللواء، أعدت عليهم سؤال آخر، ما هو السلاح الذى تتبعون؟ هل هو المشاه أم المدفعية، أجاب الضابط على سؤالى بأنهم يتبعون المخابرات الحربية شعبة الإستطلاع، لحظتها هتفت متسائلاً بالتأكد سوف تتعرفون على الضابط المطلوب

إنقاذه، وكانت إجابة الضابط بالتأكيد سوف نتعرف عليه لكن ما سبب تأكيدك بأننا سوف نتعرف عليه؟

لحق بى جرير موجهها كلامه للضابط وزميله بأن الضابط الأسير كان يتقلد قيادة سرية إستطلاع، وأسرع الضابط صبحى يسأل جرير ما إسم هذا الضابط؟ أخرجت لفافة صغيرة وعليها التعليمات ورددت عليهم :

- الرائد خالد شوقى .. شاهدت نظرات الحيرة فى ملامح الضابطين وأسرع أحدهم قائلاً :

- الرائد خالد إستشهد فى أول يوم للقتال بعد هجمات العدو المستمرة وتانى يوم دورنا عن جثمانه ومقدراتناش نلقاه قلنا يمكن جه حد بالليل وقام دفنه لأن جثة المجرم سلومه كانت لسه فى مكانها. ثم تسائل الضابط :

- أنتم متأكدين من شخصيته؟

- إحنا منعرفوش لكننا شفناه ومعاه الجاسوسة إالى عايشه معاه وقلنا يمكن تكون مراته لأنه لا بس جلابيه سيناوية وأخذنا لهم شوية صور وبعتناها لمكتب مخابرات القطرة، بعد كام يوم بعقولنا يعرفونا بأن دى صورة الرائد خالد شوقى قائد سرية إستطلاع كمان الصور بينت لهم حاجه مكناش واخدين بالها .. الضابط صبحى متسائلاً :

- إيه يا ترى؟

- الرائد خالد كانت الجاسوسة حظه الكلبشات الحديد بتاعة المساجين فى إيديه الإثنين.

صمت الضابطين ثم أسرع الملازم أول حسن رمزى وطلب من زميله صبحى العمل على جمع جنود الإستطلاع على وجه السرعة، نهض الضابط صبحى لتنفيذ الأمر وبعد عشر دقائق أقبل الرجال وإنتحى بهم الضابط حسن رمزى وتحدث معهم دون أن نسمع حديثهم ورغم هذا شاهدنا علامات التعجب والدهشة مما دفع أحد الجنود بأن يقف وبصوت عالى يردد :

- الحمد لله، الرائد خالد حى وكلتنا فدا سيادة الرائد.

هكذا علم الجميع بشخصية الضابط الأسير ونية المخابرات الحربية العمل على إنقاذه لهذا طلب منى الضابط حسن التحرك قبلهم بساعة زمن وبرفقتى الضابط صبحى لمكان احتجازه كى ينبه الرائد خالد بأن قوة صغيرة من الجنود سوف تأتى لفك أسره خشية أن يتعرض لأذى على يد العميلة (ليليان فيكتور) وهى سيدة خطيرة ولو شعرت بأى حركة لمحاولة إنقاذ الرائد خالد فقد تتصرف بعصبية وقد يحدث له أذى من جراء ذلك.

المسافة لمكان إحتجاز الرائد خالد بالمنطقة الجنوبية من جبل يعلق تحتاج إلى ساعتين سيراً على الأقدام ولهذا قرر الضابط حسن أن يلحق بنا بعد ساعة وأن يستغل الميول الخلفية للمنطقة التى تعلوها كثبان رملية حتى لا يصل صوت سير الرجال بأقدامهم بالأماكن التى تنتشر بها الحصى والزلط إلى أذن العميلة ولهذا ساقوم مع الضابط صبحى بالإقتراب من مكان الرائد خالد نرتدى الملابس المدنية

ونخبره بما سوف يحدث وإذا شاهدتنا العميلة فسوف تعتقد بأننا نبحث عن الماء لمظهرنا المسابير لأبناء سيناء وتجردنا من أى أسلحة.

(الفرزدق) تحركت مع الضابط صبحى حوالى الساعة الرابعة فجراً فى إتجاه المنطقة التى أوضحتها للضابط حسن وعلمت منه أنه شاهد هذا المكان منذ عدة أيام لكنه لم يقترب من منطقة بئر المياه وبالتالى لم يشاهد قائده الرائد خالد، كنت أسير برفقة الضابط صبحى وتبين لى أن هذا الضابط ابن بلد كما نقول وأسلوبه فى الحديث صريح ولا يدارى ولا ينامر أثناء كلامه ويرفق كل كلمة من كلماته بالسباب البذى سواء بالأب أو الأم أو التشبيه بالحيوانات الضالة ثم يعقب هذا ضحكة سريعة سرعان ما ينتبه ويضع يده على فمه كى لا نفاجا بوصول الأعداء.

مكتب الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية بمدينة العريش :

توجه الكابتن موردخاى إلى مكتب الميجور جونيون مسرعاً نظراً لإستدعائه على وجه السرعة إلى مكتبه فدخل عليه متعجلاً مستفسراً :

- سيادة القائد، ما الجديد لديك، نبرة صوتك بالتليفون تحمل شيئاً سيئاً أو مفاجئاً.

- بالفعل كابتن موردخاى، لقد وصلت إلينا إشارة مفاجأة من جهاز الإتصال مع العميلين (ليليان فيكتور) و (سلومه مزراحى) ثم توقفت الإشارة من جهاز الإتصال وهذا يدل أن بتلك المنطقة شىء غير عادى ولهذا قرر القائد إرسال وحدة كوماتنز بطائرة هليكوبتر لمحاولة العثور على العميلين وتم رصد المكان بدقة ووضعت إحداثيات المكان على خريطة الطيار وعليك الإستعداد قبل شروق شمس الغد للتوجه مع تلك الوحدة للمنطقة المحددة والعودة بالعميلين وإذا صادفتكم مشكلة

من توابع الحرب مع بعض الجنود الضالين الذين يقاومون هنا وهناك بياس وعدم مقدرة على تفهم الأمور فلا تندفعوا فى القتال كى لا يصاب العميلين.

عدت إلى مكتبى وقمت بعمل إتصال مع غرفة عمليات سيناء وجاءت المعلومات بأن الطائرة سوف تهبط بالمدرج الخلفى لمبنى القيادة وسوف تتحرك قبل شروق الشمس بعشر دقائق كى نتجه للمنطقة ويهبط رجال الكوماندوز للبحث عن العميلين وسوف أتعرف عليهما لأنهما من ضمن عملاى الذى أتولى قيادتهما وتوجيههم، أمضيت جزء من الليل فى تفهم طبيعة المنطقة وتضاريسها وتحاورت مع الضابط قائد العملية وشعرت بأنه متفهم المهمة وسوف ينفذها مع رجاله حيث قام بعمل عدة بروفات عصر هذا اليوم حتى الغروب.

قبل الشروق تحركت الطائرة وعلى متنها عشرة من الكوماندز والقائد وأنا والطيار ومساعداه وكانت الطائرة تطير بارتفاع منخفض للمراقبة والتفتيش وكل منا ينظر للرمال يتفحصها لعلنا نشاهد العميلين وأكد لنا الطيار انه يسير حسب الخريطة واتجاه زاوية السير والمسافة المحددة بعد أن قام بوضعهما على جهاز تحكم الطائرة، فجأة تحدث الطيار بأنه يشاهد بعض الرجال بملابس مدنية ويعتقد أنهم من البدو فأصدر قائد القوة أمراً بعدم اطلاق النار عليهم حتى لا تتشغل القوة بهم طالما لم نشعر بأى خطر منهم.

الضابط حسن والرجال :

قطعنا المسافة المطلوبة لمكان الرائد خالد ووصلنا تقريباً فى الموعد المحدد أى بعد الشروق بعدة دقائق، كنا جميعاً مسلحين وكانت الأسلحة فى وضع الرمى حتى

لا نفاجأ بدورية مدرعة تهاجمنا ورغم هذا لم يكن معنا سلاح مضاد للدبابات لأننا سوف نسلك الكثبان الرملية العصية على العربات المدرعة نصف جنزير التي يمكن أن تنغرس عجالاتها الأمامية بالرمال الرقيقة التي تشبه الدقيق في نعومتها طلبت من الرجال الصعود لأعلى منطقة الكثبان التي تطل على المنخفض الذي به عين المياه والذي يستقر بجواره الرائد خالد والعميلة ليليان .

الرائد خالد ويلي أو ليليان فيكتور :

كنت أجلس شبه مثني الساقين وأعياني الجلوس بتلك الطريقة المؤلمة وكنت اغفو قليلاً أتنبه حينما تسقط رأسي من اثر النوم فأنتبه وأعود لليقظة وفي بعض الأحوال أشاهد ليليان أمامي تحدثني بطريقة ناعمة مثيرة وترجوني أن أظل صديقاً لها كي لا تنتقم مني وعلى أن أراجع نفسي نحوها وأن أبادلها حبا بحب وتعهدت أمامي بأنها سوف تعمل على فك أسرى والهروب معاً للقاهرة والزواج والعيش الهنيء على ألا أطلب منها التخلي عن ديانتها.

كنت أجلس وافكر بدهشة في تلك السيدة المصممة على الحب بالقوة وكيف يحدث هذا، فلم أسمع في حياتي أن حياً وعاطفة كان الطريق إلى تحقيقه القوة والعنف لكن ليليان تتبع نفس أسلوب دولة إسرائيل من الحصول على كل شيء بالقوة المسلحة وبالتهديد والوعيد وفي بعض الأحيان أشعر بعاطفة نحوها حينما تصبح لينة ضعيفة تسمعني كلمات طيبة وأشاهد من مفاتنها وتضاريس جسدها بعض المتعة في هذه الصحراء الجافة من كل معنى للحياة الرغبة الطيبة.

انتبهت على صوت حركة خلفى بالقرب من عين المياه ثم سمعت صوتاً خفيفاً ينادى على إسمى مما دفعنى للإنتباه حيث ردد الصوت سيادة الرائد خالد، غيـرت من جهة جلوسى ونظرت نحو مصدر الصوت فشاهدت ظلين لرجلين يزحفان بهدوء حتى إقتربا منى وأحدهما عرفنى بنفسه :

- أفندم، أنا الطابط صبحى، كدت أقفز طربا فهذا هو أحد ضباطى الذى إستقبلنى فى أول يوم لإنضمامى لسرية الإستطلاع، تنبهت على صوت الضابط الذى اكمل حديثه : وإللى راقد معايا على الأرض (جرير) عميل للمخابرات الحربية :

- أفندم .. بعد شوية ح ييجى الطابط حسن رمزى ومعه عشر رجاله من بتوع السرية عشان ن فك أسرك، منطقة الكتبان العالية دية ح تتحرك ناحيتها بعد عشر دقائق، إحنا حنمشى لحد يشوفنا.

- شكرا يا صبحى وشكرا لرجالى الأوفياء لحد ما أقابلهم وأشكرهم واحد واحد.

كانت سعادتى لا توصف فقد أقبل أحد رجالى ينبانى بقرب الإفراج عنى لكنى لم أسأله ما موقف ليلى، لا يهم أنها بارعة وذكية وسوف تستطيع الوصول للإسرائيليين، سوف تصعق حينما تستيقظ من نومها وتجدنى قد هربت منها ومعى مجموعة من رجالى الأوفياء المزودين بالسلاح القادرين على الدفاع عنى بل ومساعدتى على السير من جراء اصابتى فى أول يوم قتال حيث أثرت الإصابة على صدرى وجعلت يدى اليمنى تشعر بألم كلما حاولت العمل بها أو حمل أى شىء بها.

شعرت بأن الدقائق العشر قد أقبلت ولذلك نهضت بخفة وتحركت صوب قمة تلال الكتبان الرملية وقبل أن أصل إليه سمعت صوت طائرة هليكوبتر أعقبه سماع صوت ليلى الهادر القوى تطلب منى التوقف وإلا سوف تطلق على الرصاصة الأخيرة، لم أهتم بل تماديت فى شجاعتي وإلتفت ناحيتها وفى تلك اللحظة سمعت صوت إطلاق رصاص كثيف حدث بين الطائرة ومجموعة رجالى أعلى منطقة الكتبان وشعرت بأنها حرب حقيقية.

قفزت لأعلى متجهاً نحو جنودى الذين يقاتلون الطائرة التى تطلق كل أسلحتها عليهم وشاهدت جنود إسرائيليين تقفز من الطائرة نحو الأرض، البعض منهم أصيب والبعض مازال يطلق نيرانه نحو جنودى، أشاهد ليلى تسرع نحوى ونجحت فى الوصول إلىّ وأمسكت بى من كتفى محذرة بأننى لو سرت خطوة واحدة للأمام فسوف تطلق على الرصاصة الأخيرة من المسدس التى كانت تصوبه نحوى مما دفعنى لضرب يدها الممسكة بالمسدس ومازلت يداى مغلولتان.

أسرعت أكمل طريقى لكنى شعرت بضربة على رأسى فسقطت أرضاً وشاهدتها تصوب المسدس نحوى وسمعت صوت الرصاصة وشعرت أن جسدى يتحطم وأن دماء غزيرة خرجت من كتفى الأيمن وشاهدتها تنحنى نحوى باكية تضربنى على وجهى بعنف متسائلة لماذا دفعتها لهذا التصرف.

خفت حدة القتال وعلمت من صياح ليلى بأن خسائر جسيمة حدثت للبدو المجرمين لأنهم أقل كفاءة من جيش الدفاع ورغم إصابتى سمعت صياح الجنود الإسرائيليين يصيحون وأحدهم يتحدث العربية ويطلب نقالات لحمل الجرحى

والقتلى، فترة زمنية مضت على ولا أستطيع تحديد زمنها وشاهدت الطائرة تحلق فى السماء، بعدها سكن المكان وتلاشى الضجيج وأصوات الرصاص.

مازلت ليلى تنظر إلى باكيه بل وقامت بدفعى من أعلى منطقة الكثبان الرملية إلى أسفل فهبطت مثل إسطوانة تتدحرج حتى إقتربت من مكان الخيمة فلحقت بى وأسرت بإحضار قطعة قماش لمحاولة وقف النزيف وتأكد لى أن تلك هى النظرة الأخيرة لتلك السيدة التى جمعت ما بين هيئة الملاك وتصرف الشيطان، شعرت بآنى فى طريقى للغيوبة وسوف أنتقل إلى جوار ربى وتذكرت والدئ وزوجتى الحبيبة وطفلى الرضيع وجنودى الأوفياء الذين ضحوا بحياتهم للدفاع عنى ومحاولة إنقاذى وسمعت أحاديث وشعرت بحركة ولم أعد أتبين أى شئ بعد هذا.

ليلى :

أنظر لهذا الحبيب الذى أطلقت عليه الرصاصه الأخيرة يصارع الموت، ما الذى على أن أفعله الآن وما يجب على أن أقوم به، لقد أقبل الإسرائيليون وكدنا نموت جميعا، لقد وقعت فى خطأ دون قصد بأن أدت زر جهاز تشغيل الجهاز اللاسلكى وحين تنبهت أسرعت بإغلاقه، كان يجب على الحذر بل كان من الواجب على الإنتقال لمكان آخر لأننى أعلم أن الإسرائيليين سوف يحددون المكان.

لقد أصبح المكان موحشاً مشبوها لجنود جيش الدفاع ومن المؤكد أنهم سوف يأتون مساء اليوم أو صباح الغد، ماذا حدث لهذا الهجوم المفاجئ؟ أعتقد أنهم شاهدوا جنود خالد قادمين لفك أسره، ومن يعلم أن خالدأ أسيرا؟ لا أعتقد أحدا يعلم بذلك، هل هى زمرده لا أعتقد فهى راغبة به ومتقبلة أن تصبح الزوجة الثانية أعتقد

أننى شاهدت رجلين أقبلتا منذ عدة أيام ليحصلتا على الماء لكنهما لم يشاهدا خالداً أو يلتقيا بزمردة، أكاد أجن.

ما هذا؟ لقد أقبلت زمردة برقتها تسير مع الأغنام والماعز لهذا أسرعت بفك قيود خالد، أشاهدها تسرع نحوى وحينما شاهدته نائماً على ظهره وأثار النماء تلون جلبابه هتفت باكية وإقتربت منى محتضنة إيايَ مرعدة :

- أكيد الجبنا الإسرائيلىين هما إالى ضربوا خالد بالبارودة، وأنا جاية فى الطريق سمعت الضرب وعشان كده ريحت شوية مع الغنمات، بأجول إيه يا ليلى، لازم نعمل على إسعاف الزلماة دمه بينزف وح يموت.

- الشر بره ويعيد، بلاش الكلام إالى يفور الدم.

- لكى كل الحج، أنا عارفه إنك حزنانه على جوزك لكن لازم ناخده ونروح للجيبلة للشيخ السمعانى وهو جادر بإذن الله يساعده على الشفا.

- طيب ح نشيله إزاي؟

- فوج الجمل.

- صعب يا زمردة، لازم نعمله محفة ونحطه عليها والجمل يسحبه بعد ما نربط المحفة بالحبل إالى على ضهر الجمل.

- صحيح، بأفكر أنا إطلعت على حاجه كيف تنفع زى ما بتجولى محفة، طيب خالى بالك من الغنمات وأروح ومش أعوج أكثر من نص ساعة وأرجع ومعايأ حاجه تنفع الزلمة.

هكذا سارت زمردة تبحث عن شىء يستخدم كمحفه أو نقاله تساعد خالد على نقله إلى قبيلة عمتها لعرضه على الشيخ (السمعانى) لعلاجيه، جلست أندب حظى فقد يؤدى عملى الطائش إلى موت خالد هذا الحبيب الذى ظهر وخرج من بين دخان المدافع والقنابل لأعود إلى مصر بلدى الحبيب، لقد أصبح الآن حبيباً يا ليليان؟ ما خطبك وما الذى دفعك مع عشرات الألوف لترك وطن الأجداد والأنبياء والذهاب لإسرائيل، لو فعلها أى يهودى فى العالم فمن الجائز أن نوافقه الراى والتصرف ولكن لا يفعلها اليهودى المصرى حفيد الأنبياء إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وسليمان الذين عاشوا وماتوا فى مصر.

الميجور جونين :

ما الذى حدث وأدى إلى كل تلك الخسائر، انها خسارة كبيرة بأن يقتل هذا الضابط الكفاء مورخاى وأربعة من جنوده وثلاثة جرحى، كيف حدث؟ ورغم هذا فإن الطيار شعر بسعادة أن طائرته لم تصب وتحترق حيث كان يردد بأن المصريين أطلقوا وإبلاً من نيران الرشاشات عليهم سواء من هبط على الأرض أو نحو الطائرة ولولا العناية الإلهية لإحترقت الطائرة، فقد أصيب بمقذوف فى ساقه الأيمن وإستطاع العودة بما تبقى من الأحياء والجرحى وحمل القتلى، لقد كانت معركة دامية قتل خلالها جميع المصريين ولا يقل عددهم عن عشرة رجال يرتدون الملابس البدوية.

قبيلة السماعنة والرائد خالد

فريال :

مضى على توقف معارك عام ١٩٦٧ حوالى الشهر ورضخنا لإرادة الله ولم يعد أمامى أى شىء نحو الحبيب خالد سوى الترحم عليه والعناية بنقطة النور الإلهى التى أرسلها لنا الله، هذا الرضيع مصطفى والذى بدا نموه على أحسن ما يكون وأصبح قرّة عين أجداده أونكل شوقى وطنط سميحة منذ الصباح لحين عونتى من العمل بعدها يتسلمه والدى الحنون لفترة العصارى يلاعبه ويحادثه كأنه شخص عاقل ومما كان يسترعى إنتباهى هو رد فعل الطفل الذى كان يضحك بصوت الأطفال المرح الذى يدخل السعادة على قلب أى إنسان.

كنت أشعر أن زميلاتى فى العمل يشعرن بالأسف والحزن على حالى وأعتقد أن مشاعر حزنهن تعدت مشاعرى بدرجات عدة، لأن الله لم ينزل صبره وسكينته على قلوبهن كما أسكنها الله فى قلبى وحياتى وحياة أقرب الناس لخالد متمثلة فى أونكل شوقى وطنط سميحة اللذين تقبلا ما حدث وانتقل كل حبهما لخالد إلى ابنى مصطفى ولأن زميلاتى كانت مشاعر الحزن لديهن شاملة الوطن بالكامل وما حدث لآلاف الشباب الغض الذى لاقى حتفه فى تلك المغامرة التى لم يحسب لها حساب.

لقد كانت خدعة كبرى قامت بها الدول الإستعمارية ضد مصر لصالح إسرائيل وتؤكد هذا لجميع المحللين السياسيين ومن مشاهدات وتعليقات المسؤولين بتلك الدول على ما حدث وكان ما حدث لمصر هو قصاص عادل لمحاولتها التقدم وإقامة مشروعات تنموية تفيد الوطن، لقد كان حقدهم شديداً لإلتفاف الشعب المصرى حول

زعيمة جمال عبدالناصر، لقد كانت الحرب خدعة كبرى وتمت الحرب بسرعة، لقد كانت معركة خاطفة دفع الشعب المصرى المفترى عليه ثمناً باهظاً.

زمردة :

كنت أعدو فى كل مكان بحثاً عن قطعة من مشمع قوى كانت ملقاة بالقرب من طريقى سيرى إلى قبيلة عمتى، لم أعر عليها ومن المحتمل أن أحداً عثر عليها فقد تفيد به بأن يعدها كخيمة تقيه حرارة الشمس وبرودة الشتاء وتستتره عن أعين الآخرين، أسائل ماذا أفعل يارب؟ مازلت صورة خالد وهو ملقى على الرمال والدماء تغطى ملابسه من منطقة الصدر وغائب عن الوعى لا تزال فى عقلى وقلبى، أرغب بالعثور على أى شىء يفيد فى عملية نقله إلى القبيلة كى يقوم الشيخ السمعانى بعلاجه.

فشلت فى بحثى عن قطعة المشمع التى سوف تساعدنا لنقل خالد، عُدت أدراسى حزينه يائسة لكن تفتحت عينائى على عجلة لورى كاوتش فارغة، لا أعلم ما الذى جعلنى ادفعها أمامى على الرمال الصعبة مثلما كنا صغار ونلهو باللعب بأى شىء دائرى وندفعه أمامنا، تفصد العرق منى وهبطت عزيمنى ورغم هذا كنت أشحذ الهمم وكلئى أمل بالوصول بتلك العجلة الكاوتش لمكان رقدة خالد وأفكر أثناء هذا فى كيفية إستخدامها لكن تبخرت أفكارى وطار تصورى من كيفية الإنتفاع بها.

وصلت بصعوبة إلى المكان الذى يرقد به خالدأ وشاهدت ليلئى تنتظر وصولئى وكانت مرتبكة، أقبلت عليها ولدئى شعور خفى بأنها سوف تنتقد تصرفئى لإحضار تلك العجلة الكاوتش، إندفعت نحوئى وحين إقتربت منئى أمسكت بالعجلة تبسم

مرردة بعض كلمات طبية، سرت خلفها أستنشق بعض هواء يعيد إلى جزء من عافيتي، توقفت ليلي بالعجلة بالقرب من جثمان خالد الذى تبين لى مدى تدهور حالته رغم توقف النزيف.

شاهدتها تتحرك بسرعة وأحضرت أحد الحبال التى فوق (شدة) الجمل أو ما نطلق عليه (الشداد) ، فردت الحبل بسرعة وربطت بدايته فى الإطار الكاوتشوك أشارت إلىّ بأن أقبل كى أساعدها فأسرعت نحوها وذهنى خال عما تنوى فعله أحضرت الجمل وقمت بعملية التنخيخ فبرك الجمل قريباً من خالد، كنت ألاحظ نظرات الجمل نحونا بنظرات حزينة، لقد تفهم ووعى بأن هذا الشاب قد يلفظ أنفاسه خلال ساعات.

ساعدت ليلي فى وضع (الشداد) فوق الجمل وربط جزء من الحبل بالشداد وتركت مسافة طول حوالى عشرة أمتار من الحبل، أشرت للجمل بالنهوض، بعد أن نهض ربطت الشداد بالسيور والحبال حول وسطه وأسفل بطنه، أسرعت ليلي نحو خيمتها وأحضرت شئ دائرى أعتقد أنه صينيّه مثل التى توضع عليها الأطعمة، بصعوبة وضعنا الصينيه بداخل تجويف الكاوتشوك، بعدها أحضرت بعض الأغذية الخاصة بها ووضعناها فوق تلك الصينيه ثم تعاوننا فى نقل خالداً بحيث نام على فردة الكاوتش.

أرحنا ظهره ورأسه لكن قدميه كانتا بارزتان، ساعدتها فى جمع أغراضها وفككتنا الخيمة وربطنا كل تلك الأغراض على ظهر الجمل بعد أن نجحت بتبريكه مرة ثانية وأصبح باركا وكأنه يستعجلنا للسير ومغادرة المكان، أصبح كل شئ معد أشارت ليلي لى بركوب الجمل فطلبت منها الركوب وسوف أسير برفقة الأغنام

خلفها هكذا تحرك الجمل وكنا نأمل أن تفيئنا تلك المحفة وبالفعل سار الجمل يجر الكاوتشوك خلفه ولم يواجه خالداً أى صعوبة حتى قدميه اللتان كان تلامس الرمال لم تؤثر عليه.

سرت خلف الجمل وأشرت للكلب بأن يتقدم الجمل فى إتجاه القبيلة، أصبح حالنا أثناء السير على هذا الوضع، الكلب فى المقدمة وخلفه الجمل وليلى تمتطى ظهره وخلفها الفرده الكاوتشوك بواسطة الحبل تتبع الجمل وفوقها خالداً ساجياً فى حالة سيئة وخصوصاً درجة الحرارة المرتفعة وأشعة الشمس المباشرة مما دفع بليلى لأن تلقى إلى بشال مما تستخدمه وطلبت منى وضعه على جبين خالد وصدره حتى لا يشاهدنا أحد من جنود العدو فى هذا الوضع الذى يوضح أن هذا الشخص إشترك فى القتال الذى نشب منذ أقل من ساعة زمن.

قطع الأغنام يتبع الجمل الذى يسير الهوينا، إبتعدنا عن منطقة عين المياه وكل فترة أشاهد ليلي تنظر نحو السماء كأنها تخشى الطائرات المعادية، مضى علينا أكثر من ساعة زمن شاهدت بعدها بعض خيام قبيلة عمى وحين إقتربنا أسرع بعض الرجال نحونا مندهشين لسرعة عودتى من الرعى ولمشاهدة جمل غريب عليهم، حينما شاهدوا خالداً إنحنوا فوقه وأحدهم أوقف الجمل وتعاون عدة رجال على حمل خالداً إلى إحدى الخيام وسرعان ما شاهدت عمى قادمة وحين مشاهدة خالداً أصيبت بالذعر ونظرت نحوى بإشارة نحو خالد تعنى هل هذا هو الشاب التى ترغبين الإقتران به؟

شاهدت الدموع فى عيوني فلحقت بى كما لحقت بنا ليلي وكانت دموعها غزيرة وأشفق الجميع عليها وإصطحبت عمى ليلي إلى خيمتها بينما أسرع أحد الشباب

يبحث عن الشيخ (السمعاني) فشاهده وهو يُنهي صلاة الظهر، عدت ووقفت بجوار الخيمة التي بها خالد وأقبل الشيخ السمعاني وجلا وحينما شاهد خالد شمر عن ساعديه ودخل خيمته القريبة من خيمة عمى وأحضر صندوقا من الخشب به بعض الأغراض، دخل معه بعض الرجال وكان يطلبهم بالإسم، أسرع بالإنضمام إلى كل من عمى وليلى، بعد عدة دقائق سمعت صراخ خالد عاليا فإرتجفت وشاهدت ليلى وقد إمتقع وجهها وإصفر لون بشرتها الأبيض وإنحنت على الفرشة بالخيمة باكية تضرب أرضية الخيمة بيدها وهى تردد :

- أنا السبب، أنا السبب.

إحتضنتها عمى وإبنتها بينما كنت أجفف دموعى وغادرت خيمة عمى ووقفت بجوار الخيمة التي بها خالد أتلصص الأخبار فشاهدت الشيخ (السمعاني) يضمم الجرح ويضع عليه بعض الأربطة ويشكر الله على نعمته بأن الله أنقذ هذا الشاب من تلوث الجرح الذى كاد أن يقضى عليه لأن عصير نبات (الثيل) أوقف النزيف وسوف يقوم بدهان مكان الجرح قبل الغروب بإستعمال صمغ نبات (الطلح) ومن الآن يجب أن أقوم بدهان المنطقة المحيطة بمكان الإصابة بزيت نبات (العاقول) وسنتركه ليحصل على راحته ويمكن لزوجته أن تغذيه بلبن الإبل بعدد من الجرعات، وبعد أن إنتهى من عمله أصدر تعليماته لأبناء القبيلة:

- إتركوا الزلما يحصل على راحته وتخلصوا من هذا الجلباب فى حفرة بعيدة حتى لا يعثر عليه جنود العدو.

بعد فترة وجيزة هدا المكان وتسالت ليلى إلى خيمة خالد وكنت بجوارها وشاهدتها تبكى وتقبله وتهدهد على صدره بل كانت تقبل يديه مما دفعنا جميعاً للحزن وفى نفس الوقت تعظيم وتقدير مشاعر تلك الزوجة المخلصة لزوجها.

الضابط صبحى وماتبقى من الجنود :

جلست فى الكهف الذى إعتدنا نختبئ فيه وسرعان ما عادت ذاكرتى لصباح هذا اليوم الحزين، لقد فقدنا عشرة رجال بما فيهم الضابط حسن رمزى، لقد كانت معركة عنيفة ومفاجئة لنا ولا أعلم السبب فى قدوم الإسرائيليين لهذا المكان وبذلك القوة، لابد أن أحداً وشى بنا ولهذا يجب الحيلة والحذر، كنت أنظر نحو العميل جرير وأصابنى بعض التشكك والريبة منه لكنى عدت إلى رشدى وأنه على علاقة بالمخابرات الحربية وعلم أين يختبئ الرائد خالد الذى فقدناه وبالطبع فقد فقد زميله العميل الفرزدق.

ليلى :

لقد هدا المكان وتوارى رجال القبيلة كل فى ظلال خيمته وكل فترة تستأذن زمردة فى الدخول علينا لتطمئن على حال خالد، قبل الغروب أقبلت عمتها وعرضت على أن تساعدنى فى الحصول على حمام دافئ للتخلص من ناتج العرق الذى غلفنى منذ الصباح، لقد كان يوماً دامياً، ترددت فى عرض السيدة لكنها أقتعتنى وحينما شاهدتنى أنظر نحو خالد تفهمت السبب فى ترددى حول عرضها فطبيت من خاطرى وأن زمردة سوف تظل تتابعه لحين عودتك وبعد شعورك

بالنظافة يمكنك متابعة زوجك حتى يشفى من وعكته وسوف تشعرين بعد عدة أيام
بتحسن حالته لأن علاج الشيخ (السمعاني) لا يخيب أبداً.

زمردة :

شاهدت ليلي ترافق عمتي تحمل بعض أغراضها، جلست وحيدة مع هذا الشاب
المسجى أمامي بين الحياة والموت، لم يتحرك ورغم هذا كنت أراقب صدره وهو
يتنفس يعلو ويهبط فحمدت الله أن أزال هذا المكروه عنه، سوف يظل على قيد الحياة
حتى لا يترك زوجته الجميلة بمفردها، تسائلت بداخلي، ما موقفي الآن مما حدث
هل يجب علي أن أنفض عنى تلك المشاعر التي أشعر بها نحوه، كنت أتمادى خلال
الأيام الماضية بأننى سوف أصبح زوجة لهذا الشاب الوسيم الذى إذا تحدثت معى
إبتسم بهدوء ينظر نحوى بنظرات حانية تترك أوصالى وتجعلنى مشدودة نحوه.

من الواجب على أن أعيد التفكير فى علاقتى به وتكفينى السعادة بأننى ساهمت
بقدر ما فى أن نعمل على إنقاذه، سوف أترك الأيام القادمة تفصح عن تصرفى ورد
فعلى، فإذا ظل على حاله وإقترب منى فلن أدعه أبداً وما المانع أن نشترك أنا وليلي
فى هذا الرجل وأنه شئ مشروع وهو شاب قوى فتى يستطيع أن يرتبط بأكثر من
إمرأة وأن يشعر كل زوجه بالسعادة بعلاقته بها، ويمكننى أن أنجب له البنين
والبنات فى خلال أعوام من إرتباطى به.

أشاهد ليلي مقبلة من الخيمة التى تعدها نساء القبيلة لقضاء الحاجة والاستحمام
بعيداً عن أعين الرجال، أقبلت نحوى متلهفة على خالد متسائلة عن أحواله، حينما
شاهدت الهدوء والسكينة على وجهه نظرت لأعلى وأعتقد أنها تشكر الله وتطلب

منه أن يُمن عليه بالشفاء كى تستطيع أن ترافقه إلى مصر بعد أن دمرت الحرب
عشهما بمدينة العريش ولم تعد المدارس تعمل ولهذا فلم يعد أمامهما سوى مغادرة
سيناء.

شكرتني ليلي وقبلتني وشممت رائحة العطر التى تعطرت به وأثار فى نفسى
الكثير من المشاعر والأحاسيس نحو خالد لكنها لم تترك أمامى أى فرصة فقد
استأننت عمتى بأنها ترغب فى الحصول على راحتها كى تستطيع مواصلة علاج
خالد والعناية به ولهذا فهى تشعر بالإرهاق والتعب، تركتها عمتى وسارت بى بعيداً
عن الخيمة وسرعان ما قامت ليلي بغلق فتحة الخيمة ولم أعد أشاهد خالدأ فجلست
على الجانب الآخر المقابل لفتحة الخيمة كى أكون قريباً من خالد إذا إحتاج إلى.

ليلي :

أشعر بتحسن شامل فى حالتى الصحية والبدنية بعد حصولى على حمام منعش
بإشراف عمّة زمردة التى كانت تثنى على جمال جسدى وتردد بأن خالدأ سعيد
الحظ بأن زوجته بتلك الفتنة والرقّة والأنوثة، سوف أتحلل من بعض ملابسى نظراً
لإرتفاع درجة الحرارة، سوف أرقد بجوار خالدأ لأول مرة منذ إلتقينا صبيحة يوم
الحرب اللعينة التى دمرت كل شىء وأهم ما نتج عن تلك الحرب أننى تخلصت من
زوجى الحزين البائس سلومه الذى إستطاع أن يجرفنى إلى تيار الرزيلة قبل القdom
لأرض الميعاد رغم أن الرزيلة إستمرت معنا ولم يشعر بخجل أو غيرة بأن يجدنى
مع رجال آخرين وكان يهون على الأمر بأن كل شىء يهون فى سبيل أن تصبح
دولة إسرائيل فتية.

انظر إلى خالد مغمض العينين وأتذكر ما قمت به صباح اليوم وإنقاذى وتهورى عليه حينما أطلقت عليه الرصاصة الأخيرة، شكرا للرب أنها كانت الرصاصة الأخيرة وإلا لو كانت هناك رصاصات عديدة لكررت تجربة إطلاق المزيد حتى أفضى عليه، لقد إستفز مشاعرى حين الهرب نحو أصدقاءه راغبا بالتخلص منى، أكرر شكرى لله أننى فككت الأساور الحديدية عن معصمه قبل أن تشاهدنا زمردة وإلا إعتقدت إعتقاد آخر ومن المحتمل أن تخبر قبيلتها فتأتى إلى وتفك أسره وقد تعلم منه من أكون ومن يكون وتصبح الطامة الكبرى قائمة نحوى.

خالد :

كنت أشعر بالآلم حادة فى كفى وتنبهت فشعرت بأن وجهى مغطى بالعرق الغزير وأن درجة الحرارة مرتفعة فى تلك الخيمة كما دهشت لوجودى بها وهى تختلف عن خيمة ليلى الجميلة ذات الألوان المبهجة، تلفت بجوارى فشاهدت حورية تنام بجوارى ويستر جسدها الأبيض الجميل غلالات رقيقة بيضاء ذات نقوش بديعة وقد خلدت فى نومها، تأكد لى أنها ليلى وهى الشيطان أثناء اليقظة والملاك أثناء النوم وسبحان الله بين الشخصيتين.

أتذكر آخر ما سمعت وشاهدت، لقد صاحبت فى آمرة بأن أقف وأعود أدراجى إليها طوعاً وإلا سوف توجه الرصاصة الأخيرة نحو قلبى ولكنى لم أكرث فقد دفعتنى مشاعر الحب نحو جنودى حينما شاهدت الضابط صبحى ومعه آخر ينبهانى بأنهما بعد دقائق سوف يُقبل باقى رجال السرية لإنقاذى وتحريرى من تلك السجانة لم أعتد بها ولم أتوقع أنها سوف تطلق على الرصاصة الأخيرة وكنت أعتقد أنه نوع من الوهم والكذب المخالف للحقيقة وأن المسدس فارغ وليس به أى رصاصة.

أحاول الجلوس فقد شعرت بالآلام بوسط الظهر من جراء النوم لفترة طويلة فوق تلك الفرشة المصنوعة من وبر الجمال لكن ليلي لا تشعر بتلك الخشونة لأنها تضع بين جسدها وتلك الفرشة غطاء ناعم يساعدها على التغلب على خشونة وبر الفراش التي أنام فوقها مباشرة دون وسادة، الحمد لله فقد حققت محاولاتي بعض التقدم لكن مازالت أحتاج لجزء من الوقت والعمل، أخيراً استطعت الجلوس، أجلس أستعيد قواي كي أستعيد نشاطي.

أنظر إلى ليلي بكثير من الراحة خصوصاً حينما أسمع أصوات بعض الرجال والنساء والأطفال البدو وتأكد لي أنني في أمان ولست معزولاً عن الناس ومعنى هذا السجن العنيف، إنحنيت قليلاً نحو ليلا وبأصابع كف يدي الأيسر ملست على وجهها الناعم وبعض خصلات شعرها فشاهدتها تحرك يديها نحو وجهها ومازالت نائمة، أعدت محاولاتي مما دفعها لليقظة ونظرت إلى وكادت تصرخ فرحاً فنهضت سعيدة ولم تستطع التحكم في عواطفها مما دفعها لتقبلي وشعرت بالآلم فتنهت.

بعد قليل سمعت صوت زمردة يتحدث من خارج الخيمة يتسائل عن حال الزلمة وهل يشعر بتعب أو أنه يواجه متاعب خلال النوم من كوابيس وأحلام مزعجة طمأنتها ليلي وأن الزلمة عاد ثانية للنوم بعمق بينما كانت ليلي تنظر لي بعيون ساحرة وتغمز بعينيها علامة السعادة محاولة إبعاد زمردة بعيداً عن الخيمة لكن زمردة عادت وتحدثت وطلبت من ليلي فتح باب الخيمة كي تناولها إناء اللبن التي قامت بحلبه من الناقة كي يتناوله الزلمة حتى يشفى سريعاً وأحضرت الطعام الخاص بليلى فطلبت منها الإنتظار كي تستتر بالملابس بعيداً عن أعين الرجال.

ليلى :

عادت زمردة من حيث أتت بينما قمت بمساعدة خالد على تناول اللبن بجرعات خفيفة حتى يعتاد على تناول لبن الناقة، كنت من حين لآخر أذهب شعر رأسه بيدي وأقوم بتجفيف وجهه من آثار العرق، لم أشعر بسعادة غامرة مثل تلك اللحظات، فهذا الشاب الوسيم خاص بى وهو زوجى أمام القبيلة ولن أدعه يفلت منى فهو ينام بجوارى بالخيمة وما على سوى إستغلال الليل كى أصبح زوجة وحببية أسعده وأسعد به، أعدت التخلص من الملابس الثقيلة التى تستر جمالى وفتنتى وقمت بتسليط شعاع جمالى على خالد أثناء تناول طعامه من لبن الناقة.

شعرت بأن خالد استسلم لمدعباتى ولمساتى، كان صامتا لا يبدى تمللاً أو تبرماً، شعرت بأن هذا هو أول الطريق وعلى المواظبة وأنا مُحصنة ضد تلك الإنفعالات البسيطة ولسوء حظى فقد إزداد إنفعالى نحو خالد وكدت أن أجذبه نحوى بقوة فخشيت الإصابة أن تزداد سوءا ولهذا حاولت التماسك والإستعاضة عن تلك الأفعال ببعض كلمات حانية.

يا للدهشة، فقد حصلت على المقابل من كلمات بسيطة ولمسات بيد واحد حول وجهى وشعر رأسى، تلك اللمسات أثارت إنفعالاتى وسعادتى فى نفس الوقت نظرت إليه راجيا أن يتماثل للشفاء كى أسعد به كزوج وأنال بغيتى وتأكد لى صحة المثل الشعبى المصرى (ما محبة إلا بعد عداوة).

الشيخ السمعانى : لقد أنقذ الله هذا الشاب بأعجوبة، لقد إخترفت رصاصة غادرة جسده ولحسن الحظ أن الإصابة كانت سطحية ولم تنغرس فى جسده والجرح كبير

المساحة وليس بغائر وتمكنت بفضل الله من مساعدته كي يشفى ويعود بزوجه الشابة إلى مصر بعد أن بددت الحرب عشهم وحياتهم ولم يعد لهم عيش بيننا فليست تلك حياتهم ولا هذا أسلوب معيشتهم الشاق في دروب الصحراء القاحلة.

أشاهد مجموعة من شباب القبيلة قادمة بعد أن طلبت منهم التوجه لمنطقة الكتبان الرملية المحيطة بعين المياه والعمل على مواراة جثامين الرجال الذين قاوموا العدو بجسارة ونالوا الشهادة فلا أقل أن نقوم بتكريمهم ودفنهم حتى يلقوا الله يوم البعث ودمائهم الطاهرة تزين ملابسهم التي تغطي أجسادهم المباركة.

أشعر أن الشباب نجحوا فيما كلفتهم به، أسأل الشاب (زين) عما قاموا به نحو الشهداء وسرعان ما أعلن لى أنهم قاموا بدفن أحد عشر شاباً مصرياً بعد أن هلكتهم نيران الطائرة وبعد أن إنتهينا وإبتعدنا مسافة كيلومتر تقريباً أقبلت طائرتان هليكوبتر ممتلئة بالجنود وقامت بالتفتيش بالمنطقة سرعان ما عادوا من حيث أتوا ونحمد الله أنهم لم يشاهدونا أو أقبلوا أثناء أن كنا مشغولين بدفن الشهداء.

الميجور جونين :

لقد عادت الطائرات دون نتيجة لدرجة أنهم لم يعثروا على أجساد القتلى الإرهابين من جنود مصر المنهزمين، أتساءل مع المعاونين لى، هل الإشارة التي وصلت إلينا من جهاز الإرسال الخاص بسلومة وزوجه ليليان كانت خادعة أو أن الإثنان قُتلا أو أسرا وقامت المخابرات المصرية بالسطو على الجهاز ثم قامت بتشغيل الجهاز فإندفعنا نحو المكان الذي أتت منه الإشارة لنفاجأ بهذا الكمين، لا بد لى فى المستقبل أن احتاط لتلك اللاعيب المصرية.

فريال السرجاني :

مضت ثلاثة أشهر على إستشهاد خالد وقامت إدارة التأمين والمعاشات بالقوات المسلحة بصرف المعاش الشهري الخاص بى وبطفلى وهذا يؤكد لمن له دراية بتلك الأمور بأن الشاب الذى تقوم إدارة معاشات القوات المسلحة بصرف مستحقته المالية قد تأكد إستشهاده وأن ما تقوم الإدارة بصرف جزء من مستحقته مثل حالى فهذا يدل على أن الإستشهاد لم يتأكد بعد وسنظل على هذا الحال لمدة أربعة أعوام خلالها يكتب بجوار إسمه (مفقود) حتى يعود خلال الأربع سنوات أو تنتهى المدة وإذا لم يعد فتصرف جميع المستحقات الباقية لتأكدهم بأنه لاقى ربه وأصبح شهيداً.

الأمير لاي حشمت السرجاني :

حينما أنظر لإبنتى الحبيبة فريال وأشاهدها تسير دون تركيز ولم تعد ضحكتها المرححة التى تصدر من القلب أسمعها كما فى السابق، لقد ترك غياب خالد تأثير قوى عليها وعلى شخصى وعلى والديه، رحمك الله شاب ممتاز خليك وخلوق، لقد شعرت براحة وسعادة من الزيارة التى قام بها بالأمس كل من أحمد مظهر وحسين الشافعى للشد من أزرى والبحث فى شئونى وما أريده من الدولة وقدمت شكرى وثنائى على زيارتهم تلك وكنت اشعر بأنهما يودان أن أطلب أى شىء وكعادتى لا أطلب حقاً من حقوقى وما لم يأتى إلى حقى من الإنسان فمن المؤكد أنه سوف يأتى إلى من الرحمن عز وجل وكل ما أبغيه بأن تعود إبنتى فريال إلى ضحكتها وسعادتها وقد أصبحت هى وطفلها كل حياتى وسعادتى.

الخيمة ثلاثية الأبعاد

ليلي:

مضى على وجودي بجوار خالد فى هذا المكان ثلاثة أسابيع ولم يحدث بيننا ما يحدث بين الأزواج ولا أعلم السبب فى ذلك، هل الشاب مازال يترفع على ولماذا يترفع على فانا لا أنسى الشباب المصرى المسلم كيف كان يلهث خلف بنات اليهود رغبة بهم أو بإقامة قصة حب معهم ولم أشاهد شاباً مصرياً مسلماً رغب بالزواج من أى فتاة يهودية، لقد قام رجال الدين الإسلامى بمصر بتسميم أفكار هؤلاء الشباب من جهة التعامل مع بنات اليهود، رغم أن المصريين كانوا يتعاملون مع اليهود بكل أريحية لكن نقطة الزواج كانت فارقة ولم تستطع أى فتاة يهودية أن تقتنع أى فتى مصرى بالزواج منها.

زمردة:

أشعر أن عمى يساورها الضيق من تصرفاتى وأننى أصبحت كسولة خاملة لا أقوم برعاية الأغنام كما فى السابق منذ إصابة خالد وبقائه تحت حماية ورعاية القبيلة، تساورنى السعادة بأن خالدًا قد تحسنت حالته الصحية وإقترب من الحالة التى كان عليها قبل أن يقوم الإسرائيلىين بإطلاق الرصاص عليه، لقد قامت ليلي بمجهود كبير للعناية به وثبت لى أنها تحب وتعشق زوجها كثيراً وهو يستحق قلبها.

أندهش وأتعجب من تصرفات خالد، وأتساءل لماذا يتجاهل قلبى ومشاعرى المتجهة نحوه؟ هل يستصغرنى ويعتبرنى أننى مازلت فتاة صغيرة على التعامل مع الرجال، ألا يشاهد تضاريس النساء التى تظهر من اسفل الملابس وأننى لست أقل

جمالاً وإثارة عن زوجته، بل أعتقد أنني أتفوق عليها لأننى شىء جديد لم يتذوق حلاوته بعد، حينما يتذوق تلك الحلاوة سوف يشعر بفارق كبير عن زوجته لأنه سئم تلك المتعة التى أصبحت رتيبة، لقد تزوجا منذ فترة طويلة كما أنها لا تنجب والزوجة التى لا تنجب يعتبرها الرجل أنها أقل أنوثة عن التى تنجب.

خالد :

لقد أصبحت فى حيرة لما يحدث من حولى، بجوارى تجلس وتنام ليلى وأعتقد أنها إعتبرتنى زوجا لها فلا تستتر بملابسها عن نظراتى وعيوني بل فى بعض الحالات تجلس بطريقة مثيرة لا تقوم بها الزوجة مع زوجها ولا أخفى سراً أننى أصبحت سعيداً بمشاهدة مواهب تلك السيدة الجميلة وأركز نظراتى نحوها وبالأخص حينما تخلد فى نومها وسط النهار هرباً من الحر فتتزع عنها ملابس كثيرة ولا يتبقى سوى الجزء اليسير والذى يتحدد بقطعتين.

أثناء الليل أشعر أنها تتقلب فى فراشها وأشعر فى بعض الليالى بجسدها قريباً منى بل يلتصق بى فى بعض الحالات وأنتبه من نشوتى على الكارثة التى سوف تحدث بى وتنجب لى سيدة يهودية طفلاً يتعارك ويحارب طفلى سليل ابنة الأصول والحسب والنسب فريال السرجانى.

يا لها من مفارقات كبيرة وغريبة، ومما زاد من ضيقى وتبرمى أن الشيخ السمعانى تسائل منذ عدة أيام حينما شاهدنى أسير الهوينا إلى مكان قضاء الحاجة وبعد عودتى تسائل لماذا لا تحصل على حمام وتغتسل من الجنابة الكبرى كى تودى صلاتك، أشعر بأنك عدت إلى تمام صحتك وبالتأكيد زوجتك بجوارك تدخل

بها كيفما تشاء فهي حلالك الذى حلله الله لك، صمت ولم أجيب عليه وسمعت يتسائل لماذا غضب منى هذا الشاب؟ وهل هناك ما يغضب فى شرع الله وما حلله لنا جميعاً معشر الرجال وكلنا نقوم بهذا الفعل وإلا نضبت القبيلة ولم يعد بها أطفال وأجيال وراء أجيال، تنكرت وقتها بأن الحرب مضى عليها أكثر من ثلاثة أشهر.

عُدت إلى الخيمة فى حالة من الضيق وبدا على وجهى المحتقن بصبغة حمراء مما دفع ليلى لأن تسألنى عن سبب توترى، صمت قليلاً وعندما ألحت فى السؤال أجبتها بما سمعته من الشيخ السمعانى ويا للصدفة أننى شاهدتها تضحك بملء فيها وتضرب كفا بكف وتقترب منى وبعيونها سهام مسلطة تريد الإجابة دون أن تتحدث، شعرت بأن وجودى بتلك الخيمة سوف تنتهى بى إلى إنجاب الطفل الذى لا أرغب فى إنجابه وخصوصاً من تلك السيدة.

تعمدت الجلوس أمام الخيمة لفترات طويلة مما دفع زمردة لأن تأتى وتجلس قريباً منى وسرعان ما أصبحت تلك عاداتها وشعرت بأن المرأتان تتنافسان فى الإيقاع بى وتنكرت هارون الرشيد وما كنت أقرأه عنه فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهاتى وهو يتحدث عن المعجبات الكثر من حول الخليفة هارون الرشيد، ضحكت وأردد بداخلى : أين أنا من هارون الرشيد هذا الخليفة العباسى الذى ملأ الدنيا موسيقى وغناء وفن وأبدع خلال عصره من الشعراء والمطربين والمطربات.

تاكد لى أن تلك الخيمة أصبحت ذات أبعاد ثلاثية بين كل من ليلى وزمردة وخالد، أصبحت ساحة للعشق والحب والنظرات الفاضحة أحياناً والتى لو وجدت المترجم لتلك النظرات لألهبت قريحة الشعراء والفنانين، لقد كانت كلا من ليلى

وزمردة قد إستوت على نار حقيقة وتلك نار الحب الملهب والمنافسة بينهما جعلت من كل واحدة منهما تتوهج بشرتها بلون أبيض شفاف مخضب بحمرة الشباب وحيوية المحب، لقد كانت ليلي تخشى أن تتصرف مع زمردة بطريقة فجأة شديدة وأيضا زمردة كانت تخشى القيل والقال فتلك سيدة تدافع عن زوجها من أن تقوم أخرى بمشاركتها فيه.

هذا يوم مخالف عن باقى الأيام، فقد أقبل الشيخ (سلمان السواركى) شيخ قبيلة السواركة الشهيرة بشمال سيناء وظل يومين فى ضيافة الشيخ السمعانى ودارت أحاديث بينهما وبين كبار رجال القبيلة سرعان ما أقبل أحدهم يطلب حضورى إلى (مجد) الرجال أو (حجرة الصالون) وهى عبارة عن عشة من سعف النخيل ذات أعمدة من الجريد السميك ومحيط يربط الأعمدة الأربعة على هيئة مربع بأعلى ويغطى من أعلى بالسعف فيعمل على تقليل شعاع الشمس الساقط على من يجلسون اسفل تلك العشة أو ذاك المجدد.

دخلت على الرجال محييا تواجدهم ودعوتى للجلوس معهم، تطرق حديث الشيخ السمعانى بحديثه وبعد أن أعاد الترحيب بالشيخ سلمان السواركى قال مخاطباً :

- الزلمة خالد أكيد بده يعود إلى داره فى مصر ومعاها مرته وأكيد اهلها مش عارفين حاجه عنها لحد النهارده .. صمت ولم أجب فالنصف الأول من السؤال أوافق عليه لكن أن تلحق بى تلك السيدة فهذا شىء بعيد عن تفكيرى ولو حدث فسوف تصبح مشكلة لى لو وفقنى الله فى العودة للقاهرة امام أجهزة المخابرات وخصوصا الحربية التى تعلم كل شىء عنها قبل الحرب بل وأرسلت لنا بصور لها ولزوجها العميل سلومة.

- دلوجتى الشيخ سلمان السواركى جاى يشوف فيه زلمه هنا من الدفعه يساعدهم يروحهم لمصر وعرفته أن فيه زلمه كان مدرس مع مرته فى مدارس العريش ومش عارفين يرجعوا، اتحدد (تحدث) مع الشيخ سلمان يا خالد.

- زى ما قال الشيخ السمعانى ان حكايتى مع زوجتى أصبحت مشكلة أننا نرجع مصر ويمكن الشيخ السمعانى عرفك بأننى تعرضت لإصابة شديدة من عساكر اليهود .. حرك الرجل رأسه علامة التأييد ثم أشار إالىّ بأن أعود لخيمنى حتى يفكر فى الأمر لأن لديه أسبقية أولى وهى إنقاذ الدفعة المصريين.

عدت للخيمة وجلست بجوار بابها المصنوع من القماش مختبئاً أراقب حركات القوم ولم يصل لأدنى أى كلمة من أحاديثهم، بعد نصف ساعة شاهدت الشيخ سلمان السواركى ينهض مودعاً الرجال مردداً خلى الزلمة لوقت آخر حينما ننتهى من الدفعة، أسرعت أعدو خلفه وتوقف الرجل فأمسكت بيده وسرت به بعيداً عن الرجال وإقتربت من أذنه وأسرت فيها بالسر الخاص بى :

- شيخ سلمان، أنا الرائد خالد شوقى من المخابرات الحربية شعبة الإستطلاع وأصبت فى معارك يونيو وتم أسرى والسيدة التى معى ليست زوجتى ولكنها جاسوسة ترغب العودة لمصر، لو ساعدتنى بالعودة سوف يصبح هذا شيء عظيم وإذا أمكنك أن تقدم العون بإنقاذ السيدة ووصولها لمصر فسوف تكون ذا فائدة عظيمة لرجال المخابرات المصريين.

توقف الرجل فارغاً فاه ونظر إلىّ بنوع من السعادة والعظمة وهو يردد ويقترب منى : لا أرغب فى القيام بتصرف يكشف هويتك وسيناء ملغمة بالعملاء من كل

صنف ومن أجل هذا سوف أتماسك وأظل أتعامل معك على أنك وزوجتك مدرسين وخلال ثلاثة أيام سوف يأتى رجالى ويصطحبك مع زوجتك إلى طريق طويل وصعب حتى نعيدك إلى قواتك الباسلة التى تنتظر كل رجل شريف ليقدم للوطن جهده وخبرته، سوف أتركك الآن وموعدا ثلاثة أيام بإذن الله، ثم صاح مردداً قوله:

- خلاص يا شيخ سمعانى، حنساعد الزلمة ومرته لأنى عرفت أن أمه مريضة جدا وتحتاج إليه وهو الوحيد لديها ولهذا فسوف أعتبره من أولوياتى كما سبق وأخبرتكم وعليكم رعايتهم إلى حين الإستعداد لرحلة طويلة، السلام عليكم.

هكذا ترك الشيخ سلمان السواركى القبيلة بعد أن وعدنى بالمساعدة ومدى ما شعر به بأنه عثر على هدف كبير سوف يسعد المخابرات الحربية سواء فى إنقاذ أحد رجالها أو بتمكينهم من القبض على العميلة ليليان فيكتور.

دخلت الخيمة فشاهدت لىلى تستتر بجدار الخيمة القماش وحين دخلت أغلقت الباب وأخذتنى بين ذراعيها محتضنة مقبلة وأشبعتنى بكلمات جميلة لم أسمعها منها قبل ذلك وكانت تردد خلال ذلك :

- مش ح أنسالك المعروف ده أنك تعرف الراحل الشيخ الكبير ده بأن أمى عيانه وعائزّه تشوفنى، نظرت إليها بدهشة متسائلاً :

- أنا كنت بأكلم عن نفسى .. قاطعتنى :

- لا متقولشى كده، أنا عارفه أنك عملت كده ومرضيتشى تقول أن مراتك أمها تعبانه كما هى عادة العرب ميدخلوش سيرة مراتهم مع الأغراب فى الحديث.

شعرت وشعرت ليلي بأن أحدا يحاول فتح باب الخيمة ففقت من دورى وفتحته لأعلم من يكون وكانت المفاجأة بأن الشخص القادم هى زمردة الجميلة التى غطت عيونها الدموع الغزيرة وسمعت صوت بكائها وتجذبنى نحوها تتحدث بصوت عال

- حتمشى وتسيبنى يا خالد، ده يصح، أنتم بتعملوا مع البنات حداكم كده، البنات إلى بتحب راجل ورايداه تجوموا تنسوها وجت ما تيجى فرصة الهرب، بلاش يا خالد تروح وتسيبنى، خالد أنا حبيتك وأنا يتيمة الأب والأم وجاعدة مع خوى ومرته ومعاملتهم شينة وبأهرب منهم وأجد عند عمى (زينة) والننى يا خالد فكر فىا أنا ريداك وبلاش تعمل فىا كده، أنا عشت المدة إلى فأتت من ساعة ما عيني طلت هيتك وأنا عايشه فى حلم جميل وكأنى طايه فى الجنة، وأنت يا ليلي ح نجسم خالد بينا وحجدر نعيش سوا .. إحنا الثلاثة وربنا يوفجنا ويكرمنا، ح نولد سوا ونربى عيالنا سوا، خالد حيروح يعمل فى المدرسة فى مصر وأنا وأنت نستناه لما يعود وناكل سوا وإلى عليها الدور خالد بيت حداها زى ما الدين جال.

إندفعت الفتاة فى البكاء ولحقت بها ليلي وشعرت بأننى إنسان قاس القلب لا رحمة لدى، ألا تعلم تلك النسوة بأن لى حاجاتى ورغباتى وأحب من أحب ولا أتجاوب مع إشارات أنا غير راغب عنها، ماذا أفعل يا ربى؟! أتزوج عميلة يهودية وأتزوج بدوية وماذا سوف تفعل فى حى جاردن سيتى، هل سأشتري لها قطيع من الأغنام ترعى به على كورنيش المدينة، كل مكان له حياته وعيشته وهى إنسانة شريفة جميلة مخلصة ولا تكذب وأنا متأكد أنها تحبنى بكل إخلاص وبعبدة تمام البعد عن المصلحة الشخصية وكل ما ترغبة أن تعيش مع إنسان مال قلبها نحوه كى تهرب من مصاعب الحياة فى الصحراء وفقدتها لأعز إثنان فى حياة البشر، الأب

الحامى الذى يعمل لينفق عليها والأم الحنون العطوف التى تحميها وترعاها بكل ما تملك حتى لو برموش عينيها وتبعد عن قسوة الأخ وزوجته الشريرة.

غادرت الفتاة الخيمة باكية حزينة وشاهدت بعض نساء القبيلة ينظرن نحوى بشئ أشبه بالضيق والسخرية وكأنهن يقلن لى أيها الأبله تلك العروس الجميلة تريدك وأنت ترفضها ونعلم أنك متزوج وما العيب فى هذا فكثير من رجال القبيلة وشيوخها متزوجون من أكثر من امرأة، ألا تستحى وتترفق بها وتقبل عليها كما أقبلت عليك أم أنك من الصنف الذى لا يأتى للفتاة إلا حينما يشعر بأهمالها له وعدم رغبتها به وتتركه يقاسى الحرمان ولوعة الحب شهورا طويلة وقد تعطف عليه وقد تصده وتذهب لغيره.

لحقت بى ليلى وعيونها ممتلئة بالدموع الحارقة وتلونت عيناها باللون الأحمر وامسكتنى من كتفى وتوسلت إلى :

- خالد، ربنا يرجعنا مصر بالسلامة، نأخذ زمردة معنا!!

- نأخذها فىن يا ليلى؟ أنتى عارفه أنا بأشتغل إيه، ده ينفع، خلينا فى مشكلتك أنتِ الأول، فكرى معايا إزاي نقلل سمعتك الوحشه عند رجال المخابرات الحربية أقوم أأخذ لهم بت صغيرة لسه مدخلتشى دنيا وأقول شوفوا لها عريس!!

- مش للدرجة دى يا خالد، إجوزها وأنا موافقه إننا نعيش مع بعض فى شقة على قد الحال وخليك مع مراتك أم إبنك فى المكان إللى أنت مبسوط منه، خليك فى جاردن سيتى وإرمى بنت سينا فى بولاق وإلا باب الشعرية، البنات إللى عملت لك إللى

متمعلوش بنت مصراوية عايشه فى القاهرة وعضو فى نادى الجزيرة، الرجال أغبيا وميعرفوش البنات والست إللى بتحبهم من الست إللى رافعه راسها عليهم.

لم تاتى زمردة هذا الصباح كعادتها وحمدت الله أنها تفهمت الموقف وابتعدت عنى وعقبال ليلى، خرجت ليلى كعادتها للتجول بين نساء القبيلة ومن بينهن السيدة (زينة) عمة زمردة وسرعان ما شاهدها مقبلة وباديا عليها التوتر فاعتقدت أنها علمت أن الإسرائيليين قادمون، أمسكت بيدي ودخلت للخيمة ونظرت فى وجهى الساكن الهادى الذى يفكر كل لحظة حين اللقاء بزوجتى فريال وطفلى مصطفى والداى، تحدثت بصوت متحشرج :

- خالد، البت زمردة حالتها وحشه، من إمبارح لا بتاكل ولا بتتكلم، عمتها خايفه عليها وبالليل قامت كام مرة تصرخ وتقول حوشوا خالد، متخلوهش يسافر.

- إيه الكلام العبيط ده، فيه بنات وستات كده؟

- أيوه والله فيه، فيه قيس وليلى وغيرهم، خصوصا بنات البدو لأن إخلاصهم ملوش حدود، البنات وهبت حياتها ونفسها لك، لو قلت لها تعالى إخدمينى نظير أنها تشوفك كل يوم ح حتعملها، ده الحب الحقيقى، البنات محبتشى قبل كده يا خالد، خليك رحيم عليها، زمردة ملهاش شغلة فى حياتها غيرك وغير الغنم، أنتم كل حياتها.

- عايزانى أعمل إيه دلوقتى؟

- ح نروح نزورها، عمتها طلبت منى كده، موافق؟

- خلاص نروح نزورها وأنا عارف أنها بنت كويسة لكن ظروفى هيا السبب.

- لا متقولشى ظروفك هيا السبب لكن قول أنك طمعتها فى الحب وأنتك رايدها آدى كل الحكاية.

- طيب عايزانى كنت أعاملها بقسوة مش كفاية إल्ली عملتيه فيا، ح أكون أنا كمان.

- خلاص بطل كلام وصلنا و عمتها واقفه مبسوطه إنك رايح لها.

- مساء الخير

- أهلا بالزلمة الصالح تعالى شوف حال المستورة زمردة

- ربنا يسترها مع كل بنات حواء، تبعت ليلى التى كانت تتبع عمة الفتاة حتى دخلنا عليها فشاهدتها تنام على كليم صوف من وبر الجمال ويتفصد العرق منها، تحدثت معها عمتها فلم تتجاوب معها فطلبت بإشارة منها أن أتحدث معها :

- زمردة .. زمردة .. قومى بقى وبلاش دلع.

شاهدت رموش عينيها تتحرك وبعد قليل فتحت عينيها ببطء حتى شاهدتني وابتسمت وتحدثت مرردة :

- خالد .. أنت هنا فى فرشتى بتعمل إيه؟

- قومي بطلى دلع، من الصبح مشفتكيش .. خلال هذا شاهدت كلاً من عمته وليلى
تنسحبان تنظران لى بما يعنى كن رقيقاً معها وراعى مشاعرها الحاملة.

ظلت زمردة جالسة تنظر إلى بتركيز جعلنى فى حالة من الإضطراب وفكرت
بإستدعاء عمته لكنى خشيت غضبها، كانت الفتاة حاملة وبعيدة عن الواقع ولا تعلم
ما يخبئه لى القدر ولا تعلم طبيعة عملى التى إستطعت إخفائها عن الجميع بإستثناء
ليلى التى تسببت فى إصابتى مرتان الأولى صبيحة الخامس من يونيو والمرة
الأخيرة منذ أكثر من شهرين.

إقتربت من زمردة وتحدثت معها بهدوء طالباً منها ألا تفكر بى رغم اننى أكن لها
كل إحترام وحب لأن إرتباطها بى غير مسموح لى وأنا مرتبط ولى زوجة أخرى
بالقاهرة ولى منها طفل، شاهدت الفتاة تنظر إلى بتركيز وبدهشة أعقبها حديث
قصير على هنية إستفسارات :

- لك مرة غير مرتك إالى بينا يا زلمة؟

- أيوه يا زمردة، بقالى ثلاث سنين مجوزها.

- ولما حطيت بالعريش إجوزت ليلى؟

- صح يا زمردة.

- أنت راجل بتاع حريم صحيح، جوم فز يا زلمه ومش عايزه أشوف سحتك من
ذك الساعة، روح على داركم ومعاك مرتك الثانية، ما مكيفك جوز حريم عايز
تألفه.

هكذا غادرت خيمة زمردة بعد أن أطاح خبر زواجى الأول بعقلها ولم أرغب بأن
أخبرها بحقيقتى مع لىلى وإلا سوف ينهار كل شىء وسوف يصبح وضعى ووضع
لىلى أمام القبيلة سيء وأننى أعاشر امرأة غريبة عنى فى الحرام تحت أنظارهم
وحمايتهم وهذا شىء مخالف لتقاليد البدو، خارج الخيمة شعرت بأن السيدتان علمتا
بما حدث من زمردة فقد تنامى صوتها المرتفع إلى سمعهما.

لىلى:

شكرت عمة زمردة وإصطحبت خالد إلى الخيمة إنتظارا للغد حين وصول
أتباع الشيخ (سلمان السواركى) لمرافقتنا لرحلة مجهولة إلى مصر بلد الأجداد
وإذا كللت تلك الرحلة بالنجاح فسوف يصبح هذا من أعظم الأشياء التى حدثت لى
خلال الأعوام العشرة الماضية منذ هربت من مصر بصحبة سلومة

بداخل الخيمة إعرفت لخالد بالخطأ التى إرتكبتها بتشغيل جهاز الإرسال
اللاسلكى ثم تنبهى لهذا وغلقه لكن خلال الثوان القليلة إستطاع الإسرائيليين تحديد
المكان وإرسال الطائرة بالجنود وقيام المعركة التى تمت، لهذا فسوف أخفى هذا
الجهاز بداخل الرمال بعيداً عن محيط القبيلة، طلب منى خالد ألا أفعل هذا وسوف
نسلم الجهاز للشيخ السواركى وكل هذا سوف يصب فى صالحك حينما نصل لمصر
وتستقبلنا المخابرات الحربية.

قضينا تلك الليلة في حالة من الترقب، كنت أخشى الليل أن أندفع نحو ليلي التي
كانت على أتم استعداد لأن أقرب منها لكنى عدت لهدوني موطننا نفسى بأنها عدة
أيام ويكتب لى الله نجاتى بعيداً عن تلك السيدة وسوف يكافئنى على التمسك بأهداب
الدين وعدم الإنغماس فى الرزيلة المتاحة والمعروضة على منذ فترة طويلة وأيضا
لعدم تغريرى بالفتاة الصغيرة زمردة والدخول بها وتركها مع قبيلتها وأنا أعلم أننى
لن أعود لها مرة أخرى.

طريق العودة

خالد :

نهار اليوم الأخير لوجودى بتلك القبيلة وفى نهايته سوف يهل علينا أتباع الشيخ سلمان السواركة للقيام بعملية هامة لإنقاذ أحد ضباط المخابرات الحربية من الأسر أما الذين من حولى لا يعلمون هذا السر وكان يجب على الاحتفاظ بسريره لمصلحتى ولعملية الإنقاذ ولعدم وضعى فى حالة من الشك لمعيشة تلك الإنسانه الغريبة عنى.

لم تظهر زمردة منذ الصباح وحمدت الله أنها تركت حبها المقيم ولتبحث عن فتى مقارب لها فى العمر من ابناء القبيلة وسوف تعثر عليه بسهولة لأنها محط أنظار الكثير من الرجال لما حباها الله من مواطن الجمال والفتنة، أقبلت ليلى مرحلة سعيدة وأخبرتني بأنها ستقوم بوداع زمردة وعمتها زينة وهذا أقل شيء نقوم به نحو هؤلاء القوم، تذكرت الشيخ السمعانى وأسرت نحو خيمته فشاهدته جالسا يلف مغزل لعمل خيوط من صوف الجمال يستخدم فى صناعة الملابس الثقيلة للوقاية من برد الشتاء وأيضا فى صناعة الخيام.

جلست مع الشيخ وبعض أعوانه وكان سعيداً بأننى أصبحت قوى البنية وصحتى على ما يرام وبضحكة بسيطة تعلوها ابتسامة دائمة طلب منى ألا أنساه عند المسؤولين بمصر وعلى أن أبلغهم بأن بسيئاء رجال مخلصين للوطن ولكل مصرى وأنهم من أشد الناس عداوة للإسرائيلىين لما لاقوه من هوان خلال حرب عام

١٩٥٦ بالإضافة إلى الأيام القادمة التى سوف تصبح أياماً سوداء فى تعاملاتهم مع جنود العدو.

تناولنا الطعام الأخير فى القبيلة الذى إعتد فى تكوينه على الأرز ولحم الضأن الذى أعد على نار هادئة من جريد وسعف النخيل، غزت حاسة الشم رائحة شواء اللحم الشهى قبل أن تتذوقه الألسن، كانت وجبة الطعام طيبة للغاية وأعقبها الشاى العربى الأصيل الذى يُعد بنفس طريقة شى الضأن الذى يميز طعمه المخالف لما إعتدنا عليه ونسبة السكر المرتفعة بداخل كل فنجان.

أقبل رجلين من رجال الشيخ سلمان السواركه وبعد تبادل التحية تحدثا معى ومع الشيخ السمعانى وبأنهما أقبلا بجمل واحد وأن الزلمة ومرته سوف يستخدمان الجمل الآخر الخاص بهما وتلك تعليمات الشيخ، أيدهما الشيخ السمعانى.

شعرت بالضيق والرجفة لهذا الوضع وسوف تظل ليلى تجلس خلفى لمسافة طويلة ومع كل حركة سير الجمل سوف تلتصق بى ويحتك جزء من جسدها بى ونحن فى هذا الموقف الصعب رغم هذا سوف أظل على حالى بل فضلت السير على قدمائى لكن الرجلين رفضا هذا موضحين بأن الجمل يستطيع حملك مع زوجتك دون مجهود كبير .

أقبلت ليلى سعيدة حينما وصلها نبأ وصول رجال السواركة الذين إعتكفوا بخيمة الشيخ السمعانى لتناول الطعام وشرب الشاى إنتظاراً لسقوط ظلام الليل حتى نبدأ التحرك، كان متبقيا على هبوط الظلام حوالى نصف ساعة بعد أن غربت شمس هذا اليوم ولم يتبق سوى ضياء خافت، أسرعت ليلى تخبرنى بأنها سوف تعد

ملابسها وبعد أن تركتني عادت وسلمتني جهاز الإتصال بالجيش الإسرائيلي كما سبق وإتفقنا على هذا، إنشغلت ليلى بالداخل بينما غادرت الخيمة وتواريت لأحد أجنابها وجلست مستنداً على جذع النخلة أفكر فى ما يخبئه لنا القدر أثناء تلك الرحلة غير مأمونة العواقب، اشرت لأحد رجال السواركة وسلمته الجهاز كى يسلمه بدوره للشيخ سلمان بعد أن نزعته منه بطارية التشغيل حتى لا يخطئ أحد منهم ويعبث به فيجد الإسرائيليون فى أثره.

بعد إنصراف الرجل سمعت صوتاً هامساً خلف ظهري فإستدرت لمعرفة مصدر وصاحب الصوت فإذا هى زمردة أقبلت نحوى مودعة ولم تترك لى فرصة الوداع كما إعتدت بل ألقت بنفسها على صدرى باكية وتردد بعض كلمات غير مفهومة ثم توقفت عن الحديث ونظرت مليا فى عيناي وشاهدت نظرات سعيدة بعيونها ثم إقبلت على مقبلة وجنتى وكادت القبلات أن تصل للشفافة لكن لم يحدث هذا.

إقتربت منى بطريقة مثيرة للإنتباه وخشيت أن يقبل أحد رجال القبيلة ويشاهد هذا المنظر فقد أصبحت واقفة بين نراعى وقد تحدثت مشاكل تعرقل طريق السفر إلى مصر الحبيبة، لم يحدث أى شىء يعكر صفو الإستعداد للرحلة.

بعد أن هبط الظلام شاهدت ليلى تقف خلف زمردة تهدد على ظهرها محاولة فك نراعيها من حول رقبتى ويهدوء نجحت فى هذا وقبلتها ووعدتها بأن أول زيارة لسيناء مع خالد سوف تكون من نصيبك حتى تتزوجي وسوف نظل أصدقاء وأحباء.

سمعت رجال السواركة يبحثون عن الزلمة وزوجته فأسرعت وخلفى ليلى للقاءهم وساعدونا على ركوب الجمل، طلب الرجال من ليلى أن تتمسك بوسطى

بقوة كى لاتسقط من فوق الجمل وتصاب إصابات شديدة لأننا سوف نسرع فى السير ولن نترك الجمال تسير بكسل وروية حتى نبتعد مسافة أمنة بعيداً عن تلك المنطقة ونتوغل غرباً فى إتجاه قناة السويس.

نهض الجمل وأسرعنا للحاق بجمل السوراكة وخلال هذا وقف أفراد القبيلة مودعين، أصابنا الرهبة والخوف من زمردة التى أسرعت بترك يد عمتها وسعت خلف الجمل تمد يدها محاولة اللحاق بنا وتنادى علىّ بإسمى وأن إصطحبنى معك يا خالد ولا تتركنى هنا فإن تركتني فقد أصبح دون روح أو قلب، أرجوك

واصلنا السير ولم نتوقف وكانت الجمال تسرع الخطى بل كانت تقفز وأصاب لىلى الخوف وطلبت منى مساعدتها للتمسك بالبردعة الخاصة بالجمال مما دفنى للقبض على كفى يدها التى تحيطان بخصرى كى أضمن عدم سقوطها أرضاً وبالتالي سوف يعرقل هذا طريق العودة الذى بدأناه منذ ساعات.

بدأت أشعر بالإعياء بينما لىلى كانت فى حالة شبه مخدرة وكادت أن تهوى من فوق الجمل مما دفعنى لطلب تخفيف السرعة فتوقف الرجال وأقبلا نحوى متسانلين عن السبب وحينما إقتربا منى صاح أحدهم بأن المرأة سوف تسقط من فوق الجمل ولهذا تحركنا بهدوء لمسافة عدة كيلومترات حتى عثرنا على مخبئ طبيعى يساعدنا فى الحصول على الراحة وإخفاء الجمال.

ترك الرجلين أمامنا عبوة ماء وبعض قطع من العجوة نقات بها لمقاومة حالة الجوع والإحتياج للماء والراحة وأخبرانى أنهما على بعد خمسون مترا من الجانب الآخر للكهف وسوف يتركاني مع زوجتى وعلينا الخلود والحصول على الراحة

المطلوبة وإصطحبا الجمال وغادروا المكان، رافقت ليلى ومازالت مستندة على ذراعى تسير ببطيء وكادت تسقط أرضا حتى وصلنا لداخل الكهف، قمت بفرد الغطاء الصوف الذى سلمه لى البدوى وأجلست ليلى بهدوء فأسرعت بفرد ساقها تتألم وكادت أن تصرخ لشعورها بألم حاد بمقعدتها نظرا لسرعة الجمل والهبوط والإرتفاع الناتج من حركة السير.

طلبت منى بصوت ضعيف خافت يحمل معانى الضعف والألم بأن أقوم بفتح الحقيبة الجلدة التى معها وسوف أعثر على أنبوبة ذات لون بنى وأحصل على بعض قطع صغيرة منه وأقوم بفرد تلك المادة على ساقها من أعلى جهة الداخل لشعورها بالتهاب من الاحتكاك بجسد الجمل، قمت على تنفيذ ما طلبته منى، كنت أشعر بأنها تنتفض حينما أضع تلك المادة على المناطق الملتهبة بساقها وفى نفس الوقت كنت أشعر بالخجل بينما قامت ليلى بوضع جزء من تلك المادة على مقعدتها.

فى تلك اللحظة شعرت بأنها سيدة ضعيفة وكل ما كانت تقوم به هو تنفيذ تعليمات القتلة الإسرائيليين وفى الحقيقة هى مثل أى سيدة تنكسر بسرعة عند أى منعطف قوى يواجهها ولا تستطيع الإستمرار فى حالة التكبر والترفع التى كانت تتمسك بها فى مواجهتى عندما تعود لحالتها السابقة حالة السجان والسجين، حاولت إطعامها بقطعة عجوة لكنها رفضت وحصلت على جرعة ماء وإستسلمت للنوم ومازالت قابضة على يدى وقربتها من صدرها وظلت على هذا الحال فترة طويلة.

كنت راغبا بالنوم مما دفعنى للنوم فاردا ذراعى وخلدت فى نوم عميق لم أنتبه منه إلا على صوت ليلى التى طلبت منى قطعة عجوة، وبعد أن حصلت عليها نهضت وطلبت منى اللحاق بها وإختبأت بأحد الأماكن وطلبت منى ألا أزع أحد

يقترب من مكانها مما دفعنى للضحك وبأتنا فى الصحراء التى ليس بها إناس لكنها أعادت تحذيرها.

كنت أعتقد أنها سيدة متبرجة وساييه كما نقول فى مصر على بعض النساء الذين يدخلون فى بعض مجالات العمل الخاصة بالرجال لكنى شعرت بأنها إنسانة وحواء ولديها الخجل والحياء وكل ما كانت تقوم به معى هو خاص بى لأنها وضعتنى بقلبها وعقلها مصممة على أن تتال قلبى على ألا أتركها بعد وصولنا مصر ويجب على تسهيل تعامل السلطات المصرية معها ودون تلك التسهيلات فسوف تواجه مصاعب جمة.

أقبلت على بعد أن قضت حاجتها وإغتسلت ببعض قطرات ماء حتى تعيد لوجهها النظارة وحينما سألتها عن أحوالها والإلتهابات التى أصابت ساقها طمأننتى بأنها بخير ولهذا رغبت بمشاكستها وقلت لها أنك تملكين ساقين جميلتين فضحكت وزغدتنى فى كتفى وعلقت قائلة :

- الساقين بس، مافيش حاجه تاتيه يا أبو نظر ضعيف!!

جلست ليلى مستندة بظهرها على جزء من صخرة الكهف وشعرت برغبتي فى النوم، طلبت منها ذلك وحينما اخذت وضع النوم صححت من وضعى بأن أعدت ساقها كوسادة ووضعت رأسى عليها وكانت وسادة لينة جميلة ورغم هذا دخلت فى نوم عميق وكنت أنتبه على ملاطفة أصابعها لشعر رأسى مثلما تقوم أى أم بمداعبة طفلها.

ظلت على هذا الحال حتى إنتبهت إلى أنها نامت بهذا الوضع فسقط رأسها على صدرها وإنحنى الصدر على صدرى وتهدل شعر رأسها الطويل على جزء من وجهى مما دفعنى لليقظة وأيقظتها ونهضنا من نومنا وشربنا بعض الماء وأقبل الليل فسمعنا صوت الرجلين يخبرانى بأن موعد التحرك أزف وعلينا مغادرة الكهف.

حدث فى تلك المرة مثلما حدث فى المرة السابقة وركبنا الجمل بنفس الطريقة وطلبت من الرجلين الحصول على راحة كل ساعتين لأن زوجتى يلازمها الألم لقطع تلك المسافة مرة واحدة كما طلبت تخفيف سرعة الجمل، صمنا قليلاً وحرك أحدهما رأسه بأنه تفهم المشكلة ووعدنى بالعمل على تلافى تلك المصاعب.

تحركنا كما فى السابق وكان السير بتؤدة وسلاسة مريحاً جداً مما دفع ليلى لملاطفتى ومن حين لآخر تبثنى بعض كلمات جميلة فى أننى مما دفعنى لأن أقوم بتحذيرها بأن سلوكها هذا قد يدفع بى للنزول من فوق الجمل وإصطحابك لأى مكان قريب كى أبادلك حباً بحب مما دفعها للضحك قائلة : لقد ظللنا لأكثر من ثلاثة أشهر معا ولم يحدث أى شىء.

بدأ ضوء نهار اليوم الثانى فى الظهور، تصرفنا كما حدث فى نهار اليوم السابق وكانت أحوالنا الصحية على ما يرام ورغم هذا طلبت ليلى أن أقوم على دهان ساقىها بهذا الكريم الملطف وتبين لى مدى تأثيره السريع على صحتها، جلست معى فترة طويلة تحدثنا معا وأكلنا العجوة وشربنا الماء وعرضت عليها إن كانت راغبة فى قضاء حاجتها فطلبت أن أنتظر حتى تصبح الشمس عمودية حتى يهرب الجميع إلى الظل ولا يشاهدها أحد مما دفعنى للضحك مرة أخرى فضحكت متسائلة

الا يجب على فعل هذا؟ صمتت ونظرت إلى نظرة ذات مغزى لم تفصح عن معناها.

فى هذا النهار نامت بالقرب منى وأمسكت أحد أنرعى بيدها وحينما نظرت إليها متسائلاً لماذا هذا التصرف كانت إجابتها بأنها دائماً ما تخشى أن تصبح وحيدة فى الجبل ولهذا فهى راغبة بالإطمئنان وبأننى قريب منها ولن أتركها فنهضت من رقدتى وإقتربت منها وطبعت قبلة خفيفة على خدها مما غمرها بالسعادة وأغمضت عيناها ودخلت فى سبات عميق.

لم أغفو وكنت أنظر إليها وهى نائمة ومازلت أكرر مقولتى السابقة بأنك يا ليلى أثناء نومك مثل الملاك وعندما تستيقظين وتبدأين فى التهديد والوعيد تصبحين شيطاناً خطيراً، لم تعد هكذا بعد الرصاصة الأخيرة التى كادت أن تودى بحياتى.

أقبلت الليلة الثالثة وسرنا على نفس النهج وكان رجال الشيخ سلمان السواركى على مستوى المسؤولية يمتعون بروح طيبة وخلق حسن ويفهمون طرق السير ووقت التوقف ولم تجفل الجمال أثناء السير رغم أننا شاهدنا أضواء عربات تسير عن بعد ورغم هذا كان سيرنا طيباً هادئاً وإستطاع الرجال إتباع تكتيك السير ليلاً والراحة نهاراً بأن يتجنبوا قوات العدو وأيضاً الإبتعاد عن الحرارة وضوء الشمس الخطير الذى يلهب الإنسان والحيوان.

قبل التحرك فى تلك الليلة أقبل أحدهما موضحاً بأن تلك الليلة هى الأخيرة وسوف نصل إلى شاطئ البحيرات المرة وننتظر ظلام الليل بعد أن يقوم بنشر ضلاله على الأرض بعدها سنبدأ عبور البحيرة.

كانت سعادتي وسعادة ليلي لا توصف ولم تستطع أن تصمت وظلت تهمس في أذني بكلمات جميلة عن الحب والإخلاص وما تتمناه بأن يتم لنا المراد وأن يكلل الله مسعانا بالنجاة إلى بمصر وهناك نقرر الخطوة التالية وأكدت لي بأنه في حالة ترجمة هذا الحب إلى زواج فسوف تشعر بسعادة لا مثيل لها وأنني سأصبح أسعد رجل في مصر وعند تلك الكلمة ضحكت ولففت رأسي للخلف قليلا وأنا أردد :

- أنا شفت جزء من السعادة وأنا بأدهن الكريم على الرجلين الحلوة الملفوفة مما دفعها للضحك متسائلة ومعلقة :

- دا أنا كنت فكراك دهل وآخر لخرة، وأنا في مصر كان عندي معلومات أن طباط الجيش بيحبوا الجمال ويفهموا فيه، المهم تكون العينة عجبتك، ضحكت لهذا خصوصا حينما بدأت تضغط على صدرى بيديها فرحة لوصولنا إلى شاطئ البحيرات الذي ظهر ضياء بعض السفن الكبيرة الحجم به من خلال سقوط ضوء النجوم على تلك السفن.

بعد قليل أسرع الرجال بإنزالنا من على الجمل بعد عملية التنخيخ وأشاروا إلى وادى منخفض تكثر به بعض قطع من الحديد والصاج وطلبنا منا بالان نخرج من مكاننا مهما حدث حتى يأتى أحدهم ويصحبنا لمكان العبور للشاطئ الآخر.

هكذا جلسنا بجوار تلك القطع من الحديد الصدا الخردة وعلى ما اعتقد أنها من بقايا معدات تطهير القناة من أثر هبوب الرياح المحملة بالرمال كل عام وبالتالي تنقل آلاف الأطنان من تلك الرمال إلى قاع القناة ولا بد من تطهيرها وإزالتها لضمان سلامة عبور السفن بها.

طال علينا الوقت ولم نعد نسمع أحد من الرجال وأقبل الليل وتوقعت أن الرجال سوف يأتون لكن لم يحدث هذا وظللنا طوال الليل فى مكاننا ونفذ ما معنا من عجوة ومياه كما قامت الحرارة المكتسبة التى اكتسبتها قطع الحديد من شمس النهار بأن بنتها إلينا وأصبح المكان فى منتهى الصعوبة مما دفعنى لأن أنهض للخروج من تلك البوتقة رغم إعتراض ليلى لكن الضيق ألم بى وحينما غادرت الحفرة شاهدت أحد الرجال قادماً مسرعاً يطلب منى الإتيان بزوجتى لأننا سنعبّر البحيرة بعد عشر دقائق.

أسرعت وأخبرت ليلى التى أقبلت سعيدة وأصابها التوتر من عبور بحيرة كبيرة مثل البحيرات المرة ولم يكن أمامنا أى بديل، وقفنا مع الرجلين أبناء السوراة وتساءلنا لماذا هذا المكان ولم نتجه لقناة السويس الضيقة الإتساع، أجابنى أحدهم بأن شرق البحيرات لا توجد به قوات إسرائيلية، وقفنا ننتظر قدوم أحد الأشخاص الذى سوف يعبر معنا البحيرة.

بقايا المقاتلين

عاد الضابط صبحى لموقعه المختار الذى يجتمع به مع الرجال، وقف بينهم ينظر إليهم وجميعهم غرباء عنه، كان يتسائل بداخله، أين الضابط حسن رمزى الذى مكثنا معا ثلاثة أعوام، كان نمث الخلق ولم يغضب من التجاوزات التى كنت أقوم بها فى حقه وحق بعض الجنود، كان الناصح الأمين لى بأسلوب رقيق مهذب، كانت ردود فعلى شديدة لا تناسب رقة حديثه وإنسانية تعامله معى ومع باقى الجنود، لقد قالها بعض الرجال المجندين وأيضاً الشهيد تادرس (أصله يا فندم ابن ناس، والده كان أستاذ فى الجامعة).

أشاهد الجنود ينظرون لى فى انتظار ما سوف أقول وعلموا فاجعة ما حدث اليوم، فقد شاهدوا جرير يجلس باكياً وإلتفوا من حوله وسمعت حديثه الحزين يروى عليهم كيف هاجمتهم قوات العدو ولولا الطائرة الهليكوبتر لكنا قد أجهزنا على جنود الكوماندز بأقل خسائر، لقد كان رجال الإستطلاع على درجة عالية من الشجاعة تحت قيادة الضابط حسن رمزى الذى ظل يطلق نيران الرشاش الذى معه حتى لفظ أنفاسه الأخيره رغم أنه كان مصاباً قبل هذا لكنه تحامل على نفسه وظل مقاتلاً شديد البأس مع رجاله، رحم الله الجميع.

طلبت من الرجال الإنصراف وسوف أطلب حضورهم فى وقت لاحق مما دفعهم للإنصراف مسرعين وإتجهوا للعمل جرير وجلسوا من حوله وكان صامتاً بينما كانوا يتحدثون فأسرعت إليهم محذرا لهم بعدم الكلام لإرتفاع درجة الصوت وقد تأتى قوات العدو وتجهز علينا قبل أن نطلق نيران أسلحتنا عليهم، صمت الرجال وكان باديا عليهم حالة الحزن الشديد فقد أثرت تلك الحادثة عليهم.

إن العدد الأكثر منهم من أبناء الصعيد والريف بخلاف رجال الإستطلاع الشهداء الذى كان معظمهم من الأحياء الشعبية بالقاهرة وما يمثلونه من رجولة وأسلوب الشهامة مع الآخرين.

عُنت وجلست منفرداً وتذكرت رجالى المخلصين الذين خدموا معى فترة طويلة وكانت آخر عملية ناجحة قمنا بها عملية الإستطلاع الجريئة داخل حدود إسرائيل قبل قيام الحرب بعدة أيام وما حصلنا عليه من معلومات قيمة زودنا بها القيادة أتذكر الجندى عوض أبو الروس صاحب الرأس الذهبية حينما كان يهاجم الأعداء فى حرب اليمن وأثناء الإشتباك المتلاحم كانت رأسه هى السلاح الفعال فى القضاء على الخصم حيث كنا نسمع هبة قوية نشاهد على أثرها من كان يقاومه ملقى على الأرض فاقدا للوعى والدماء تغطى وجهه.

الجندى مصطفى خربوش صاحب الأظافر الحادة التى كانت مثل موسى الحلاقة وحركة واحده بيديه فى وجه من يعاركه نشاهده على أثرها لم يعد يرى والدماء تغطى الوجه، الجندى سيد المشط هذا الإنسان الهادئ الذى لا يملك من مواهب القتال غير مقص أظافر صغير وملقاط ومشط، كان سيد المشط مشهور عنه المرور على زملائه من الجنود فيقوم بتهديب شواربهم قبل حصولهم على الأجازة مما دفع بعض الجنود لترك شاربهم دون حلاقة حينما شاهدوا تأثير سيد المشط على زملائهم وما مدى ما حققته شواربهم من وجاهه دفعت بهم للعناية بمظهرهم، أما الجندى إبراهيم المعسل الذى كان يعمل فى حياته المدنية قبل التجنيد صبى قهوجى بحى الخليفة بالقاهرة وكان مسؤولاً عن إعداد الجوزة والشيشة والبورى وتزويدها بالمعسل ولهذا أطلق عليه هذا الإسم وأصبح ذا شهرة واسعة فى هذا المجال لدقته فى وضع كمية المعسل بداخل حجر الشيشة أو الجوزة.

مازلت أتذكر باقى الجنود الشهداء، عبده محاره الذى كان يعمل فى المعمار وأيضاً صديقه محمد كورنيشه فى نفس المجال وأفادهم عملهم هذا فى مجال الإستطلاع فى عمليات تسلق المرتفعات بسهولة دون خوف والحصول على ما نريده من معلومات والعودة بخفة القط، اما باقى الشهداء الذين كانت لهم قدرات عظيمة أمثال فؤاد المونجى صاحب القلب الميت الذى لم يكن يخشى الموت وكان هادئ الطباع فى أصعب الظروف أما سيد النخيمسى بطل الساحة الشعبية بقلعة الكبش فى الملائكة وضربة يد بيسراه تسقط خصمه أرضاً، أما آخرهم حسين الدوكش بطل ساقية مكى فى سرقة الغسيل من البلكونات وفوق الأسطح والذى كان لا يعبأ بأى شئ وحينما يتحرك لا ينتبه لموضع قدمه فيهرس أقدام الآخرين دون أن يشعر أو يدفع بجسده القوى من يواجهه بالسير بأحد الأجانب.

رحم الله الجميع، قرأت الفاتحة على أرواحهم الطاهرة وعدت إلى باقى الجنود أتحدث معهم وأعمل على رفع معنوياتهم المنهارة من هول المفاجأة بإستشهاد عشرة من زملائهم فى عملية واحدة، قررت جمع الشمل للتحرك غرباً فى إتجاه قناة السويس للحاق بباقى القوات، نحن لا نستطيع الإستمرار فى المقاومة دون إمكانيات وشاهدنا كم خسرنا من الرجال وتساءلت هل يوافق الرجال على هذا الإقتراح وشاهدت علامة الرضا على الوجوه الحزينة، تركتهم وعدت أجلس منفرداً.

بعد قليل لحق بى جرير يشد على يدى بأننى إقتنعت بما صبه فى أذننى من حتمية عودة هؤلاء الرجال إلى وحداتهم فقد إنهارت معنوياتهم وغالبيتهم يرغب بأن يلتقى بعائلته يطمئن على أحوالهم ويرعى المتزوج أطفاله والبعض يرغب فى الإنفاق على والديه العجائز، كنا جميعاً فى حالة من الإحتياج لتخفيف حالة الحزن الكامن بنا وأيضاً الإنضمام إلى باقى القوات فلم نعد فى حالة تسمح بالقيام بعمليات أخرى

خصوصاً أن جرير أخبرني بأن عملاء العدو فى سيناء ازدادوا كثافة، ولهذا سوف أرتب مع جرير عملية الإنسحاب الهادئ الأمن.

الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية :

قام كولونيل إبراهيم بعقد إجتماع مع الميجور جونيون وبعض معاونيه بعد عودته من الإجتماع الصاخب الذى تم فى تل أبيب والذى ركز على كيفية ترك جحافل الجنود المصريين المنسحبين يقومون بعمليات عدائية ضد جيش الدفاع أو تدمير الأسلحة الثقيلة من دبابات ومدافع أو تفجير مخازن الذخيرة التى خلفها وراءه الجيش المصرى المنهزم.

كل هذه الأعمال تضر بأمن إسرائيل والتى ترغب بالإستيلاء على كل تلك الأسلحة التى سوف تقوم ببيعها لجمهورية رومانيا الإشتراكية الصديقة بإيعاز من حكومة الإتحاد السوفيتى التى شعرت بالحرج بأن يصبح السلاح الروسى ملقى فى الصحراء خردة ولم يستطع المصريون إستخدامه وهذا يقلل الطلب العالمى على السلاح الروسى.

لهذا الأمر طلب الكولونيل من معاونيه زيادة أعداد العملاء بسيناء للبحث عن هؤلاء الجنود المخربين والقبض على من يستطيعون القبض عليه وقتل من يقاوم ولا مجال بعد اليوم لمثل تلك الأفعال لأن ترك هؤلاء الجنود يعثون بأمن سيناء سوف يشجع القيادة المصرية على إرسال المزيد لإرباك خطوط تموين الجيش الإسرائيلى وإصطياد بعض القادة والأفراد وبمرور الوقت ترتفع الخسائر البشرية والمادية، لهذا قرر الميجور جونيون وضع خطة عاجلة لتنفيذ تلك الأوامر وسوف يتم تنفيذها فى أقرب فرصة من الآن.

زينة عمه زمردة :

سمعت حركة غير عادية أثناء الليل صادرة من مخدع زمردة فإتجهت ببصرى نحوها فشاهدتها تتألم وتبكي محاولة منع صوت بكائها من الظهور فنهضت وإتجهت نحوها للإطمئنان عليها وحينما أضأت المشعل لمشاهدتها وجدت علامات المرض على وجهها وشحب وجهها فتخوفت أن يكون قد حدث لها مكروه وسألتها عما أصابها فبكت وهى تردد إسم الزلمة خالد وتقول أنها لن تستطيع العيش بدونه ويجب أن تلحق به وبدونه لا حياة لها ولا معنى لأى حياة فى أى مكان دونه.

شعرت أن وراء هذا الإصرار شيئاً سيئاً وإقتربت من أذننها وأصررت فيه :

- هل حدث بينكما لقاء؟ نظرت إلى زمردة محاولة فهم السؤال فأوضحت لها :

- يعنى نام معاكى زى أى راجل بينام مع مرته، حصل أنه جامعك يا زمردة، لا تصمتى ولا تنظرى إلى بهذا الشكل، بكت زمردة ووقع فى يدى وسوف تفترسنا الألسن بعد إنتشار الفضيحة وظهور المستور على الأعين حينما تنتفخ البطن وتظهر آثار الحمل، مازالت الفتاة تبكى ولهذا أخبرتها بأننى سوف أطلب من الشيخه أم سلمة أن تأتى للقيام بعملية الإجهاض، مازالت زمردة تنظر إلى فى بلاهة مما دفعنى للضيق وتساءلت :

- عايزه تخلص عيله فى بطنك، عايزه تخلص الحبل المكروه ده، ده عيل ح يبقى ابن حرام، صرخت فى وهى تردد:

- ياريتّه عمل كده على الأقل كان ساب ليا حاجة من ريحتّه، دا يا عمه مرضيش حتى ييوسنى زى باقى الشباب لما بيحبوا البنات فى العريش وإلا غزه، كا بيبعد عنى تجومى تجولى الحديث ده.

- يعنى أنتى بخير يا زمردة؟

- لا يا عمّة!!

- ليه يا بنت، محصلشنى حاجة تبجى بخير.

- عمه أنا ح ابجى بخير لما أحصل الزلّة خالد، مش جادره أفضل بعيد عنه، سافر من كام ساعة وأنا مش جادره على بعده عنى، عايزاك تخلى الشيخ السمعانى يساعدنى ويخلى السواركة يساعدونى أنى أدور على خالد.

جلست صامتة هامة أفكر فى علاج لهذا الموقف الذى يواجهه ابنة أخى اليتيمة والتى لم تجد أحد يعطف عليها بعد وفاة أمها وأبيها بلغم أرضى من مخلفات حرب عام ١٩٥٦، ومن يومها وهى تقاسى صعوبة التعامل مع شقيقها (مسعود) وزوجته (جنات) فتأتى إلى هاربة منهما رغم أنها ليست عائلة عليهما فهى طول العام ترعى الغنم فى الصحراء القاتلة خلال فصل الصيف شديد الحرارة والشتاء شديدة البرودة حتى تنكسب وتتعيش وتظل فى بيت أخيها الذى لا يسمعها كلمة طيبة.

حين يميل قلبها وتنقلب عواطفها على أغصان شجرة الحب التى كان يروها خالد برقته ووسامته لم تجد من يناصرها ويساعدها ويقنع خالدًا بالعقد عليها لياخذها

فى أحضانها الدافئة يسعددها وتسعدها فى فتاة جميلة جدا تقارب أمها (ربحانة) التى كانت عبارة عن ربحانة من الجنة فى جمالها ورقتها لكن الموت لا يترك أحداً يجب على القيام بواجب القرابة والجنس أيضاً فكل أنثى تميل إلى ذكر ما لكن حياتها يمنعها من الإفصاح لكن زمردة وجدت من الشجاعة أن تجاهر بحبها وقد أساء الناس تفهم مشاعرها وإعتبروها صبية تتخط فى حديثها ولا تفهم شيئاً فى مثل تلك الأمور، ومن أجل هذا سوف أقوم بزيارة الشبخة (صابحة) زوجة الشيخ (السمعانى) كى تحاول مع زوجها العثور على حل لإنقاذ ابنة أخى وأطلب من الله أن يقوينى على مساعدتها للحاق بخالد ليعيش معا زوجا وزوجة وربنا يوفقها.

فى الصباح توجهت زينة عمة زمردة إلى الشبخة صابحة زوجة الشيخ السمعانى وبعد أن جلست معها بعض الوقت أخبرتها بحالة الفتاة وأغضب تصرف زمردة الشبخة صابحة مستنكرة على بنات البدو أن يقمن بهذا التصرف مما دفع العمة إلى سرد بعض أحداث حدثت لفتيات قبل هذا بل مما زاد من قسوة الأحداث أن إحدى الفتيات كانت تعشق فتى من قبيلة أخرى ورغم هذا لم يوافق أباهما على زواجهما من هذا الفتى وأجبرها على الزواج من آخر من نفس القبيلة ولم تكن راغبة به مما دفعها للإصابة بحالة مرضية كادت أن تودى بحياتها لولا أن والدها طلقها من هذا الزوج وبعد أن إستكملت عدتها تزوجت من الشاب الذى إختاره قلبها.

أقبلت ابنة العمة تخبر أمها بأن زمردة فاقدة النطق ولا تجيب من يحدثها وفى حالة من الأغماء مما دفع بالسيدتين للإسراع نحو الخيمة التى بها زمردة ومعانبة حالتها وأيقنت الشبخة صابحة أن الفتاة عاشقة ولابد من تحقيق رغبتها والبدل عن ذلك الجنون حتى الموت ولهذا طلبت منها العمة زينة بأن تقوم بكل ما تستطيع لإقناع الشيخ السمعانى بتحقيق رغبة الفتاة.

تركت الشيخة صابحة الخيمة وتوجهت نحو زوجها وأخبرته بما حدث للفتاة والذي نظر إليها مؤيداً وجهه نظر زمردة وأنه وبعض رجال القبيلة لاحظوا لهفتها على الزلمة ومن الواجب علينا مساعدتها في تحقيق رغبتها فهي فتاة ضعيفة ويئمة ولا تجد ناصراً ومعيناً لها ومن أجل هذا سوف أتوجه للقاء الشيخ سلمان السواركي وأطلب منه أن تلحق الفتاة بخالد.

قامت العمة زينة بكل ما تستطيع لإفاقة زمردة التي كانت تجلس ثم تنام من شدة الإعياء وتبين للجميع أن ما تعانيه الفتاة ليس بحالة حب بل حالة من الجنون أفقدها صوابها ودفعها إلى تلك التصرفات التلقائية وأن حالتها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم لو لم يتم تحقيق رغبتها.

بعد قليل أقبلت الشيخة صابحة وألقت البشارة على عمة زمردة التي هلت فتنبهت زمردة وسمعت ما حدث وأن الشيخ السمعاني سوف يتوجه للشيخ سلمان السواركي من أجل هذا الغرض، عادت البسمة إلى الجميلة البرينة زمردة وساعدتها النساء على النهوض وتوجهن بها إلى خيمة النساء لإنهاء شؤونها عادت بعدها أحسن حالاً ووضعت العمة أمامها الطعام الشهى فأقبلت عليه بلهفة وتفتحت الشرايين لدفع دماء الحياة.

بعد مضي الساعة أقبلت الشيخة صابحة مستبشرة متلهلة وأخبرت زينة بأن الشيخ السواركي أقبل على القبيلة وأول شيء طلبه منه الشيخ السمعاني هو توصيل الفتاة زمردة إلى الشاطيء الغربي للقناة كي تلحق بالزلمة خالد حتى تتزوج به وأدهش هذا الشيخ السواركي لهذا أرسل لعمتها كي تستدعيها من خيمة إبننتها فأقبلت وسارت بصحبة الشيخة صابحة إلى مجعد الرجال.

مجعد الرجال :

كان الشيخ السواركى يتوسط مجعد الرجال ومن حوله بعض كبار القبيلة بالإضافة للشيخ السمعانى، شاهدوا زمردة قادمة بصحبة عمتها زينة وحين وصلت المجعد رحب بها الرجال وأشار لها الشيخ السمعانى بالجلوس بجوار المجعد تحت أشعة الشمس فمن غير الجائز أن تجلس بجوار الرجال، بدأ الشيخ السواركى بسؤالها عما ترغب من مساعدة تقوم بها القبيلة، أجابت زمردة بهدوء تحسد عليه أمام تلك الكوكبة من كبار رجال القبيلة دون خجل :

السلام عليكم كبار رجال القبيلة والمدافعين عن حقوق أبنائها والساعين لتخفيف آلام من يشعرون بأنهم فى حاجة إلى العون والمساعدة، ودون حياء وخجل فلا حياء فى الدين وقد سبقنا إلى ما سوف أطلب المساعدة به من هن أفضل منى قيمة وجاهاً ومالا ورغم هذا كن يجهرن بما خفى بالقلب.

أيها السادة لقد مال قلبى إلى الشاب خالد الذى كان يعالج بالقبيلة منذ ثلاثة أسابيع وشاهدته قبل هذا لمدة تعدت الشهر بجوار عين المياه وبرفقته زوجته وغلب عواطفى بمشاعره النبيلة الصادقة وبهدوء تصرفاته ورغم أن زوجته كانت تتعامل معه بجفاء وعنف وتتركه خارج الخيمة بالساعات تحت أشعة الشمس الحارقة إلا أنه كان يعاملنى بكل حنان وإنسانية.

رق له قلبى، هذا القلب الذى لم يعطف عليه أحد سوى عمتى زينة بينما حُرمت منذ أعوام كثيرة من حنان الأب والأم الذين ماتا متأثرين بانفجار لغم فى أعقاب حرب عام ١٩٥٦ وبقيت مع شقيقى مسعود الذى يتعامل معى بغلظة وزوجته جنات

التي ترفض تواجدى معهم، اين اذهب وإلى اين ألجأ بعد أن توقفت أمامى كل سبل الحياة وخلال هذا كنت أقوم برعى الغنم منذ شروق الشمس إلى الغروب صيفاً وشتاءً وجميعكم يعلم مدى ما يلاقيه الإنسان من شدة الحرارة صيفاً وقسوة البرودة شتاءً والعواصف الرملية القاسية.

عائد هذا الرعى يصب فى يد شقيقى وزوجته ورغم هذا يرفضان وجودى، أنا فتاة وحيدة وأرغب فى أن أحيا وأعيش فى كنف رجل يرفعى الله فى، أقوم على خدمته ورعايته وأنجب له البنين والبنات أقوم على تربيتهن على أحسن ما يكون.

أنتم أيها الرجال فى مرتبة الأب والعم، كل ما أطلبه منكم مساعدتى فى اللحاق بمن أحببت وأنا أعلم أنه لم يرغب بالزواج بى ولا أدرى سبباً لهذا فقد عرضت عليه حبى ورغم أنه شكرنى على تلك المشاعر إلا أنه إعتذر لزوجاه من فتاة بمصر أنجبت له الولد وبزوجته الثانية التى كانت تجاوره فكيف يستقيم به الحال لو تزوج بثالثة،

قد يقول أحدكم أن المشكلة مازالت قائمة وأقول بالفعل المشكلة مازالت قائمة لكنى أرغب بأن أكون قريبة منه أستطيع أن أشاهده عن بعد دون أن أسبب له مشاكل فهذا يكفينى وهذا دوائى وبدون هذا سوف أصاب بالجنون فدرجة حبى له تفوق حرارة ولهب صهر الحديد.

بكت الفتاة وإصطحبتها عمتها لداخل الخيمة وتأثر الرجال وقال أحدهم لو أصيب أحد منا بهذا المرض الخطير، مرض الحب من جانب واحد لهلك فما بال

الفتاة الصغيرة التي لم يخفق قلبها الصغير بالحب لأحد من الرجال من قبل، أيها السادة أنا على استعداد أن أتولى القيام بمهمة توصيلها إلى مصر ولقاء هذا الشاب.

تحدث الشيخ سلمان السواركى مؤيداً الشاب الذى تحدث وطلب من الجميع القسم ألا يقوم أحد بإخبار أى إنسان خارج هذا المجمع بما سوف يقوله لأنه سر عسكري هام، أيها الرجال هذا الشاب هو أحد رجال المخابرات الحربية المصرية وأصيب فى إحدى المعارك.

ألقت القبض عليه عميلة إسرائيلية فى منتهى الخطورة تلك العملية التى كانت معه هنا وإدعت أنه زوجها وهى التى تسببت فى إصابته وأطلقت عليه الرصاص بل كانت تقوم بإغلال يديه بأساور حديدية مثل قطاع الطرق والمساجين فى أقسام الشرطة.

الفتاة الصغيرة لا تعلم وظيفة الرجل الحقيقية، هى تعلم أنه مدرس ومن معه مدرسة، لقد كان الشاب يلقي العذاب والإهانة يوميا من تلك العملية، لقد طلب منى العمل على إنقاذه وأيضا العمل على أن ترافقه تلك العملية إلى مصر كي تقوم المخابرات الحربية بالضغط عليها للحصول على معلومات عن العدو الإسرائيلى.

رغم رفضى فى البداية لهذا الأمر لكن حين أرسلت للمكتب التابع له بالقطرة وافقتى الراى على طلب الشاب خالد وأكد على بأن أقوم بالمحافظة على حياة الشاب خالد بقدر الإمكان، فإذا ساعدنا الفتاة للحاق به فماذا سوف يفعل الشاب بها، فهو زوج وأب لطفل وضابط له مكانته بالمجتمع، ايتزوج بفتاة بدوية لأنها أحبته.

لا يقل لى أحد بأننى أرفض مساعدتها، بل سوف أساعدها بأكثر مما يتوقع أحد
وحين تأكدى من وصولها إلى مصر سوف أوصى بعض معارفى بها كما سأطالب
رجال المخابرات بالعمل على أن تلتقى زمردة بهذا الشاب التى تبغيه ويجب ألا
تنسى أن زمردة شاركت فى العناية بالشاب وكان لها الفضل فى إنقاذه بعد الله.
كما علمت فقد ساعدت على نقله بل أعتقد بأنه لو لم تشاهده فى بداية الإصابة
لأجهزت عليه العميلة ووارت جثمانه الرمال، هيا أيها الرجال نستعد لمهمة إنسانية
خطيرة بأن نعمل على وصل حبل الإنسانية المتمثل فى حب الفتاة الصغيرة بهذا
الشاب والله قادر على أن يؤلف بينهما.

زمردة :

هذه ليلة موعودة، فبعد سفر خالد لبيلتين ها أنا ألحق به، لقد عوضنى الله عن
فقدى لأبى بهؤلاء الرجال الذين وقفوا معى وقفة قوية يغلفها الإخلاص والإنسانية
ومروءة العرب، لقد زودنى الشيخ سلمان السواركى بإسم زوج ابنة عمته كى أقيم
لديهم وسوف يساعدنى على اللقاء بخالد وبأى مدرسة يعمل، أسمع الشيخ سلمان
يعطى أوامره لرجالاه بالعناية بى وبإفساح المسافة والوقت لى كفتاة لأحصل على
راحتى وعدم كسر خلوتى مع نفسى.

يتحدث مع (جابر) وهو شاب سواركى هادىء نبيه بأن يظل معى خلال
عبور القناة ولا يتركنى إلا حينما يتأكد بأننى وصلت إلى الشيخ (العسال) زوج
ابنة عمته وأخرج من حافظته بعض الأوراق ودفع بها فى يديه قائلاً له تلك هى
أموال الفتاة وإحفظها معك أمانة إلى أن تصل لبر الأمان.

كنت راغبة بالغناء والرقص وأسأل في دهشة هل سيوفقتي الله والحق بخالد؟
هل تتضايق زوجته ليلي مني حين تشاهدني قد لحقت بهم؟ وإذا تضايقت فماذا علي
أن أفعل؟ أسئلة كثيرة حائرة لم أعتز لها على إجابة شافية ولهذا تركت التصرف
لصاحب الأمر والنهي، إن الله يخلق عين الماء ليشرب الجميع وهذا ينطبق على
خالد فقد خلقه الله لأن ترتبط به أى فتاة تشعره بحبها، خالد أيها الحبيب سوف
أشعرك بحبي وسوف أتغلب على حبك إلى زوجتك ليلي رغم أنني أعتزف بجمالها
وأوثقها الرائعة.

كل إنسان له محاسنه وله جاذبيته ومن المحتمل أن عفويتي الناتجة عن حياتي
القاسية وإهمال الجميع لى قد تنفع بخالد لأن يرتبط بى ومن الممكن أن أساعده على
نظافة الفصول بالمدرسة مثلاً كانت تفعل الخالة (صفية) التى تقوم بنظافة مبنى
المدرسة الابتدائى نظير راتب شهرى.

قطعنا الليلة الأولى ولم أشعر أنني أركب الجمل بل كنت أركب بساط الريح الذى
كنت أسمع المطرب فريد الأطرش يطربنا بتلك الأغنية ونحن صغار حينما يصل
إلى أذاننا صوته من الإذاعة المصرية، قبيل ظهور ضياء هذا النهار أوى الرجال
إلى مكان مختار حتى نظل طيلة النهار بعيداً عن أعين الإسرائيليين، جلست بعيداً
عنهم ولم أكن أحمل أى أغراض خاصة بى مثل ليلي زوجة خالد فحالتى المادية
سيئة ولولا بعض الملابس البالية لابنة عمى لأصبحت حالى سيئة، الحمد لله على
كل شئ ويكفينى أن الله متعنى بالصحة وأخيراً أرسل لى هذا الفتى لأرغبه كفتاة
بان يتزوجنى ويحملنى على فرسه الأبيض ويطير بى إلى عش الزوجية الجميل
مثلاً كنت أسمع حكايات بعض النساء العجائز بالقبيلة.

رحلة ليلية عبر البحيرات المرة

خالد :

قبل بزوغ شمس هذا اليوم اصطحبنا الرجال المكلفين بمساعدتنا لعبورنا للجانب الغربى إلى شاطئ البحيرات المرة، وقفنا على الشاطئ بضع دقائق ثم أقبل أحدهم يحمل عوامتان عبارة عن الكاوتش الداخلى للسيارة وكانتا مملوءتان بالهواء أحدهما يدعى (ربيع) وأفادنا بأن كل واحد منا سوف يستخدم عوامة يدخل فى منتصف البحيرة ويجب علينا السباحة بهدوء حتى لا يلاحظنا أحد، ومسافة السباحة حوالى ٥٠٠ متر بعدها نصل إلى الباخرة النرويجية التى تقف على تلك المسافة وسندخل إليها كى نستريح ثم نكمل طريقنا للجانب الغربى للبحيرة.

كل واحد منا دخل بتجويف الكاوتش بحيث أصبحت تحيط بمنطقة الخصر تحركنا بداخل المياه حتى لم تعد أقدامنا تلامس الأرض، قمنا بالسباحة نقتفى أثر (ربيع) المرافق لنا، كانت المياه بارده فنحن فى الصباح لكن درجة حرارتها معقولة وكانت حالتنا النفسية حسنة لأن رحلة العودة قد شارفت على الإنتهاء، بدأت صورة الباخرة النرويجية المعطلة مقصدنا تتضح أكثر فأكثر وبدا الزمن يتأكل فى نفس الوقت وبدا سطوع الشمس يتضح ولهذا نظرت للخلف فشاهدت الشاطئ الذى كنا نقف عليه منذ عشرين دقيقة قد إبتعدنا عنه بمسافة آمنة.

لم يعد أمامنا للوصول للسفينة سوى خمسون مترا بالتقريب وبدا واضحا للعيان أننا إقتربنا منها حتى أننى شاهدت بعض كلمات كتبت بالإنجليزية على جدار السفينة ثم تلى هذا ظهور أحد الأفراد على متنها يلوح لنا وتلك كانت النقطة الفاصلة

والفارقة فى طريق وصولنا لبر الأمان، قام ربيع بالرد على إشارته بإشارة أخرى وتلك الإشارة أكدت لمن يراقبنا من على سطح السفينة بأننا الهدف الذى ينتظره.

مازلنا نسبح خلف ربيع الذى ظل يلف حول السفينة حتى وصلنا لمكان قام من على ظهر السفينة بإنزال سلم كبير سبقنا إليه ربيع وأشار إلينا بأن نلحق به ونتخلص من العوامات بربطها بسور السلم، عاونت ليلى على الصعود من الماء حتى بداية السلم وفككت عنها العوامة وربطتها بالسلم وحذوت حذوها وصعدنا إلى أعلى وكان البلل من الماء هو حالنا وبدأ هواء الصباح المنعش يلفح أجسادنا فشعرنا ببرودة أعقبها قشعريره لازمتنا حتى وصلنا إلى سطح السفينة.

وقف ربيع ومن كان على سطح المركب فى أنتظارنا، حينما إقتربنا من نهاية السلم قال أحدهم (حمد الله بالسلامة) شكرناه وسرنا خلفهم نتبعهم وهبطنا من على ظهر السفينة بداخلها ودفقنا إلى حجرة نظيفة مؤسسة بفراش وثير وطلب منا الرجل المرافق لنا أن نحصل على راحة لعدة ساعات نستغلها فى الحصول على حمام منعش ملحق بالحجرة ونرتدى الملابس الموجودة بداخل الحمام ونقوم بفرد ملابسنا على منشر قريب من باب الحجرة بعدها تصلكم وجبة طعام ثم تحصلون على نوم هادىء مريح.

بالفعل بدأت ليلى بالحصول على حمام كنت أسمع صيحات الفرحة والسعادة من خلال فتحة صغيرة من باب الحمام فلم ترغب بغلقه كاملا خشية حدوث شىء طارئ حتى أسرع لأنقاذها، إستبدلت ليلى ملابسها وخرجت وتبين لنا أنهم أعدوا عدتهم كاملة لإستقبالنا، لقد وفروا ملابس نسائية تناسب ليلى ومن المؤكد سوف أعر على ملابس رجالي، دخلت الحمام وأغلقت الباب خلفى سرعان ما قامت ليلى

بفتحه وطلبت منى ألا أضع أى حاجز بيننا منذ اليوم، إنتهيت من حمام منعش ومياه دافئة وصابون يتميز برائحة طيبة خُرمَت منه ما يزيد عن ثلاثة اشهر، حملت الملابس المبللة وقمت بنشرها على سور أمام الحجرة التى نعيش بداخلها.

بعد قليل سمعت طرقا على باب الحجرة وفتحت الباب فشاهدت ربيعاً يحمل لنا صينية متوسطة الحجم ممتلئة بأنواع مختلفة من الأطعمة ذات الرائحة الجميلة ومنظرها الذى يسر العين، شكرته وأغلقت الباب وعدت وجلست فى مواجهة ليلي التى كانت فى حالة من السعادة والنشوى العالية، كنت من حين لآخر أقوم بوضع الطعام فى فمها فأسعدها تصرفى هذا ونظرت لى نظرات طيبة ومثيرة فى نفس الوقت، إنتهينا من الطعام وطلبت من ليلي أن تحصل على راحتها وسوف أنام على الكنبه الإستوديو لكنها رفضت وصممت على أن ننام على نفس الفراش، أخبرتها بأننى لا أستطيع أن أمنع نفسى عنها فضحكت وقالت هذا ما اريده.

كانت أمامى وفى خيالى صورة لشاب مصرى إتقيت به فى مدينة فينا بالنمسا أثناء فترة علاجى، كان يقوم على نظافة غرف المرضى وعندما علم أننى مصرى كان دائم السؤال عنى ويأتى ليجلس معى بعض الوقت بعد الإنتهاء من عمله اليومى، إحدى المرات فتح قلبه لى وأخبرنى بقصة حزينة حدثت له فى فينا.

لقد دخل النمسا منذ سبعة أعوام وعمل كل الأعمال الشاقة والمهينة فى عرفنا نحن المصريين لكن أبناء الغرب لا يعتقدون ذلك، كان الشاب دائم الحزن وفى هذا اليوم صارحنى بقصته الحزينة التى تتلخص فى تعارفه على فتاة جميلة من أحد أحياء النمسا الفقيرة، إرتبط بها كصديق وحدث بينهما عدة لقاءات مثل الأزواج وحملت وأنجبت طفلة جميلة لم يستطع أن يتخير لها الإسم بل تخيرته تلك الفتاة.

أحد الأيام حدث شجار بين الإثنين، هجرته الفتاة ومعها الطفلة ولم يشاهدها منذ عدة أشهر وفي آخر مرة شاهد طفلة التي أصبحت جميلة ولم تتعرف عليه، لقد ضاعت منه إبنته بسبب زواجه من فتاة أجنبية.

كانت مخاوفي بأن يحدث لى ما حدث مع هذا الشاب المصرى الحزين الذى كان يتقلب على نار الشوق لإبنته ولم تهتم به أمها وكأنها حملت من شخص آخر نفس الموقف سيحدث لى لو إلتقيت بليلى أو بزمردة وحملت وأنجبت، هذا الطفل سيذهب مع ليلى إلى إسرائيل والآخر سيظل مع زمردة يرعى الغنم بسيناء، وما الداعى لكل هذا ولدى زوجة جميلة محبة لى أسرع نحوها متلهفاً.

لا أريد تكرار تجربة الشاب المصرى التعيس، إنه لشيء ضار رغم سحر النساء مع إندفاع الرجال لأن ينهل كل واحداً منا من تلك المتع الحسية التى لا تنتهى الحمد لله أن إنتهى كل شيء مع ليلى على خير وأشاهدها تتقلب على الفراش فى حالة من الرومانسية العالية وأظهرت الكثير مما تملكه من المفاتن التى وهبها الله إلى حواء كى تجذب الرجل نحوها.

ليلى:

لقد صبرت على هذا الرجل كثيراً وتقلبى على نار الشوق إليه ولكنه يتجاهل كل إشاراتي رغم ملاحظتى أنه ينقق النظر فى جسدى المعروض أمامه وأشعر أنه يتفاعل معى لكنه صامد لا يلين وكيف أستطيع أن أفوز به، فقد إقترب موعد الفراق وسوف يتجه لأسرته بينما سوف أتعرض إلى تحقيقات طويلة حتى يتأكد المسؤولون من صدق تصرفى وأرجو أن يؤيد خالد ما سأقوله ولو حدث وأشار إلى القيد

الحديدى أو إلى المسدس والرصاصه الأخيرة فسوف يكون فيها هلاكى ولهذا يجب على أن أنتبهه لهذا وأحذره من ذكر تلك الحادثة المشؤمة.

- برجاء حبيبى خالد ألا تذكر أى شىء ضار يجعلنى فى موقف صعب أمام جهات التحقيق المصرية، فلا يجب نكر القيد الحديدى أو الرصاصه الأخيرة التى أطلقتها عليك، هل إتفقنا على هذا؟

- لا أعتقد أننا يمكن أن نتفق على هذا، فسوف يتم إستجوابى، لماذا لم انسحب مع فلول القوات المنسحبة وما السبب وراء إصاباتك المتعددة وكلها أسئلة لو أنكرت ما قمى به لوضعتنى فى خاتة الشك والريبة لكن حينما أنكر ما قمىتن به ثم عدولك عن كل هذا ورغبتك فى العودة لوطنك وأهلك وأنت مستعدة لتقديم كل خدماتك لهم فسوف يكون هناك قرار آخر يصب فى صالحك.

سمعت صوت ربيع يطلب منا أن نستعد للتحرك بعد عشرة دقائق من الآن شاهدت السعادة على وجه ليلى وبالتالى لم أستطع أن أعبر عما أشعر به من فرح وسعادة أنا الآخر لقرب عودتى إلى أسرتى ولقاء الأهل والزوجة وطفلى الرضيع كانت مشاعر فياضة وأحلام فوق الطاقة وتخيلات سعيدة من لقاء الأحباب وأثناء هذا أقبلت ليلى نحوى تردد :

- نودع بعض.

- فعلا نودع بعض يا ليلى ومش ح أنساكى أبداً.

- وأنا كمان، خدنى فى حضنك يا خالد.

- بلاش حكاية الحزن دية لتحصل مصيبة ونتأخر عن معادنا.

- قربك منى مصيبة يا خالد.

- مش قصدى لكن القصد هو خشية ما يلحق بالحزن، وعلى كل حال أدى حزن مع الأمانى الطيبة.

لم يكن حزن طبيعى كما يتبادر إلى الذهن لكنها كانت شهوة مشتتة رغبة بمن يطفئها ولم ينقذنا من كل هذا سوى تكرار نداء ربيع لنا بأنه مستعد للتحرك وهيا بنا دون تأخير لأن الوقت محسوب بدقة حتى لا تحدث تعقيدات حين الوصول لغرب البحيرة، أسرع لخارج الحجرة وأحضرت ملابسى وملابس ليلى التى جفت وبسرعة إرتدينا الملابس وتركنا ما حصلنا عليه من السفينة، غادرنا الحجرة متسابكى الأيدي وشاهدت ربيع ومعه إثنان آخران وتقدم أحدهما مصافحاً ومعرفة شخصه بى:

- النقيب عمرو من قوة المجموعة ٢٤.

- اهلا سيادة النقيب.

- شرفت مصر يا سيادة الرائد .. ثم نظر نحو ليلى وقدم تحيته بإشارة هادئة وبكلمات قليلة قال:

- سوف تلقين معاملة طيبة خلال فترة إحتجازك وأتمنى أن تكون التحقيقات فى صالحك، هيا بنا الآن.

هبطنا السلم الحديدى المرتفع فشاهدت قارب مطاط يجلس بداخله إثنان قاما بالترحيب بالإشارة وبعد أن جلسنا يرافقتنا النقيب عمرو إنطلق الرجلين بالقارب بدفعه بالمجاديف فى إتجاه الشاطئ الغربى، كانت سعادتى تزداد كلما إقترب القارب من الشاطئ الغربى ولا حظت وجود فردين فى إنتظارنا على الشاطئ وسرعان ما وصل القارب وألقى أحد الرجلين بحبل ربط القارب بالشاطئ وقام من على الشاطئ بسحب القارب حتى وصل لليابسه فهبط النقيب عمر مردداً :

- حمد لله بالسلامة يا فندم.

- شكراً النقيب عمرو، نظرت إلى ليلى وكررت نفس كلمات النقيب عمرو، إبتسمت بسعادة وأمسكت بيدها أساعدها على النزول، هكذا وصلنا إلى منطقة الأمان وأقبلت سيارة قام أحد الرجال بإصطحاب ليلى لتركبها وودعتنى وظهرت بعض دموع من عيونها الجميلة التى إعتدت على مشاهدتها ومقاومتها ثلاثة أشهر أو يزيد.

أقبلت سيارة جيب عسكرية ركبت مع النقيب عمرو حتى وصلنا إلى مكتب مخابرات الإسماعيلية فنهض كل من صادفنى مرحباً بتمام الوصول، بعدها دخلت إلى مكتب القائد المقدم ممدوح الذى نهض مصافحاً مرحباً بى ثم قال :

- حضرتك ح تفضل معنا يومين دون إتصالات تليفونية تستريح ونعرضك على الأطباء وترم عضمك وتلبس ملابس عسكرية تليق بك قبل أن تلتقى بأسرتك وتحصل على إجازة لمدة عشرة أيام تعود بعدها إلى الإسماعيلية للتقلد منصب نائب مدير الفرع، حتشرفنا وتبقى معنا.

- هذا شرف لى وأنا مستعد لتنفيذ خطة المكتب.

الخبر السعيد :

عادت فريال إلى مكتبها منهكة القوى من زيارة قامت بها و التقت ببعض زميلاتها ففى هذا اليوم تم تكليف وفد من صحفى الأهرام بزيارة المستشفى العسكرى بكوبرى القبة بعد وصول دفعة من الأسرى المصريين الذى قام الصليب الأحمر بنقلهم إلى مصر لتلقى العلاج نظراً لحالتهم الصحية المتدهورة، لم تكف فريال عن البكاء بعد تلك الزيارة وكانت تردد :

- يا ريتنى ما رحت وشفيت الشباب الحلو ده وهما متبهدلين بحروق خطيرة وإصابات شديدة، ربنا معاهم.

- معلىش يا فريال ده واجب وطنى علينا حتى الزيارة مش عايزين نقوم بيها.

- أنا أسفه يا هدى، لما شفتهم إفتكرت المرحوم خالد وأكيد حصله زى كده وأكثر مش عايزه أسترجع الماضى الحزين.

إنتهى يوم العمل وكنت عائدة إلى شقتى ومازال منظر من كنت أقوم على زيارتهم من مصابى الحرب ماثلاً أمامى، مجرد دخولى الشقة قابلتنى زبيدة فرحة وببت السعادة على وجهها فإعتقدت أن أحدا من بلدتها أخبرها بالعريس القادم تركتها وأسرعت بدخول الفراندة لمشاهدة أبى فلم أجده، دخلت إلى حجرة النوم فلم أعثر عليه، توجهت إلى الحمام فشاهدت الباب مفتوحا ولا أحد بالداخل أسرعت نحو زبيدة متسائلة واللهفة هى حالى فقد هاجمنى شعور خفى بأن أبى توقعك صحيا ونقل إلى المستشفى.

- زبيدة، فين الباشا؟

- راح يزور الدكتور شوجى وسميحة هاتم.

- راح بالكرسى وبعد كده رجعتى الكرسى تانى، طيب لما يحب يرجع ح ناخذ الكرسى له؟

- لا يا ست هاتم، الباشا مرحشى بالكرسى لكنه أخذها مشى على رجليه!!

- مش معقول!! دا يدوب بيمشى خطوتين ، يا ترى إيه إالى حصل.

- أصل البيه الحليوه بتاع السيما جه النهارده وجابل سعادة الباشا وبعد شويه سمعت الباشا بيهلل ويجول شكرا لك يارب وبعد ما البيه بتاع السيما مشى لجيت الباشا جاي ناحية الباب وجال أنا يا زبيدة رايح للدكتور شوجى ومرته أبشرهم بحاجه حلوه خالص ومش ح أجدر أستنى فريال لما تعود من الشغل لسه جدامها كام ساعة.

- مين البيه إالى بتقولى عليه؟

- البيه بتاع السيما، إالى جه جبل كده وتحددت (تحدث) مع الباشا وبعدين عرفنا بالخبر المشؤم.

- آه .. قصدك أونكل مظهر.

- أبوه هو ياست لأنه إتكلم فى التليفون جبل ما ييجى وجال عرفى الباشا أن أحمد مظهر تلميذك جاى يجعد معاك حبتين ولما عرفت الباشا جال ربنا يخليه مواظب على زيارتى من يوم ما تركت الخدمة.

- طيب يا زبيدة ح أروح أشوف إيه الحكاية.

هكذا غادرت الشقة متجهة إلى شقة أونكل شوقى كى أعود بمصطفى من عندهم مثل كل يوم وأساعد أبى على العودة وأعلم السبب وراء زيارة أونكل مظهر لأبى فقد كان برفقة أونكل حسين الشافعى منذ أسبوعين فما الداعى لأن يحضر وليس من المعقول أن يعود أبى للخدمة بعد هذا السن وتوعدك حالته الصحية ربنا يجيب العواقب سليمة.

توجهت إلى شقة أونكل شوقى أتوجس خيفة ولسان حالى يتسائل ما الذى دفع أبى إلى التحرك إلى شقة أونكل شوقى بهذه السرعة ولماذا كان منغل وبهال حينما جاء لزيارته أونكل مظهر فليست تلك أول زيارة يقوم بها وأعتقد أنها لن تكون الأخيرة وما الذى رغب أبى أن يخبرنى به لكنه لم يستطع أن ينتظر، هل ما علمه من أونكل مظهر يخص أونكل شوقى؟.

من المحتمل أن أونكل مظهر علم أن أونكل شوقى سوف يصبح وزيرا للصحة فقد ترددت هذه الإشاعة عدة مرات قبل هذا كلما حدث تعديل وزارى، سوف أعرف الآن ولأضغط على جرس الباب ولساتى حالى يطلب من الله أن يرفق بى وبالأخبار الحزينة وما شاهدته اليوم من نتائج الحرب الفاشلة مع العدو الإسرائيلى :

- أهلا يا بنتى ، تفضلى، هلت علينا أم الحفيد وزوجة البطل.

- خير يا أونكل، فيه حاجة حصلت؟

- أيوه يا فريال، إسألني بابا.

- خير يا بابا، زبيدة عرفتني أن أونكل مظهر جه زارك النهاردة، فيه حاجة جديده بخصوص أونكل شوقي؟

- فعلاً فيه حاجة جديده بخصوص أونكل شوقي وطنط سميحة ومصطفى وأنا وطبعا أنتي يا حبيبتى الجميلة.

- ربنا ينور طريقكم، إيه إल्ली حصل؟

- أيوه يا فريال، أحمد مظهر جه النهارده وعرفني أن فيه بعض الضباط تأخروا فى سينا وبعد يومين تلاته حيوصلوا وتأكد أن خالد منهم، قائد مجموعة من المخابرات الحربية كان حسين الشافعى طلب منه لو عرف حاجة جديده بخصوص الرائد خالد شوقي يبلغه أو يبلغ أحمد مظهر وحاول قائد المجموعة يتصل بحسين الشافعى كان مشغول وعلى الفور كلم أحمد مظهر إल्ली ساب كل إल्ली وراه وجه على طول.

- مالك يا فريال، قومي يا سميحة شوقي إيه إल्ली حصل، قعديها على الكرسي، مالك ماسكه راسك.

- فريال، حبيبتى، ردى على.

- أنا بخير يا طنط سميحة، المفاجأة كانت كبيرة على خالص ومش قادره أصدقها وخايفه أنها تكون حلم جميل ينقلب بكابوس.

- بشر ولا تنفر يا فريال.

- حاضر يا بابا، مش كفاية ونرجع البيت، عايزه أغير هدومي وأريح شويه مصطفى فين؟

- زى ما أنت شيفاه، نائم على السرير وفتحنا الباب عشان يسمع صوتنا ويطمئن.

- الحمد لله، يالا يا بابا عن أننكم.

- مع السلامة ودايما أخبار مفرحة، شكرا سعادة الباشا وشكرا يا فريال، طبعاً مصطفى ح يفضل معانا برضه وح نخليالك خالد.

- شكرا يا اونكل شوقى، شكرا طنط سميحة.

لقاء غير متوقع

زمره:

طلب منى الرجلين التابعين للشيخ سلمان السواركى أن أقرب من خط الماء الذى لم أشاهد مثله من قبل، كنت سعيدة للغاية فانا أسمع أن بلدى مصر كبيرة وجميلة وهذا على لسان العجائز الذين قاموا بزيارتها والذين كانوا يقصون علينا ونحن صغار عن العماير الكبيرة التى تضاهى جبل الحلال فى الإرتفاع، وبها مبانى قديمة من قبل ظهور الإسلام أقامها إناس يسمونهم الفراعنة وأنا أقرباء لهم ولهم جبل كبير من الصخور قاموا ببنائه يسمى الأهرامات، هكذا سوف أشاهد تلك الأشياء التى كنت أسمع عنها.

وقفت بجوار شخص يدعى شعبان وصديقه رجب، ناولنى أحدهم دائرة من الكاوتش خفيفة الوزن وقال لى ضعها حول وسطك كى تظلين فوق سطح الماء وسوف نسبح نحن الإثنين ونجذبك خلفنا بهذا الحبل المربوط بالعوامة لأننا نعتقد بأنك لا تجيدين السباحة، حركت رأسى دليلا على صحة حديثهما رغم أننى كنت مستعدة لأن ألقى بنفسى فى البحيرة دون أى مساعدة كى أصل للجانب الآخر كى أقوم بالبحث عن الزلما خالد.

قام الرجلان بالسباحة وأنا أتبعهما دون أن أفعل أى شىء رغم أننى حاولت التصرف مثلهما وكان الحبل الواصل بينى وبينهما هو القاطرة التى تدفعنى للأمام شأهت مركبا كبيرا لم أشاهد مثله من قبل، وصلنا إليه وبسلم حديدى صعدنا لداخله وتحدث شعبان مع أحد الرجال قائلا له :

- الأمانة الصغيرة دية توصل للعنوان المكتوب بالورجة دية، والظرف ده تسلمه لمكتبكم، فيه حاجات ومعلومات من الشيخ، ح نسيبك ونعود ومتناسشى أنك تخلى الرجال إالى ح يستلموا البنت الصغيرة يشتروا لها لبس جديد ونظيف لأنها من جبيلة الشيخ، السلام عليكم.

هكذا غادر الرجلان المركب بعد وداع بسيط لى وخلاله أخبرانى بأننى فى أيد أمينة وأن الشيخ كتب عنوان الزلمة جوز بنت عمته على الورقة المسلمة لهؤلاء الرجال، إختفى الرجلان عن نظرى وبعد فترة زمنية شاهدتهما يسبحان عائدين إلى الطريق الذى قمننا منه بينما أشار لى أحد الرجال بأن أتبعه وبحجرة صغيرة بها سرير وبعض الأغراض طلب منى الراحة والاستحمام ثم أقوم بنشر ملابسى المبتلة خارج الحجرة على الحبل المشدود أمامها، وبعد نصف ساعة سوف يصلك الطعام وأغلق الباب خلفه وتركنى فى هذا المكان الذى لم أشاهد مثله.

إنتهى اليوم بعد أن حصلت على حمام وإغتسلت من الحنفية التى كنت اسمع البعض يقول أنه يوجد فى العريش المياه تنساب من قطعة حديد بالحائط تسمى حنفية ولا توجد عندهم أبار أو عيون ماء، وصل الطعام الشهى الجميل وتنوقت من كل نوع قطعة وكنت فى حالة من السعادة فما أشاهده هنا والمسه لا مثيل له فى منطقة القبائل بسيناء، حياة أخرى، بعد نصف ساعة أخرى دق الباب وفتحته وأخبرنى الزلمة بأن الواجب على أن أستعد بعد نصف ساعة لمغادرة المركب لمواصلة رحلة الذهاب لمصر.

لم أستطع السيطرة على إنفعالاتى وكنت أقفز لأعلى مثل الصغار وأهلل مما دفع الرجل للعودة للإطمئنان على أحوالى فشاهدنى سعيدة ضاحكة عاد من حيث أتى.

قمت بجمع ملابسى المنشورة على الحبل وإستبدلتها بما كنت أرتديّة بعد حصولى على الحمام المنعش، خرجت من الحجرة وقابلتنى نسمات الهواء العليل فوق المركب وانشرح صدرى لهذا فأضافت لى بعداً آخر على طريق السعادة والفرح، هبطت على السلم الحديدى المرتفع لأجد رجلين فى مركب لونه أسود وساعدنى أحدهم كى أهبط بداخله وطلب منى الجلوس بينما أسرع الإثنين بالتجديف، كان القارب من الكاوتش المشابه للدائرة الكاوتشوك التى سبحت بها فى مياه البحيرة صباح اليوم، كان الهواء الجميل يلاطف وجهى وكدت أخلد فى النوم.

على الشاطئ شاهدت أحد الرجال يقف وحين وصلت بالقرب منه سألتنى :

- زمردة صالح

- انا زمردة صالح

أشار لى الرجل بأن أتبعه وبعد مسافة سير قليلة شاهدت سيارة صفراء من التى يستخدمها جنود الجيش فى سيناء، ركبت السيارة كما أمرنى، كنت سعيدة ومبهورة وأنا فى السيارة التى تستطيع أن تسبق الجمل الجاهل (الشاب) وصلنا إلى مكان ما وقال لى إحنا وصلنا، ح تنزلى تستريحى، شاهدت فتاة جميلة مقبلة نحوى تبسم وصافحتنى ثم قبلتنى وتحديثت قائلة :

- نورتى مدينة فايد يا زمردة.

- الله ينور حياتك ويفرحك برجل زين يجوزك وتخلفى كوم إصغار! ضحكت من حديثى ولم تعلق وسرت بجوارها فى هذا المكان الجميل وعلمت منها فيما بعد بأنه

نادى لضباط الجيش فى مدينة فايد، سارت معى حتى وصلنا إلى إستراحة جميلة ودخلت معى وأظهرت لى بعض الملابس المختلفة الأحجام والألوان وطلبت إختيار ما يناسبنى.

كنت فى حيرة فطلبت مساعدتها وبالفعل ساعدتنى وكانت لطيفة هادئة وحصلت على جميع الملابس التى تخص النساء كاملة وطلبت منى أن أحتفظ بملابسى القديمة حتى أصل لمنزل (الشيخ العسال) قريب (الشيخ سلمان السواركى) مضى بعض الوقت وحضرت الفتاة وعلمت إسمها حينما قالت لى أى شىء تريده إضغطى على هذا الزر وقولى:

- بسمه، أنا زمردة وعازاكى فى الحجرة.

اليوم التالى أقبلت بسمه الجميلة والقريبة منى فى العمر وإصطحبتنى إلى قاعة فسيحة بها أنواع كثيرة من الطعام ساعدتنى فى تخير ما أرغب تناوله، جلسنا معاً نتحدث ونتناول الطعام بهدوء ثم سارت معى إلى شاطئ البحيرة وجلسنا أسفل شمسية من شماسى البحر وبالطبع لم أكن قد رأيت هذا من قبل ولا أعرف ما إسمها وكل ما أتحدث عنه تعلمته على يد من قابلتهم أو سوف ألتقى بهم بعد هذا.

تحدثت معى كثيراً وكعادة البنات تطرق حديثنا إلى الحب وما تواجه الفتاة من شطحات القلوب وضحكنا لهذا، تشجعت وأخبرتها بقصة حبنى لخالد، كانت بسمه هادئة تستمع لحديثى عن خالد بكل إهتمام، بل تسألت ماذا يحدث لو لم تعثرى عليه أو لم يتجاوب معك؟

عند هذا الحد كدت أنفعل ونثور ثائرتى ولكنى تمسكت برباط جأش قوى مما دفع دموعى للظهور سرعان ما أصبحت شلال دافع بقطرات الحب الطاهر مما دفع بسمه للنهوض والجلوس بجوارى بعد أن كانت تجلس مواجهة لى وطيب من خاطرى وقبلتني عدة قبلات محاولة التخفيف من أثر سؤالها.

ظللت فى هذا المكان ثلاثة أيام من أجمل الأيام التى قابلتها فى حياتى ولا يتفوق عليها سوى أيام أن كنت أشاهد خالد عند عين المياه، هذا هو اليوم الرابع أو الأخير كما أخبرتني بسمه بأن أستعد لمغادرة المكان وسوف تقلنى سيارة إلى حى نزلة السمان بالجيزة بالقرب من الأهرامات، كانت سعادتى لا تضاهى حيث سأقيم عند ابنة عمه الشيخ السواركى وأشاهد الأهرامات التى قال عنها البعض أنها مثل جبل الحلال وتم بناءه بأيدي المصريين ولم يخلقه الله مثل جبال سيناء.

رافقتني بسمه إلى حجرتى وظلت معى تتابع وتراجع ما أرتيه وتغير وتضيف فى ملابسى ثم وقفت وابتسمت بسعادة وأظهرت إعجابها بجمالى وقالت لى شاهدى نفسك فى المرأة، شاهدت نفسى وصرخت ورقصت مثل بعض الرقصات بشمال سيناء والتى كانت النساء والبنات يقومن بها بعيداً عن أعين الرجال، وضعت باقى الملابس بحقيبة وقالت كل هذا مهداه لك من الجيش المصرى، نظرت إليها بعيون فاحصة تريد الإيضاح لكنها لم تعطنى الفرصة.

عند باب السيارة ناولتني مظروف صغير وقالت هذا مبلغ بسيط يساعدك فى البداية على الحياة رغم أنك ضيفة وثقى بأننى سوف أعمل على مساعدتك لمعرفة طريق الزلما خالد مما دفعنى للضحك فاحتضنتها وقبلتها لهذا العطف والكرم والحب الذى لم أشاهد مثله منذ وفاة أبى وأمى وعمرى عشرة أعوام ظللت بعدها

أعمل مع الأغنام ولا يعود على أى شىء من خيرها سوى المبيت والطعام بدار
أخى مسعود غليظ القلب وقد ازدادت غلظة قلبه بعد زواجه من ابنة خالتي.

المخابرات الحربية جنوب الإسماعيلية :

النقيب بسمه :

توجهت إلى مكتب القائد المقدم ممدوح فاستقبلني باش الوجه وأشار لى بالجلوس
بعد أن جلست ناولته الدوسيه الخاص بزمردة صالح ابنة سيناء من منطقة مفارق
الحسنة من قبيلة الطرابيك، فتح الدوسيه على عجل وتصفح بعض ما دونت ثم نظر
إلى متسائلاً :

- عملتى إيه مع الشاويش سعد السواق؟

- طلبت منه ينفذ التعليمات إالى وصلتنى من سيادتك، الحصول على بيانات الضيف
وتسليمه جواب الشيخ سلمان السواركى.

- البننت كانت مبسوطه؟

- زمردة كانت سعيدة جداً وعمرها ما شافت مصر وكل شويه تبص على نادى
الظباط وطبعا معرفتش شخصيتى غير أنى موجوده هنا من طرف الحكومة عشان
أساعدها زى ما بنساعد أى حد مصرى جاى من سينا.

- كده كويس وانتظرى ليلى أو ليليان فيكتور لأن المجموعة إنتهت من التحقيقات
معاها ورفعوا تقريرهم لسيادة اللوا محمد صادق وأشر بإنضمامها لمكتب القنطرة

وطبعا ح توصل بكره، خليكى معاها وإلى تقدرى عليه خديه منها ومتنسيش إنها شاطرة جدا وذكىة وعمله مش هينة وقرار ضمها للعمل معانا فيه خدمه كبيره للبلد وربنا يوفقك، شكرا النقيب بسمه.

-شكرا يا فندم.

المقدم ممدوح :

بعد مغادرة بسمه المكتب جلست أتصفح التقرير التى دونت فيه المعلومات التى حصلت عليها من الفتاة، كانت الإدارة فى حاجه إلى أعداد من أبناء وبنات سيناء للمساعدة للدفع بهم إلى سيناء مرة أخرى بعد حصولهم على التدريب اللازم لمراقبة العدو وإمداد عملاء الإدارة هناك بكل صغيرة وكبيرة نظراً لأن الإدارة تستعد لتكوين منظمة تحرير سيناء التى سوف تقوم بأعمال فدائية محدودة ضد العدو.

يجب على بسمه أن تنتهى من مراقبة ليليان فيكتور خلال أسبوع كى تعود للإدارة بالقاهرة والتى أرسلتها لنا كى تقوم باللازم نحو زمردة ثم ليليان.

لقد قاربت على الإنتهاء من مطالعة تقرير النقيب بسمه عن الفتاة زمردة، سوف يواجه الرائد خالد موقفاً فى منتهى الصعوبة حين يلتقى بالفتاة زمردة التى تبين لى من التقرير أنها أحبته بشدة وقد تنهور لصغر سنها كما أن خالد يتمتع بشخصية رائعة تنفع الكثير من بنات حواء للإعجاب به فما بال زمردة التى تحيا بالصحراء حين تشاهد هذا الشاب أمامها رغم أن التقرير لم يذكر أنها تعلم أى شىء عن وظيفته الحقيقية فكل ما تعلمه أنه مدرس ويعيش بالقاهرة وكان موجودا بسيناء مع زوجته ليلى.

أه على ليلي أو ليليان فيكتور، إنها سيدة قوية مثيرة وكنا نخشى تحركاتها هي وزوجها سلومه مزارحي حين كان عملائنا يتتبعون خطواتهما والحمد لله أن جنود خالد قضوا على سلومه والآن سوف نستقطب ليلي للعمل معنا أو تودع السجن ولا تظهر للوجود وأعتقد أن عودتها له ما يبرره لزيارة والديها وقبل حضورها للقاء بسمه سنتابع تحركاتها حين تقوم بزيارة والديها وشقيقتها الصغرى التى تزوجت وتقيم بحارة اليهود بحى الحسين.

ليلي:

بعد إنفصالنا أنا وخالد بالنادى بمديمة فايد توجه بي أحد رجال المخابرات الحربية لأحد المكاتب التابعة لهم بمدينة الإسماعيلية وهناك تعاملوا معى بكل ذوق ورقى وكانت الإعاشة على أحسن ما يكون ولم أسمع أى كلمة نابية أو لفظ خارج عن الأصول، فى المساء إستقبلنى أحد ضباط المكتب وقرأ لى تقريراً عن أعمالي بسيئاء وخصوصاً ما حدث مع خالد ثم نظر إلى متسائلاً :

- أنتى جاية مصر برجلىكى عشان تسلمى نفسك وتتحملى جزاء أفعالك وإلا جايه تعتذرى وتتعاونى معانا؟

- طبعا جاية للتعاون وإلا مكنتش جيت.

- طيب إيه إالى دفعك للمجى والتعاون؟

- بقالى عشر سنين بعيدة عن أبويا وأمى وأختى الصغيرة إالى سبتها وعمرها عشر سنين و...

- و إيه يا ليلي قولى، خالد!

- أيوه خالد إالى قلب كيانى ومعبرنش ولا عايز يبص ناحيتى.

- تفكرى وجودك هنا ح يخليه يبص لكى ويعبرك زى ما بتقولى؟

- أقل حاجه أنى ممكن أشوفه.

- إزاي؟

- لو إشتغلت معاكم ممكن أشوفه فى المنطقة هنا أو أروح أراقبه عند بيته واسلم عليه قبل ما يطلع شفته وكفايه على كده.

- نصيحه يا ليلي بلاش حكاية الحب فى شغلنا وأكيد فى إسرائيل علموكى أن الحب ملوش مكان فى عملنا.

- أنا عارفه وباقولك على إالى بافكر فيه.

- شكرا ليلي وح نشوف إيه إالى ح يحصل فى الأيام الجاية، تفضللى على الإستراحة ولو فيه حاجه مضايقة منها عرفينى.

- الحقيقة كل حاجه متوفره والناس بتعاملنى بكل إحترام.

- دى طبيعة المصريين وإلا نسيتى؟

- لأمنسيتشى وده من أهم الأسباب إالى خلتنى عايزه أرجع بلدى بعد إكتشاف الحياة المزيفة إالى كنا فيها فى إسرائيل.

- مصر ترحب بأبنائها، تفضلنى على الإستراحة.

غادرت مكتب الضابط ولم أعرف إسمه أو رتبته وكانت فى إنتظارى سيدة رفيقة تدعى (نرجس) رحبت بى وسارت معى حتى الغرفة التى أقيم بها ودخلت معى الغرفة فشاهدت بعض ملابس نسائية فى إنتظارى، همست بأذنى بأن أحصل على حمام وأعتنى بمظهري لأن سيارة خاصة سوف تنقلك إلى القاهرة لزيارة أسرتك تقضين معهم عشرة أيام تعودين بعدها إلينا بسيارة سوف تأتى لتقلك إلى هذا المكتب.

كانت سعادتى عظيمة ولم أكن أتوقع كل هذا الترحيب وحُسن اللقاء والتعامل النبيل، لقد تبدل حالى من ركوب الجمال وفضاظة الصحراء إلى مصر الجميلة والمناطق الخضراء وهدوء حال الناس الراغبين بالضحك والغناء ولا يبالى الفقير بأنه فقير فلديه هدوء نفسى عظيم وهذا ما كنت أشاهده من حولنا قبل الفرار إلى إسرائيل بل كنت أشاهد هذا على أبى وأمى من حالة الهدوء وكما قالت أمى لى ذات ليلة بعد أن نصب خزين الطعام فى بيتنا لعدم استطاعة أبى العمل لمرض ألم به، حيث علقت أمى بعد أن سمعنا طرقا على باب الشقة وأقبلت الخالة تغيدة جارتنا تحمل لنا قطعة من اللحم الضأن وهى تضحك وتقبل أمى قائلة:

- من فضلة خيرك يا أم ليلى، إبنى عمل عقيقة عشان مراته خلفت ولد من أسبوع عقبالك يا ليلى لما تتجوزى وتخلفى وتعملى عقيقة.

ضحكت على حديثها بدهشة، عقيقة إيه يا خالة تفيده !! إحنا يهود معندناش حاجه زى كده، بينما أمى سعيدة وقالت كلمتها التى لا أنساها وهى شعار بين المصريين دائما ما يرافقهم فى حالة العسرة (ما فيش واحد فى مصر بينام من غير عشاء).

هكذا وصلت إلى الشارع ومن بدايته شعرت بأننى عُدت إلى الماضى الجميل ومازلت عند عهدى مع خالد رغم أننى حننت بهذا الوعد وأطلقت عليه الرصاصه الأخيرة، سوف أصبح مواطنة مصرية مخلصه فهذه بلدى وهذا هو الوطن الذى ولد به أبى وأمى وأجدادى وبالطبع أنا وشقيقتى سارة، طرقت باب المنزل وفتحت أمى الباب ونظرت لى فى دهشة متسائلة :

- عايزه مين يا عروسة؟

لم أجب على سؤالها وحضنتها بقوة وقبلتها وبكى على كتفها كانت تهدد على ظهري تطالبني بعدم البكاء حتى لا أصبح مثلها يوم أن فقدت ابنتها الكبرى ليليان منذ عشرة أعوام، مازلت باكية ولكن أمى أبتعدت قليلاً ونظرت إلى بقعة وهى تردد

- مش معقول تكونى ليليان، أجبث عليها بسرعة ومازالتموعى تنزف كشلال.

- أنا يا ماما .. أنا ليليان، صرخت وسقطت على الأرض وهى تردد (بركاتك يا أم موسى، كنت بادعى ربنا زى ما كنت بتدعى إن ابنك موسى يرجع لى) تحاملت أمى على نفسها وعاونتها حتى وقفت وأعادت النظر إلى وهى تردد :

- فعلا أنت ليليان ولو عيونى ضعفت لكن قلبى لسه سليم ومش ممكن قلب الأم
يكنب أبداً، إنحنيت تحاول حملى وأنا أضحك من تصرفها وأتسائل :

- ليه بتعملى كده؟ أجابت بفرحة:

- زى ما كنتى طفلة وبأشيلك، فى تلك اللحظة بكيت ثانية ولكنها قالت بحدة .. ده
مش وقت بكا .. ده وقت مبروك وسعيد برجوعك وإلا أنتى خافه أن الحكومة تبعث
حد يقبض عليكى، ضحكت ثانية وأخبرتها بأننى إنقيت بالحكومة ولم تقبض على
بل أوصلتنى إلى الشارع والمنزل، جاء أبى من داخل المنزل متسائلاً :

- ايه يا أم سارة عامله زينة فأجابت بسرعة :

- من النهارده إسمى أم ليليان .. إيتسم أبى حزيناً وهو يردد :

- ليليان، خلاص راحت وفضلت سارة، البنات الحلوة إللى واقفه معاكى فكرتنى بـ
ليليان؟

- لأ يا ابو ليليان، دى بنتنا ليليان، ضرب أبى كفاً ورفع يديه للسماء يناجى
ربه، بعد المدة دية إستجبت لدعائى يارب، بعث ليا بنتى الكبيرة بعد ما عمرى كبر
وعجزت ونظرى ضعف وبأشوف بصعوبة، الحمد لله على كل شىء، إندفعت نحو
أبى أقبله لكنه ترك التقبيل وإنحنى على يدى يقبلها ودموعه غسلت يدى من ذنوبى
فى حق بلدى وأبى وأمى، جلسنا ثلاثتنا وبعد قليل أقبلت شقيقتى الصغرى سارة
التي نضجت وكبرت تحمل إبنها الرقيقة وشاهدتنى وتعرفت على وإندفعت نحوى
تردد :

- أكيد أبله ليليان، نهضت وحصلت على حضن دافئ طويل وجلست بجوارى بعد أن أفسح لها أبى مكانا وقبلت طفلتها الرقيقة عدد من القبلات ولثمت خدها وفمها الصغير وجلسنا جلسة طويلة حتى أذن المغرب بالمسجد المجاور وقامت أمى لتعد لنا طعاماً نتناوله فنزعت ثياب الخروج وإستبدلتها بثياب المنزل وأثناء أن فحصت ما فى الحقيبة التى سلمتها لى السيدة نرجس بمكتب المخابرات الحربية شاهدت بعض ملابس وهدايا جميلة تخص أبى وأخرى لأمى والصغيرة ليليان التى أطلقت أختى سارة إسمى عليها تيمناً بى.

لم أستطع النوم فى تلك الليلة، كنت راغبة بأن أطل فى حالة من اليقظة، كنت أرغب بأن أستعويض لحظات جميلة عوضاً عن السنين العشرة الماضية وكان هناك سؤال حائر يدور بعقلى (لماذا ترك الوطن وترك الأهل، لم يترك نبي الله موسى هذا البلد إلا تحت ضغط فرعون مصر وكان راغبا بالبقاء على ضفاف النيل التى ألقت به أمه وليداً وحماه الله من الغرق ومن أنياب التماسيح وفيضان النهر الكاسح ورغم هذا كان راغبا بالبقاء ولم يهان ويلاقى العذاب إلا حينما هاجر وترك البلاد.

نبي الله موسى التى رعبته وربته فى قصرها آسيا زوجة الفرعون بينما بنى إسرائيل الآن يقتلون البشر من كل صنف ويحرقون الزرع ولا رحمة فى قلوبهم لقد شاهدت وعلمت الكثير، أردت ثانية الحمد لله أن عُدت لوطنى وأهلى، دخلت فى نوم عميق ولم أستيقظ إلا على أصوات ديوك الجيران، هذا الصوت الإلهى الذى يقوم به هذا الطائر لينبه الناس لقدوم يوم جديد للعمل والعبادة، أكرر الحمد لله.

نهار اليوم التالى علم الأحبة والأصدقاء بنبا عودتى وأقبلت صديقتى وكل واحدة تتسائل عن أخبارى الإجتماعية وكنت أتجاهل الأسئلة وحين يتطرق الكلام عن

الحب أهيم فى سقف الحجرة وأبتسم فتعلم صديقاتى بأن هناك قصة حب قوية لا أريد أن افصح عنها ومن المحتمل أنها السبب الرئيسى فى عودتى بعد تلك السنوات مع سهام الحب بينما نوهت إحداهن بكلمة فى هذا الموضوع فابتسمت وأكدت على حديثها وضحكنا جميعاً.

ظللت فترة الإجازة فى لقاء الأحباب وزيارة المعبد اليهودى القريب من منزلنا والذى يقع فى شارع شريف كما قمت بزيارة الأهرامات وسعدت بها ورددت بداخلى أن من قام ببناء تلك الأهرامات هم المصريون ولم يكن هناك ديانات مختلفة مثل الآن ولم يتبارى جنس على جنس أو عقيدة على عقيدة بإقامة هذا الصرح العظيم، كل يوم فى الصباح والمساء أتلو بعض صلوات بالحمد لله على أنه أفاقنى من غيوبتى لكن بعد عشرة أعوام قضيتها فى كابوس مزعج.

مفاجأة جريدة الأهرام

خالد :

أمضيت ثلاثة أيام بمكتب مخابرات الإسماعيلية تمتعت خلالها بحلو الحديث والتنزه بشوارع المدينة الهادئة رغم ما شاهدته من تحركات عسكرية في أعقاب تلك الحرب، أشاهد الكثير من الجنود وأفكر وأردد بداخلي لقد وقعت علينا جميعاً مسؤولية خطيرة لتحرير الوطن والحمد لله أنى عدت كى أشارك فى هذا العمل، كنت فى شوق لأسرتى ولكن قائد المكتب كان يرجونى بأن أظل بعض الأيام حتى يعد لى التترى الخاص بالجهاز بدلة عسكرية أنيقة كى أقابل بها زوجتى بعد تلك الفترة العسيرة.

فريال :

هذا يوم لن أنساه، فلقد بدأ حزناً وإنتهى بفرحة عظيمة، أثناء العمل بالجريدة وبالمكتب الخاص بالتحرير الذى أعمل به تحدثت زميلة لى تقص علينا أن جار لهم تغيب فى سيناء عن العودة وإعتبر مفقوداً ومنذ ثلاثة أيام أخبرهم زميلا له بأنه جارهم هذا حى يرزق وعاد من سيناء وكانت الفرحة عارمة لكن فى اليوم التالى حضر إليهم مندوب من إدارة التأمين والمعاشات للقوات المسلحة يفيدهم بأن الإبن الغائب لاقى ربه وتأكدت وفاته حيث كان يعالج فى المستشفى العسكرى بالقصاصين من حروق طالته لكنه إنتقل إلى جوار ربه ولهذا فيجب على الورثة زيارة الإدارة للحصول على جميع المستحقات.

قبل أن تنهى صديقتى حديثها شعرت بأن روحى تسحب من جسدى وشعرت ببرودة فى أطرافى وكدت أسقط من على الكرسي فأسرعن نحوى لإفاقتى وحضر أحد الأطباء المجاور لمبنى الجريدة وقام بإفاقتى وقرر أن أعود إلى منزلى والحصول على الراحة بسبب الصدمة العصبية التى لحقت بى، طلب منهم أن أظل بالمكتب لفترة ساعتين حتى يكتمل تنبهى ولا أسقط بالشارع، كانت الأنظار العاتبة متجهة للصديقة التى لم تراع ما سوف تقوله لكن هذا ما حدث، بعد الإفاقة كنت أفكر فى أونكل شوقى وطنط سميحة وأبى الذى لن يتحمل نتيجة الصدمة فقد يلحق بربه إذا حدث لخالد ما حدث لجار صديقتى.

خالد :

هذا يوم لن أنساه، حوالى الساعة الثامنة صباحاً أقبل أحد العاملين بالمكتب وسلمنى الزىء العسكرى الخاص بى تزينه علامة النسر اى رتبتي الحالية وكانت البلة العسكرية مناسبة لى وجديدة ولم تمس، إرتديت ملابسى وأعددت قيافتى وأقبل أحد الضباط لمرافقتى إلى القاهرة، كنت خلال الطريق أفكر كيف سيكون إستقبال اسرتى لى، قبل التحرك حاولت الإتصال بوالدى أو بمنزل أونكل حشمت وكما هى العادة لم يكن بأى منزل منهما حرارة بجهاز التليفون.

سارت السيارة حتى وصلنا للقاهرة وتوقفت أمام جريدة الأهرام وتسانلت لماذا توقفت هنا فأجاب المرافق كى تصطحب زوجتك معك ونقوم بتوصليكما إلى المنزل، إبتسمت لتلك المفاجأة، دخلت لمبنى الأهرام بمفردى وقام موظف الإستقبال بتحتيتى وطلبت منه أن يدلنى على مكان صالة التحرير للقاء السيدة فريال حشمت، طلب من زميله مرافقتى مررداً :

- خليك مع البيه لحد مكتب الأستاذه فريال حشمت، سمعته يردد بعد تركى المكان يحدث احداً بجواره (أكيد حضرة الطابط جاى يعرفها بأخر أخبار جوزها .. ربنا يرجعه بالسلامة) .

بالصالة الخارجية أشار لى الموظف إلى أحد المكاتب قائلاً :

- تفضل هنا، الأستاذة فريال بالمكتب ده، دخلت المكتب فشاهدت لفيف من السيدات يجلسن يتحدثن والبعض يعمل، توقفن عن العمل ونظرن نحوى وشعرت بأن السيدة التى تجلس وظهرها للباب هى زوجتى وبادرتنى إحدى السيدات بسؤال :

- أى خدمة يا حضرة الطابط؟

قبل أن أتحدث أدارت فريال رقبتها نحوى وشاهدتنى وقبل أن يطالها الإغماء صرخت وهى تردد :

- مش معقول .. خالد .. أنت خالد؟ بعدها وقعت رأسها على سطح المكتب وأسرت السيدات بمحاولة الإسعاف وأخرى إتصلت بالطبيب الذى أقبل مُسرعاً يتسائل عما حدث بأن تصاب بالإغماء مرتين فى يوم واحد، أشارت السيدات نحوى مما دفع الطبيب بضيق ليسأل ما الخبر البانس الذى أخبرتها به حتى تصاب بالإغماء لكن إحدى السيدات أخبرته بأن هذا خالد بك زوجها الذى كان مفقوداً بالحرب وجاء فجأة فحدث لها ما حدث.

ابتسم الطبيب وصافحني بينما أسرعت إحدى السيدات بإحضار كرسي خاص لي وطلبت مني الجلوس والراحة وقام الطبيب بعمله على إفاقة فريال ويردد بالقرب من أذنها بعض عبارات طيبة :

- حد يخاف ويغمى عليه لما جوزها الحبيب يرجع بالسلامة، كنت فاكرك ح تزغردى وتوزعى شربات، بدأت فريال فى التلملم وحركت رأسها متسائلة من حولها:

- إيه إالى حصل؟ وشاهدت الطبيب الذى أجاب على سؤالها :

- البيه رجع بالسلامة من الحرب، عملتى كده ليه، خاف وقال ح أرجع تانى! مما دفع السيدات بالمكتب للضحك، نهضت فريال وإتجهت نحوى وأمسكت بالبدلة العسكرية وهى تردد :

- إوعى تروح هنا وإلا هنا، خليك جنبى، كفايه الكام شهر إالى عدوا، مش برده أنت خالدا؟ ضحك الجميع وجلسنا نتسامر بعض الوقت بناء على نصيحة الطبيب الذى قدم نصيحة لى بأن الواجب على أن أمهد لهذا الحدث بإتصال تليفونى وكانت إجابتى بأننى حاولت هذا الصباح لكن خطوط التليفون بمنزلها ليس به حراره فشكرنى مؤيداً ما قلت وغادرنا الطبيب بعد أن صافحنى مهنئاً بسلامة الوصول.

استأذنت مديرة المكتب من رئيس التحرير للسماح للسيدة فريال بالمغادرة مبكراً لوصول زوجها العائد من الحرب مما دفع الرجل إلى القدوم للمكتب ومصافحتى مهنئاً بسلامة الوصول وتحدث مع فريال بأنها من باكر لها ثلاثة أيام أجازة للترحيب بالمحارب القادم من أتون المعركة.

هكذا غادرت المكتب بصحبة زوجتى التى كانت ممسكة بيدي لا تريد تركها مما أضحك الزميلات وطلبت فريال من إحداهن العمل على مكالمه والدها أو زبيدة بأن خالد وصل وسوف يقبل بعد قليل بصحبتى، هبطنا مكتب الأهرام وكانت السيارة مازالت فى إنتظارى وقام الضابط والسائق بمرافقتنا حتى باب العمارة وصافحنى الإثنان وقدم الضابط حقيبة صغيرة قائلاً :

- هدية الرجوع بالسلامة من إدارة الشؤون المعنوية.

رغبت بركوب المصعد لكن فريال رفضت وصممت أن نصعد السلم للدور الثالث حتى نتأكد من سلامتى وضحكت لهذا وإقتربت منى وأسرت بأننى بأنها تود تقبلى لولا حيائها لكنى أسرعت بالحصول على قبلة العودة بسرعة مما أضحكها وصلنا إلى شقة العائلة فشاهدت أبى الذى فتح ذراعيه يحتضن ابنه الوحيد وكانت القبلات ترافقها للدموع وأسرت أمى بإبعاد أبى عنى وبكت وقبلتنى فإنحنيت أقبل يديها وبعد الدخول للشقة وغلق الباب نهضت كى أقبل يد والذى وسرعان ما دخلت إلى حجرة نومى قبل الزواج وشاهدت ابنى الحبيب مصطفى، حملته باكيا وقبلته مما دفع بالطفل لأن يمسك بالبريه الخاص بى ويجذبه ويضع حافته على فمه مما دفعنا للضحك والسعادة.

فريال :

لم يدم اللقاء طويلاً، فقد طلب منا أونكل شوقى بأن نعود لشقتنا للقاء حشمت باشا والأيام قادمة، غادرنا الشقة وعدنا إلى منزلنا ومجرد أن شاهدتنا زبيدة حتى أطلقت وابلًا من الزغاريد المتتالية سرعان ما تحرك أبى بالكرسى وظهر بوسط الصالة

حاول النهوض لكن حالته لم تسمح فأسرع إليه خالد وإنحنى يقبل يديه بينما كان أبى يقبل رأسه ويردد كلمات وأدعية الشكر لله بعودته سالماً وأن يحفظه الله من كل سوء.

فريال :

لا أستطيع أن أتذكر كيف قضينا الأيام التالية، كدت أهمل مصطفى لإنشغالى بخالد وفى كثير من الأحيان كان خالد يطلب منى أن ينام الصغير بيننا، لقد كان فى شوق إلينا جميعاً لكنى وجدت أن إشتياقه لإبنة أكثر سخونة وحرارة من الجميع حصل الطفل على الكثير من القبلات وسمع خالد العديد من ضحكات الصغير التى كانت تغزو قلبه فتدمع عيناه، ما فتأ على أن يقبل يد الصغير بل كان يقبله أثناء نومه مما يزج مصطفى فيصحو من نومة باكياً، كانت أياماً سعيدة وكنت أتمنى من الله أن تدوم على الجميع وألا يفرق الله بين الأحباب وبنس الحروب وما يلحق الناس من أذى.

اليوم الثالث إتصل خالد بأونكل أحمد مظهر يشكره على الإهتمام بأخباره وشعر خالد بعد الإتصال بما يحمله أونكل مظهر من معانى إنسانية نحو المحاربين وتمنى للجيش المصرى الإنتصار وكان يتمنى لو العمر لم يتقدم به لعاد للخدمة العسكرية وإنضم لصفوف المقاتلين.

زمردة :

لقد تمتعت بالمعاملة الحسنة والعيش الهنىء وأصبحت (الضابط بسمه) أعز صديقة لى وكلما شاهدتها أو جلست بجوارها شعرت بسعادة غامرة بأن بنات مصر

بهذا الجمال والرقّة والنظافة وقلت فى بالى الزلّمة خالد له كل الحق أن يتزوج من فتاة مصرية غير زوجته الجميلة ليلى، بعد مُضى ثلاثة أيام من الضيافة الجميلة الممتعة والجلوس على شاطئ البحيرة وتناول مشروبات كثيرة ومتنوعة يحضرها لى شاب اسمر مهذب جاءت إلى بسمّة تتحدث معى:

- زمرده، بعد ساعتين حتوصل عريية ومعاكى واحد من الزملا من هنا وح يوصلك لبيت (مُهجة) ابنة عمّة الشيخ السواركى وجوزها الشيخ العسال، ح تفضلى معاهم كام يوم لحد ما نساعدك ونلاقى الزلّمة إللى بتدورى عليه.

- شكرا لك يا نسمّة .. والله أنت صبية مليحة وتفتحى نفس أى زلّمة ما وجعت عينه على حرمة زين ويتجدم لها، ربنا ينور طريقك، لكن أنتى لسه مجوزتيش لحد دلوجتى ليه؟

- أنا مجوزه من تمن سنين وعندى بنت صغيرة عمرها ست سنين وماما بتشرف عليها لحد ما أخلص شغلى هنا، بعد ما تروحي لبنت عمّة الشيخ السواركى انا ح أروح لبيتى فى القاهرة.

- حتبجى فرصه هايله أننا نتجابل وتساعدينى وتعرفينى إزاي أوجع الزلّمة لحد خياشيمه ما تبجى نافضه ومحصله الأرض.

- حاضر يا زمرده، روى حالا على أوضتك وجهزى نفسك لمشوار مدته ساعة ونص وتكونى عند الشيخ العسال.

النقيب بسمه :

غادرت زمردة المكان متجهة لحجرتها بعدها أشرت إلى (فواز) أحد العاملين معى فحضر مسرعا حيث كان قريبا من مكان جلوسنا للمراقبة والمساعدة والتذكرة وسألته عن بعض الأسئلة وأجاب عليها وأن جميع الإجراءات قد تمت، فقد تم الإتصال بالشيخ العسال وتحديد موعد لوصول زمردة لبيته بمنطقة نزلة السمان نهاية شارع الهرم وأيضاً السائق التابع لمكتب المخابرات حضر بسيارة أجرة لمرافقتى مع زمردة لنزلة السمان، شكرته وأخبرته بأن يظل فى إنتظار زمردة حتى تفرغ مما تقوم به وتغادر حجرتها وتستقل السيارة على أن أكون فى وداعها.

قمت بوداع زمردة وبرفقتها فواز الذى كان يعلم كل ما يجب أن يقوم به سواء أثناء الطريق أو بعد الوصول لبيت الشيخ العسال وهو أحد رجال المجموعة النشطاء وهمزة الوصل مع الكثير من عملاء المكتب بمنطقة سيناء قبل نشوب الحرب والمكلف من المكتب بأن يعمل على تهئية زمردة لأن تصبح أحد العملاء المهمين بسيناء وتقوم بمساعدة رجال الإستطلاع المصريين الذين يعملون خلف الخطوط الإسرائيلية للعمل على مراقبة كل تحركات الجيش الإسرائيلى ومساعدة القيادة العسكرية المصرية فى الحصول على معلومات حديثة أولاً بأول.

أنهيت مهمتى وبالتالي سوف أقوم بمغادرة المكتب والعودة للمجموعة التى أعمل بها بالقاهرة، قمت بوداع القائد والكثير من العاملين الذين قدموا مساعدتهم لى خلال العشرة الأيام الماضية وساعدونا للقاء وإستقبال زمردة وأيضاً أثناء تواجدها مع إزالة أى شائبة من حياتها الشاقة خلال الفترة الماضية وإشعارها بالأهمية وأن جميع العاملين بمكتب الإسماعيلية مستعدون لأن يقدموا لها الكثير من الخدمات

خلال فترة وجودها بالقاهرة وأيضاً بعد عودتها وسوف تكون هناك مفاجأة هامة في استقبالها بمكتب مخابرات الجيش الثانى بالإسماعيلية بعد قضاء فترة إجازة بيت الشيخ العسال بنزلة السمان بالجيزة.

زمردة :

غادرت مكان الضيافة الجميل والتي قضيت به عدة أيام ممتعة كانت بمثابة الحلم الجميل الذى كان يلاطف خيالى خلال نومي بعد تعارفى بالزلمة خالد وخلال تلك الفترة وقبل إصابته كنت أعيش فى خيال رائع وكنت أتمنى أن ينتهى بالزواج لكن الزلمة كان يخشى زوجته ليلى، جميع لمحات الحب خصصتها لخالد فقد كانت حالة الحب تلك هى الأولى ولم يسبق لى أن شعرت بمثل هذا الشعور من قبل، بل وخلال رعى الأغنام كنت ألاحظ أن أحد نكـور الغنم (الكبش) يتقرب من إحدى الإناث التى لم تلد من قبل.

كنت أشعر بسعادة وهما يتقاربان ويتجاذبان الإشارات بل كانت سعادتى تزداد حينما كان الكبش يتجول ليحصل على بعض العشب الناعم من نوع خاص كانت تسعد الأغنام أثناء تناوله لسهولة هضمة وحلاوة طعمه، لقد كان الكبش يحاول أن يقدم بعضاً من مشاعره نحو تلك الأنثى الشابة الجاهلة العزباء التى لم تتزوج أو تلد بعد، كنت أشعر بأننى تلك النعجة الصبية الصغيرة والتي أحببت كبشاً لكنه يتجاهل مشاعرها ولا يهديها بعضاً من مشاعره مثل ما يقوم الكبش بإهداء نعجته المفضلة بعض العشب الطازج ذا الطعم المفضل لها.

استقبلتني السيدة (مَهْجَة) ابنة عمه الشيخ سلمان السواركي وبرفقتها الشيخ
العسال وثلاثة من أطفالهما، كان الإستقبال رائعاً شعرت خلاله بأنني عدت إلى
أحضان عمتي زينة وابنتها بالقبيلة مع إختلاف المكان وتلك الدور الجميلة والحدائق
من حولها وبها إضاءة مثل دار الإسماعيلية وصنابير المياه النابعة من الحائط تحمل
المياه العذبة الرائعة وأيضاً بجوارها صنبور آخر به ماء ساخن، لقد كانت حياتهما
مريحة جميلة.

كلما شاهدت تلك الأشياء البعيدة عن خيالي وعن حياتي السابقة كلما عادت بي
الذاكرة لخالد هذا الشاب الهادئ الوديع وأتذكر أنه يعيش هنا بالقاهرة مع زوجتيه
الأولى أم ابنه والثانية ليلي وتلك الحياة الطيبة، ألا يوفقني الله في أن يرتبط بي
ويجعلني بجواره أحيا في تلك الحياة السهلة الممتعة، سوف أسعد خالد أيما سعادة
مثل تلك النعجة التي قبلت إشارات الغزل من هذا الكبش الذي مال قلبه نحوها وتعلم
أن لديه الكثير من النعاج.

فريال :

مضى على عودة خالد ثلاثة أيام، ومن شدة سعادتي وفرحتي بعودته كنت أشعر
في بعض الأحوال بأن ما أشعر به وما أشاهده ما هو إلا حلم جميل شاهدته قبل هذا
مرات عدة بعد أن علمنا بنبا إستشهادة فكانت تلاطف مشاعري أثناء النوم تلك
الرؤى وكنت أستيقظ بعد مشاهدتها والإبتسامة الجميلة على وجهي وأرفع يدي
تضرعاً لله بأن تصبح تلك الرؤى حقيقة لا خيال أو أحلام، كنت أنظر إلى خالد
خلال نومه وأشعر بأنني مازلت في حلم، حتى بعد تعدد لقائتنا كزوج وزوجة كانت
تهاجمني تلك المشاعر.

خالد :

مضى من الإجازة التى حصلت عليها نصفها ولم يتبق سوى أيام قليلة أعود بعدها إلى عملى الجديد نائباً لرئيس مكتب المخابرات الحربية بالإسماعيلية التابع للجيش الثانى، كنت تواقاً للعودة للعمل، فضابط الجيش دائماً ما يشعر بالحنين للمعسكر والقوات والضباط والجنود، تلك هى حياته ورغم أن مكتب مخابرات الإسماعيلية قليل العدد من الضباط وضباط الصف والجنود إلا أنني أعلم أن له العديد من العملاء المصريين بسيناء يجيئونها للحصول على المعلومات المكلفين بها من إدارة المكتب.

خلال فترة الأجازة والتى كنت أمضى فترة الصباح بها مناصفة بين والدائ وبين حشمت باشا السرجاني والد فريال أما فترة المساء فكانت مع عائلتي الصغيرة فريال وطفلتنا الجميل مصطفى، كانت سعادتي لا توصف ورغم هذا كانت ذكريات الماضى القريب تعاودنى من حين لآخر وما حدث لى منذ وصولنا إلى الحدود الدولية مع العدو الإسرائيلى حتى عودتى منذ أيام قليلة.

كنت أجلس وأستعيد حالتى وأنا مكبل اليدين بالأصفاد الحديدية (الكلابشات) وحارسى الشخصى تلك السيدة الجميلة، كنت فى دهشة من شجاعتها بأن تنصرف معى مثل هذا التصرف وفى نفس الوقت أصابنى نوع من السكينة والخمول، لم أكن أتخيل أن سيدة مثل لىلى تستطيع أن تتحكم فى شاب مصيرى بمثل تلك الدرجة وقد شعرت بنوع من العجز لو حاولت مقاومتها لأن تأثير الإصابة أثناء حرب اليمن جعل مقدرتى على إستخدام يدى اليمنى صعب وحينما كنت أقسو على تلك اليد أشعر بالآلام شديدة.

أما الذى كان يضحكنى هى تصرفات تلك الفتاة الصغيرة التى وقعت فى حبى
والتي لم تجرب الحب ولم تجد من تبادلها حبا بحب سوى بعد حبها للماعز
والخراف، آه عليك يا زمردة، مازلت صغيرة على تلك المشاعر، وأعتقد بعد مضى
خمس أعوام سوف تصبح مشاعرها حقيقية وينضج جسدها وتصبح فتاة يانعة
وزوجة صالحة تلتقى بالشاب الذى يستحقها ويستحق قلبها ومشاعرها المخلصة.

إنتهت الإجازة وأنا فى طريقى لمكتب مخابرات الإسماعيلية لنقل منصبى
الجديد نائباً لمدير المكتب، هو عمل جديد بالنسبة لى لكن لى دراية سابقة به رغم
عدم تحملى مسؤولية كاملة نظرا لإشتراك المخابرات الحربية والإستطلاع فى إدارة
سلاح واحد، حينما دخلت بى السيارة مدينة الإسماعيلية الجميلة والهدوء الواضح
على حركة الناس مع وجود بعض مظاهر للتحركات العسكرية والتي لم تقلل من
رونق المدينة وجمالها.

واصلت السيارة تحركها حتى وصلنا إلى مكتب مخابرات الإسماعيلية وغادرت
السيارة وأسرع نحوى أحد الرجال بملابسه المدنية متسائلاً عن طلبى منهم، وأعتقد
أن السبب فى هذا السؤال هو إرتدائى للملابس المدنية بناء على نصيحة قائد المكتب
قبل حصولى على الإجازة وأيضاً لأننى لم يسبق لى العمل بهذا المكتب من قبل
أسرع سائق السيارة والذى كان يرتدى الملابس المدنية ويقود سيارة ملاكى تحمل
أرقام مرور الإسماعيلية بإخبار من يتسائل قائلاً :

- ده سيادة الرائد خالد يا شاويش عبدالعزيز، ابتسم الرجل وأدى التحية العسكرية
مرحبا بقدمى مع بعض كلمات ترحيب بشخصى وأفسح الطريق لدخول السيارة
لبهو المكتب الفسيح الذى تتخلله حديقة صغيرة.

بعد أن غادرت السيارة سار برفقتي أحد ضباط الصف بملابسه المدنية وتلك هي مهمته أى مرافقة الزائرين إلى المكتب وظل يجوارى مرحباً حتى وصلنا لمكتب القائد ودق الباب الموصد ثم قام بفتحه مشيراً لى بالدخول وحينما شاهدنى المقدم ممدوح قائد المكتب حتى أسرع بالنهوض مصافحاً وأشار لى بالجلوس على الإنترية الملحق بالمكتب واستدعى الساعى الذى حضر وسألنى عما أريه من شراب وبالفعل طلبت فنجان قهوة مضبوط .

طال الحديث مع المقدم ممدوح والذى كان يتركز حول الأوضاع الحالية وطبيعة عملى والمساعدين الذين سوف يعملون معى بالإضافة إلى تولى قيادة المكتب خلال تغيبه كقائد لظروف الإجازة أو المؤتمرات التى يحضرها بإدارة المخابرات الحربية والاستطلاع.

أبرز لى المهام التى سوف أكون مكلفاً بها وهو التركيز على عملاء المكتب بمنطقة المحور الأوسط بسيناء وأيضاً مراقبة ومتابعة تدريب العملاء الجدد المطلوب تواجدهم بالمنطقة المذكورة لتقديم الدعم الكامل لرجال الاستطلاع خلف الجيش الإسرائيلى وتزويدهم بالمعلومات الإضافية التى نجحوا فى الحصول عليها.

مقر المكتب بنفس مكان العمل أما الإستراحة فكانت موجودة بنادى الضباط بفايد هناك بالقرب من النادى يوجد عدد من المباني التابعة للجيش سوف يتم تدريب العملاء الجدد بها وهى مقسمة إلى بنائيتين أحدهما للرجال والأخرى للإناث ومن الواجب على متابعة القسمين ولن يتم التعارف بينهما لدواعى الأمن وأيضاً لعدم حدوث تضارب فى المعلومات وتشعب مصادر المعلومة الواحدة مما يعجل بكشف مصدرها.

سارت الأمور على ما يرام ومضت أكثر من ثلاثة أسابيع وشاهدت العديد من أبناء سيناء سواء رجال أو نساء وفتيات وكيف يتم تلقينهم الدروس سواء النظرية أو العملية بالتدريب على كيفية مراقبة العدو والحصول على المعلومات والأسلوب الأمثل للإحتفاظ بالعلومات دون أن يضع الشخص نفسه فى دائرة الشك مع قوات الإحتلال ومن هو المندوب الذى سوف يتسلم منه المعلومة ومن هم الأشخاص المكلفين بالحماية ومعاونة عناصر الإستطلاع خلف خطوط العدو وكيفية تقديم المساعدة لهم أما النواحي الإدارية فهناك قسم يتولى هذا ومن بينها المكافآت الشهرية التى سوف تدفع نقدا لهؤلاء الرجال والنساء.

لقاء غير متوقع

زمرده :

بعد مضي عشرة أيام على ضيافتي في بيت الشيخ العسال وزوجته التي كانت تتعامل معي بأسلوب رائع شعرت خلاله بالحب والعطف التي حرمت منه منذ وفاة والدائي، بعد قليل أقبل الشيخ العسال وأخبرني بأنه سوف يقوم بإصطحابي للقاء النقيبة بسمه التي إلتقيت بها وإستقبلتني قبل أسبوعين منذ وصولي لأرض مصر.

كانت سعادتي كبيرة للقاء تلك السيدة الجميلة وشعرت بالتقارب نحوها سواء لشعوري بأنها تقاربني في العمر رغم أن هذا الإستنتاج تبين لي أنه إستنتاج خاطيء، ولحمائنة خلقها كما وعدتني بالعمل على لقائي بالزلمة خالد وسوف تبحث عن المدرسة التي يعمل بها.

رافقتي الشيخ العسال إلى المكان المثل على شاطئ البحيرة القريب من قناة السويس ودخل إلى المبنى وشاهدت بعض الرجال العاملين به وتبين لي أنهم يعرفونه بل وأصدقاء له، أسعدني هذا وبعد قليل أقبلت بسمه ورحبت بي وكان لقائي بها عاطفيا وظهرت الدموع بعيونى فهددت على كتفى وأقبلت سيارة وركبت معها وطلبت من السائق أن يتوجه لمكتب الإسماعيلية.

بعد نصف ساعة كنا في مبنى جميل بمدينة الإسماعيلية وشاهدت بعض الرجال يرحبون بصديقتي بسمه التي تسائلت عن المكان الذي يتواجد به نائب القائد أخبرها أحدهم بأنه موجود في المكتب وسوف يتحرك بعد نصف ساعة متوجها إلى مبنى التدريب بمدينة فايد، شكرتهم بسمه وسرت برفقتها حتى باب مغلق وطلبت من

الرجل البدين الذى يقف بجوار الباب بأن يستأذن سيادة الرائد فى دخول فرد جديد
إنضم إلى مجموعة تدريب فايد، نظرت بسمة ناحيتى موجهة حديثها بأنها سوف
تتوجه للمكتب الإدارى لإتمام بعض الإجراءات وبعد لقائك بسيادة الرائد سوف
أعود لمرافقتك إلى مكان عملى والذى أتواجد به.

ودعتنى بسمة بينما دق الرجل البدين على الباب يطلب الإنذن بدخول فرد جديد
إنضم على القوة فسمعت صوت من بالداخل بالسماح بالدخول، دخلت المكتب
الجميل وشاهدت شابا يقف ينظر نحو مياه البحيره وظهره مواجه لى وحينما أغلق
الحارس الباب تسائل هذا الشخص الذى لم أشاهد وجهه قائلاً :

- عرفنى بنفسك .. تتحننت وتلعثمت ثم أسرعت بالكلام :

- زمرده صالح ... شاهدت الرجل يلتفت مسرعا ونظر إلىّ، لم أتمالك نفسى وكدت
أسقط أرضا فأسرع نحوى يعمل على إفاقتى مردداً :

- يخرب عقلك، ورايا ورايا، يا دوب هربت منك ألقاى هنا فى المكتب، كنت أسمع
صوته وأشم رائحته وأكاد أجن بأن أجده هكذا، دفعتنى مشاعرى نحوه لأن أتشبث
به ومازلت مغمضة العينان وشعرت بأنه فى حالة من الارتباك سرعان ما سمعت
صوته عاليا ينادى على الرجل البدين خارج المكتب الذى أقبل مسرعا وتسائل:

من أحضر تلك الفتاة فأخبره بأن النقيب بسمة هى من أحضرتها، طلب منه
المساعدة لإفاقتى ووضعى على الكرسي بوضع مريح، تعاون الإثنين حتى جلست
نظرت إلى الزلمة خالد غير مصدقة عيونى الخادعة، بعد قليل شاهدت النقيب بسمة
قادمة فى حالة من الإضطراب تتسائل :

- خير يا فندم؟

- مين جاب البنّت دى هنا؟

- دى أوامر سيادة المقدم ممدوح، وافق على ضمها للمجموعة الجديدة بتوصية من الشيخ العسال والشيخ سلمان السواركى، والعرف جرى بأن كل وافد جديد تتم الموافقة عليه وأنضمّامه لابد أن تلقاه لأنك المسئول عن تدريبهم والإشراف عليهم شاهديتها تنظر نحوى وتسانلت :

- عملتى إيه يا زمردة؟ إيه إالى زعل سيادة الرائد منك؟

- معملتش حاجه، ده الزلّمة إالى كنت بأدور عليه!!

بِسْمَةِ :

أقبل المقدم ممدوح ضاحكاً ونظر إلى باسمًا وعلق على هذا الموقف قائلاً للرائد خالد :

- كنت أعلم كل شىء عن مطاردة زمردة فى سيناء وقصة الحب من طرف واحد ورغبت بأن تتم تلك المفاجأة المفرحة لزمردة والمزعة لك ونظر نحو زمردة قائلاً :

- من اليوم حتكونى تبع سيادة الرائد وبلاش الحب وغيره، خليكى فى التدريب والشغل.

صمتت زمردة وبدى عليها الحزن وإصطحبتها لخارج المكتب وطلبت منها الابتعاد عن الرائد خالد وألا يشاهدهك إلا حينما يتوجه لمكان التدريب مع زميلاتك من بدويات سيناء، ورغم هذا كنت أعطف على زمردة وأحنو على بعض تصرفاتها، فلا يجب على قطع هذا الخيط الرفيع الهلامى بينها وبين الرائد خالد كي لا تصدم وهذا التصرف كان له تأثير إيجابى عليها.

بعد عدة لقاءات شعرت بأنها تشاهد الرائد خالد وأن فكرة زواجها منه لا يجب أن تفكر فيها بعد أن عرفت شخصيته وأصبح رئيساً لها، خامرنى إعتقاد بأن العطف والحب بينها وبين من حولها من بدويات سيناء والمدربين قد ملأ فراغاً كبيراً للجفاف العاطفى التى عاشته بعد فقدان والديها.

سارت الأمور على ما يرام وتبين لى أن الرجال والسيدات المكلفين بإعداد وتدريب كوادى العمل بسيناء يبنلون الكثير من المجهود الشاق كى يصبح هؤلاء المتدربين على مستوى المسؤولية ويقدمون الفائدة المرجوة منهم لصالح المخابرات الحربية المصرية، أثناء التدريب كنت أرافق الرائد خالد أثناء تفقده لمراحل تدريب نساء البدو وكانت زمردة على مستوى المسؤولية وتتلقى تدريبها مع مجموعة غير المجموعة التى كانت تتدرب بها لىلى

خالد :

بحكم مسؤوليتى ونظام التدريب والإشراف والقيادة المتبع كنت من حين لآخر ألتقى بفرد أو إثنان من المتدربين بمفردهم أو بحضور المدرب، وكان هذا اللقاء يسعد زمردة كثيراً رغم إلزامها بمعايير الانضباط التى سارت عليه مع باقى نساء

سيناء الملتزمات بالقانون والحرفية فى التدريب، كنت الاحظ مدى جدية بنات وسيدات سيناء سواء بحكم الطبيعة التى سوف يعملن بها وقد إعتدن عليها أو لأنهن يبعغن طرد المحتل من موطنهن والتمتع بالحرية فى ظلال الوطن الأم مصر.

أما عن لىلى فقد تحدثت معى كثيراً وحاولت بأسلوبها الناعم البعيد عن العنف التى كانت تتبعه فى سيناء أن تميل مشاعرى نحوها وكنت أستمع لها منصتاً دون رد وفى نهاية حديثها أشكرها على الوقت الطيب التى قطعناه فى الحديث فى تلك الفترة وإستعادة بعض لمحات مضيئة من الماضى أثناء إعتقالها لى بسيناء مما كان يدفعها للسعادة وفى نفس الوقت القلق كى لا أثير أى مشاكل خلال تلك الفترة رغم أن القيادة بمصر أعفتها من عقوبة تلك الأفعال.

لقد أصبحت لىلى مسؤلة عن جزء كبير من توجيه وتدريب بنات وسيدات البدو فى كيفية التعامل مع قوات المحتل وفتحت أمامهم أفاق جديدة بالأساليب التى تتبناها الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية فى الحصول على المعلومات، مضت ستة أشهر وخلال تلك الفترة تبدلت المتدربات كثيراً وكل واحدة شعرت بأنها لم تعد كما كانت وبالطبع ظهر هذا واضحاً على زمردة من حيث الرصانة والهدوء والتفكير وعدم الإنففاع فى تنفيذ أفكارها.

بدأ رجال السواركى فى تنفيذ خطة القيادة لإعادة الأفراد من الجنسين إلى سيناء وتوزيعهم بمناطقهم الجغرافية التى كانوا يعيشون بها وبالطبع كنت فى وداع كل فوج وكنت أخشى وداع زمردة لكنها تماسكت وكانت بسمه بجوارها تشد من أزرها ورغم هذا صافحتنى باكية وأسرت تلحق بزميلاتها، شاهدت نظرة الحزن والأسى

على وجه بسمه وعندما إستوقفتها وطلبت منها بكل جرأة وشجاعة أن تعبر عما
يعتمل بداخلها نحو هذا المشهد إندفعت الدموع من عينيها قائلة :

- حتى الفقير ملوش نصيب فى الحب، لو كانت زمردة مرتاحة إقتصاديا أو حصلت
على قسط من التعليم ما كانت تلك نهاية حبها الذى أثر عليها، وخلال التدريب كنت
ألاحظ إنتباهها حين وصول أى سيارة من سيارات القادة كى تشاهد من القادم.

كانت تشعر بخيبة أمل عندما لا تجنك، وحين وصولك وعلمها بهذا كنت أشعر
بأن أمامى طفلة صغيرة عثرت على شىء ثمين ذو قيمة لديها، سيادة الرائد إنها
أمراض القلب التى تصيب حواء ولا تستطيع المجاهرة بها لحياتها ولخشيتها من
المجتمع بعكس الرجل، إعزرنى وأستاذن فى الإنصراف.

تركتنى النقيبة بسمه فى حالة نفسية سيئة وشعرت بأننى المتسبب الرئيسى فيما
أصاب زمردة من حزن وضيق، بداخلى تمنيت ألا تسافر الآن وأن تظل معنا عدة
أيام حتى اقلل من تأثير مرض القلب التى تحدثت عنه النقيب بسمه، تنبعت على
صوت مفاجئ وحين نظرت شاهدت النقيب بسمه سعيدة وبجوارها زمردة، طلنت
الفرحة والسعادة على وجهى وإسرعت نحو زمردة مصافحاً وكانت مشاعرى
تخطئ التصرف بأن أحتويها بين ذراعى لكنى تنبعت.

علمت السبب فى العودة، لقد علم رجالنا بسيئاء بأن الإسرائيليين وضعوا داورية
بالقرب من شاطئء البحيرة الشرقى ولهذا تم تأجيل عملية العودة لسيئاء، تركتنى
زمردة والنقيب بسمه التى نظرت فى عيونى وإبتسمت وعلمت ان حواء قد
إستطاعت أن تتوغل بداخلى لتصل إلى نبضات القلب وعلمت ما كنت أكنه نحو تلك

الفتاة الصغيرة، عدت إلى المكتب والتقيت بالمقدم ممدوح وطلبت منه الموافقة على إستضافة زمردة يومين بمنزلى مع زوجتى وطفلى.

ضحك القائد وداعبنى بقوله بأن ما أخبرته به النقيب بسمه كان صحيحا، أومات براسى وأننى أبغى بأن تغادرنا زمردة وهى تحمل لى كل محبة وتقدير وأننى لم أقصد تجاهلها أو إغضاها لكنى إنسان مرتبط وليس من العدل ترك حياتى المستقرة لأول إشارة أتلقاها من أى فتاة تلقى بشباك الحب نحوى، فأنا لدى رأى وقرار ولا أرب فى تفتيت استقرارى العائلى الذى أحياء.

وافقتى المقدم ممدوح على أن ترافقها النقيب بسمه فى بداية الزيارة وفى نهايتها، أخبرت زوجتى بمختصر الموضوع وأن تلك الفتاة من ضمن من قامت بعلاجى بعد إصابتى وتعلقت بى ولم تصدق قولى لها بأننى متزوج ولدى طفل ولهذا فأنا أرب بأن نحتفل بها يومين وهذا بعد موافقة الإدارة وتستطيعى بأسلوبك أن تدخلى السعادة التى حرمت منها فى بداية عمرها إلى قلبها الصغير، ضحكت زوجتى وأخبرتني بموافقتها على إستضافة زمردة وأى فتاة تعلقت بها أو تعلقت بك وضحكت لهذا التعبير.

هكذا أصبحت زمردة تحيا وتعيش بمنزلى وتعرفت على زوجتى وحملت ابنى مصطفى تضاحكه بسعادة بالغة، وما أخبرت به زوجتى عن قصة حب زمردة من طرف واحد له تأثير إيجابى فى تعاملها مع زمردة، لهذا ضحكت ترثى لحال الفتاة معلقة بأن بعض البنات فى بداية سن المراهقة يتوهمن أشياء غير حقيقية وبالطبع فهى لم تشاهد فى الصحراء فارسا سواك وبالتالي أصبحت محور إهتمامها.

اليوم التالى سمعت زمردة تتحدث مع زوجتى فى الفراندة البحرية وكانتا بمفردهن وكان حديث زمردة يجرى فى سياق الحياة الإجتماعية بين الرجل والمرأة فى مصر، بعد صمت تحدثت زمردة موضحة بأن (تيس الماعز أى الذكر) له أربع إناث من الماعز ومن المحتمل أكثر، لماذا الرجل يكتفى بعنزة واحدة (زوجة) ومن الواجب عليه أن يزيد عدد العنزات (الزوجات) حتى يصبح مثل تيس الصحراء فى البادية.

سمعت ضحكات زوجتى الوقورة وإرتفعت وتيرتها وأتبعتها بالتصفيق بيدها وهى تعيد بعض كلمات زمردة عن الحديث عن التيس والعنزة وحينما إقتربت من الفراندة باسمها لما حدث أشارت زوجتى نحوى تحدثت زمردة بقولها لقد أقبل التيس وإخبريه عن زيادة عدد العنزات التى يجب أن تصبح على زمته، لم تخجل زمردة نظرا لطيبة قلبها وحديثها البريء وأشارت نحوى تحدثت زوجتى بأن الزلزمة يعلم كل هذا وكان يشاهد التيس مع عنزاته والكبش مع نعاجه.

إنتهت الفترة المحددة لضيافة زمردة وأقبلت سيارة المكتب لنقلها إلى مكان التدريب بمنطقة فايد إستعداداً لعودتها إلى قبيلتها، كانت النقيب بسمه ترافقها أثناء رحلة العودة وأشادت بما طرأ على ملامح زمردة من معانى الراحة النفسية مما دفع الفتاة للضحك وقبلت زوجتى وصغيرى مصطفى وصافحتنى مودعة ومازالت تنظر نحو زوجتى منبهه ومحذره بقولها :

- فريال، متخليش التيس يبعد عنك لأن ممكن عنزه تانيه تخطفه .. ضحكنا جميعاً وشعرت بأن زوجتى بعد مغادرة زمردة وبسمه ترغب بالتجديد فى نوعية الطعام وذلك بالإعتماد على العشب والحبوب ومن المحتمل التبني والبرسيم.

ودعنا زمردة ووصلت إلى قبيلتها وبعد عدة أسابيع بدأت المعلومات الواردة منها تصل إلى المكتب وكانت سعادتنا كبيرة وعلمت ممن يلتقون بها في سيناء ويحملون المعلومات إلينا بأن زمردة عادت إلى عمتها وتسلمت قطيع الأغنام التي قامت إدارة المخابرات الحربية بدفع ثمنه بالكامل لأصحابه وبالتالي أصبحت زمردة ترعى أغنامها هي ولا ترعى أغنام الآخرين نظير مبلغ ضئيل من المال وبذلك الطريقة أصبحت تعتمد في الإنفاق على معيشتها من عائد رعاية الأغنام أو رعاية التيوس والماعز من حولها.

التقيت بليلى فيكتور عدة مرات خلال الشهور الثلاثة الفائتة، تبدلت ليلى كثيراً حينما إقتربت منها وسألته عما ألاحظه من زيادة فتنتها وجمالها إبتسمت وصبغت بشرتها حمرة الخجل ودهشت لهذا ثم صرحت لي بأنها تعيش حياة هادئة ساكنة تشاهد والديها عدة أيام كل شهر خلال الإجازة التي تحصل عليها من مكتب الإسماعيلية وهذا القسم خاضع لقيادة زميل لي ولا يتبعنى.

تبين لي من ملاحظة كل من زمردة وليلى التغيير الذى حدث في حياة كل واحدة منهن وأنه تغير للأفضل سواء زمردة التي شعرت بحب من يتدربون معها أو بمشاهدة زوجتى وطفلى وتأكدتها بأن حياتى تلك هي الأفضل لي وأن عنزة واحدة للئيس أفضل من العديد من العنزات، أما ليلى فقد فارقتها شعور خفى بالألم وتآنيب الضمير لترك والديها في سن متقدم دون رعاية وهي التي إبتعدت عن حياتها الماضية التي ألفتها.

فوز عصا الفرعون

الرائد خالد :

ظللت لعدة أشهر أعمل فى المكاتب المتفرقة التابعة للمخابرات الحربية بقطاع الجيش الثانى وحدث تقدم كبير فى الحصول على المعلومات عن العدو وتحركاته وتدريباته المختلفة لجميع أنواع الأسلحة كما قامت زمردة بالعناية بالضباط الأصاغر الذين يعملون خلف القوات الإسرائيلية للحصول على المعلومات الهامة للوطن، كانت زمردة على مستوى عال من الجودة فى العمل.

طراً تغير واضح على زمردة بعد إنتهاء حرب الإستنزاف، فقد إقتربت من أحد الضباط الأصاغر الذى يعمل خلف الخطوط الإسرائيلية ومال قلبها المحب نحوه وأيضا إندفع الضابط نحوها بتشجيع منها ولحرماته من الحياة الطبيعية التى يجب أن يحياها نظراً لصعوبة عودته بعد الإنتهاء من مهامه فقد قام الجيش الإسرائيلى بحصار المنطقة التى تعمل بها زمردة لشعوره بأن تلك المنطقة خرجت منها معلومات هامة وصلت للجيش المصرى.

ظل الضابط لأكثر من ستة أشهر يقوم برعى الغنم مع زمردة كى لا يشتبه به الإسرائيلون وأخيراً إستسلم لحب زمردة وفاز قلبها على التعليمات والأوامر وإرتبط بها فى حفل قبلى رائع وهكذا إرتبط التيس بالعنزة وسوف ينبجان ماعز وتيوس وجديان كثيرة ومازال الإثنان يوديان واجبهما الوطنى ودفع هذا النبأ المقدم ممدوح بأن أقبل سعيداً فرحاً مهنناً لى قاتلاً :

- خلاص يا خالد، الظابط سعد الفيومي خلصك من حب زمردة واللى كانت بتطارذك زى المجرمين وعملت كل حيل بنات حواء عشان توصل لك، أما الحب التانى حب ليلى إالى وضعت الكلابشات فى إيدك لسه فى مكانه وعامل زى الميه المخفية تحت التبن، والله كنت بأضحك وأنا بأكلم قائد المجموعة على إالى حصلك وعلى حب الستات والبنات لك.

غادرني ممدوح بعد أن قلب فى تكريات الماضى القريب ومضى أكثر من عامين ونصف منذ عودتي من سيناء، الحمد لله كنت دائماً أشكر الله على نعمته أن حماي من الإنجراف وراء الرغبات الشديدة التى يصعب التخلص منها لأنها قادمة من حواء وما يمثله من صعوبة مقاومته.

فريال :

من أسعد اللحظات التى كنت أقضيها بمنزلى هى مشاهدة أبى الحنون الذى كان صامتاً يستعيد أيام الشباب وأيام العمل بالقصر الملكى ولا يشاهد غير أمى وأنا وجمالة الملك فاروق وجمالة الملكة فريدة والأميرات الثلاث والبرنيسات وبالطبع رؤساء الوزراء المتتاليين وبعض ملوك ورؤساء الدول الأجنبية، كانت حياتنا راقية جداً وكانت مناسبة ومتماشية مع أبى بوجهه الأبيض المخضب بالإحمرار وبترفعه على الصغار وإجادته للغتين الإنجليزية والفرنسية إلى جانب ضلوعه فى اللغة العربية والنحو.

أتذكر بعض أيام كان والدى يصطحبني مع أمى لحضور حفل غنائى لكوكب الشرق السيدة أم كلثوم بحديقة الأزبكية بوسط القاهرة أو بدار سينما ريفولى وكنت

أشاهد بعض الفنانين والفنانات والمطربين أيضاً، بل أن جلالة الملك أقام حفل كبير بقصر عابدين بمناسبة عيد الجلوس على العرش وحضره المطرب محمد عبدالوهاب وأدى أغنية جميلة بتلك المناسبة وأتذكر أنني شاهدت الملحن السنباطي وبالطبع المطربة الجميلة ليلى مراد التي كانت الملكة فريدة تستضيفها على الطعام مرات عدة بالقصر وبحضور لفيف من سيدات المجتمع الراقى ومن بينهن أمى الراحلة.

ومن ضمن اللحظات السعيدة التي كانت تشعرنى بالسعادة حينما أشاهد خالد هذا الزوج المقاتل الذى شارك فى حروب عدة وأصيب بإصابات قاتلة وهو نائم خالى البال من أى شىء سوى زوجته وطفله ووالديه وبالطبع أبى الحبيب الذى كان خالد يلقبه بلقب سعادة الباشا أو حشمت باشا وفى بعض المناسبات كان ينحنى يقبل يده مما يدفع دموع أبى لأن تضىء عينيه لهذا الإخلاص بعد جحود الكثير ممن ختمهم وقدم لهم المساعدات المتنوعة.

خالد :

إنتهت حرب الإستنزاف وتوقف القتال الدامى ونعلم مدى الخسائر التى كانت تلحق بالإسرائيليين وأيضاً الخسائر الجسيمة التى لحقت بقواتنا لكنها الحرب، تبدل الحال فى إدارة المخابرات الحربية وأعدت الخطط الجريئة لمحاصرة الإسرائيليين والحصول على معلومات هامة ومتنوعة ولهذا فقد أوفدت إلى عدة أماكن بنول أفريقية وأوربية تطل على البحر الأبيض وبالطبع لم تكن زوجتى تعلم أى شىء عن تلك السفريات فهى سرية للغاية وكل ما تعلمه أننى أقضى بعض أيام عمل زائدة عما اعتادت عليه.

هذه مهمة جديدة من مهام العمل بإحدى الدول الأوروبية، لقد كانت فى مدينة فينا عاصمة دولة النمسا التى كنت ألتقى بها العلاج منذ عدة سنوات على أثر إصابتي فى حرب اليمن، كلفت بحضور حفل إجتماعى فى منزل السفير الإسرائيلى بمناسبة عيد تأسيس دولة إسرائيل ونظراً لإجائتي اللغتين الإنجليزية والفرنسية بالإضافة إلى العبرية فقد أسند إلى حضور حفل السفارة التى أرسلت لنا ببطاقة دعوة باسم (فرانس موريس) صاحب إحدى التوكيلات التجارية بمدينة تولوز الفرنسية وبالطبع كانت الدعوة إجتماعية أى بحضور الزوجين.

بداخل إحدى الفيلات الخاصة بضاحية مدينة فايد كُنت الهدف لمجموعة عمل لرجال ونساء من التابعين لجهاز المخابرات العامة وذلك بتكليف من المخابرات الحربية، علمت أنهم يعدون سيدة مصرية سوف ترافقنى الحفل ولديها دراية وخبرة فى مثل تلك الأمور وسوف تقوم بالرقص معى أثناء عزف موسيقى التانجو الراقصة، لم أهتم بهذه التفصيل رغم عدم إتقانى للرقص والتى كانت تقوم بتدريبى على القيام به السيدة (تحية سمعان) وهى يهودية من اصل مصرى.

قبل موعد الحفل بـ ٤٨ ساعة علمت أن السيدة المختارة التى سوف تقوم بدور زوجتى حضرت إلى الفيلا وسوف ألقاها بالدور العلوى بمفردى كى أتفحص شكلها وأعتاد عليها وعلى الحديث معها ونقوم بالرقص يوميا عدة مرات وسوف تضع تلك السيدة جهاز تسجيل دقيق وصغير الحجم بملابسها بحيث لا يشعر بها أحد ولا تستطيع أجهزة الفحص بالسفارة إكتشاف هذا الجهاز.

صعدت للدور العلوى بعد أن إرتديت ملابس الحفل كى نقوم بعمل عدة بروفات شاهدت السيدة تقف فى إنتظارى وسرت نحوها راغبا بتنظيم العمل معها كى تتجح

خطة الجهاز، وقفت أمامها مباشرة، بسطت السيدة يدها نحوى تصافحنى باسمه
الثغر :

- أخبرك إيه يا خالد؟

- الحمد لله .. عرفينى بنفسك .. ضحكت

- معرفتنيش لحد دلوقتى؟ ياه على الزكاء المحدود.

- بلاش نقوره، على كل حال صوتك مش غريب على وشكلك الحلو ده فاكر أنى
شفتاه قبل كده.

- فين يا خالد؟

- أفكر فى نادى الجزيرة.

- لا يا حلو .. شفتنى فى سينا وأنا مكلبشة إيدك بالحديد!!

أسرعت بالعدو وهبطت السلم فى عدة قفزات وشاهدت قائد العملية يقف فى البهو
مذعورا ينظر نحوى وتسانل:

- خير .. فيه إيه حصل؟ رغبت بالحديث وشاهدت ليلى تهبط ضاحكة فأشرت لقائد
العملية نحوها مردداً :

- دى ليليان فيكتور.

- أيوه ، ما أنا عارفها.

- دى كانت مع الإسرائيلىين فى سيناء.

- أيوه يا خالد، يعنى ح نشغل واحده معانا ومنعرفشى أصلها ولا فصلها، إرجع مع ليلى ونفذوا تعليمات التدريب، هكذا سلمنى قائد العملية إلى ليلى التى مدت يدها لى وصعدنا مع السلم للدور العلوى وحينما إنفردنا معاً قامت بتشغيل جهاز تسجيل مسجل عليه القطعة الموسيقية التى سوف نرقص على أنغامها ووضعت يدها خلف عنقى وجذبتنى نحوها ضاحكة وهى تردد :

- مش حتقلت من إيدى يا خالد.

- سيبك من الوهم إالى عندك، دى مهمة وطنية نخلصها بكل جدية ويرجع كل واحد لمكانه.

- صحيح .. ومتناساى أنا الليدر (القائد) فى العملية، أنت محدش يعرفك، كلهم هنا يعرفونى أنى مرات فرانس مورييس وعمرهم ما شافوا فرانس مورييس ده لأنه كان معتقل عند الألمان فى الحرب العالمية الثانية وبعد إنتهاء الحرب سافر يتعالج فى أمريكا ورجع من كام سنة لكن مراته إالى ح أأقوم بدورها كانت بتقوم بكل حاجه فى الشركة.

هكذا قضيت يومان فى أحضان (ليلى) أو (ليليان فيكتور) أو (جانيت مورييس) نرقص ونلهو لزوم إجادة الدور المكلفين به وتأكد لى أن ليلى هى العنصر الأساسى فى تلك العملية وكنت المرافق لها وليس لى أى دور هام سوى

الرقص معها والتحدث باللغات الثلاث التي أتحدث بها وتبين لى أن ليلى تجيد الفرنسية كبنات باريس، كانت ليلى بارعة فى الرقص والإثارة وتتعمد إثارتى وبعدها تلقى على دلو من ماء مثلج وتؤكد لى أيضاً أنها سيدة قوية وتجاربها السابقة مع الرجال أعطتها حصانة ضد أى إثارة.

لن أتحدث عن العملية بالتفصيل لأنها من صميم عمل الجهاز لكن النتائج كانت مبهرة حيث تشعب الحديث عن المعارك التي إنتهت مع المصريين على ضفاف القناة وما يعده الجيش الإسرائيلي لتلقين مصر الدرس النهائي لأن من المحتمل أن درس عام ٦٧ قد نساه المصريين ولهذا فسوف يصبح درس الأعوام القادمة خطيراً وفيه نهايتهم وسوف يعود بهم الزمن إلى رعى الأغنام بالصحراء وجزء كبير منهم سوف يعمل خدم للشعب الإسرائيلي شعب الله المختار.

تطرقت الأحاديث إلى نوعيات عن الأسلحة الحديثة والدعم من بعض الدول التي كانت خافية على شخصى وأفادتني اللغات التي تعلمتها بان سجلت ما دار بعقلى وذهنى وأفاد هذا المخابرات العامة حينما تم تفريغ شريط التسجيل بعد الحفل وتبين أن بعض فقرات منه غير صالحة لتدخل أحاديث بعض الضيوف به ولهذا قمت بتوضيح كل فقرة قالها الضيوف وحدث بها تداخل وقامت ليلى بعمل وصف لبعض الشخصيات التي كانت تعرفهم بحكم عملها السابق بجيش الدفاع فى قسم الإستخبارات العسكرية.

الحمد لله إنتهت تلك المهمة وعدنا إلى فرنسا بالطائرة وهناك إفترقنا وكل منا سافر فى موعد مخالف للآخر حتى وصلت للقاهرة وإستقبلنى المقدم ممدوح بسعادة مهنئاً ما قمت به ونظر إلى ضاحكا بأنه كان يضع يديه على قلبه خشية أن الحق

بالبضابط (سعد الفيومي) الذى إرتبط بزمردة وآخر المعلومات أنها أنجبت له
(تيس صغير) وعقبال العنزات !!

مضت الأيام ومازلنا نحقق نجاحات كبيرة فى مجال عملنا وكنت أعلم أحوال
الوحدات العسكرية القتالية بالجيش الثانى وما حققوه خلال التدريبات من تقدم
ومهارة قد تصل إلى حد الإحتراف.

نشبت حرب أكتوبر العظيمة وخلالها كنا نقف كتفا بكتف مع الرجال الذين عبروا
القناة حيث عبرنا لتدقيق المعلومات السابقة والحصول على معلومات جديدة
والعودة بالأسرى والتحقيق معهم، كانت سعادتى كبيرة وأنا أشاهد الأعداد الضخمة
من القتلى والجرحى من جنود وقادة العدو وسرعان ما عادت بى الذاكرة للماضى
منذ ستة أعوام حينما هُزمت فى معركة عام ٦٧ والخلل الواضح والتضارب المؤلم
الذى كان يحيط بالقوات ولا نعلم هل سنحارب أو نقاتل أو نندفع للأمام أو ننسحب
للخلف مما أثر على القوات وكانت الهزيمة الساحقة للجيش المصرى.

معركة الثغرة القتالية الرهيبة بين الجيشين فى منطقة قتالية محدودة وخلالها
كانت معارك حرب العصابات هى التى لها السيطرة والنجاح، لقد تكاثفت أفرع
القوات المسلحة فى هذا القتال، أثناء عملى بين القوات حدث قتال عنيف بين قوات
الصاعقة والقوات المدرعة الإسرائيلية وحدثت خسائر كبيرة بين الطرفين.

طالبنى نيران الأعداء فسقطت أرضا متأثرا بإصابات شديدة لم تستطع القوات
المصرية إخلاء جرحى الصاعقة للخلف وكنت من ضمنهم وقام الإسرائيليين

بإخلاء المصابين إلى مستشفى بير سبع وأصبحت أسيرا ولسوء الحظ تعرف على أكثر من شخص من رجال الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية.

بعد تماثلي للشفاء تم إستجوابي لأكثر من مرة إلى أن جاءت الأوامر بفك أسر بعض الضباط وكنت من بينهم وعدت عن طريق الصليب الأحمر الدولي إلى القاهرة ومنها إلى مستشفى المعادى العسكرى حيث قضيت بها عشرة أيام خلالها إسترجعت قواى وكانت فرحة الشعب المصرى بالإننتصار من أهم دعائم هذا الشفاء الذى طال جميع المقاتلين لشعورهم بأن الإصابات التى لحقت بهم كان من نتائجها هذا النصر المبهر.

فريال :

لم يكن لى أى معلومات عن طبيعة عمل خالد، فهو ضابط بالجيش المصرى يحصل على إجازة من ميدان المعركة كل شهر خمسة أيام مثل غيره من الضباط والجنود وفى بعض الحالات كان يتصل بى من الإسماعيلية يخبرنى بأنه سوف يتأخر عن موعد إجازته أسبوعا أو أكثر بعدها يحصل على إجازته المعتادة.

لم تكن تلك الإتصالات تسبب لى أى ضيق واصبحت حياتى هائلة فوالدى بجوارى ووالدى خالد أيضا وزبيدة فسخت خطبتها وظلت معنا والعمل على ما يرام والتحق ابنى مصطفى بالمدرسة وبدا يحبوا أول درجة فى سلم التعليم.

إنتهت الحرب ولم تظهر أى معلومات عن خالد وعادت بى ذكريات عام ١٩٦٧ دخلت فى دوامة كبرى وبالأخص أن الحمل الثانى قد تعدى الشهور الستة ولم يتبق على نهايته سوى ثلاثة أشهر وأضع مولوداً جديداً وأشعر بالحزن بأن يأتى

الطفل الثانى ولا يشاهده أباه والطفل الأول لا يعلم شكل أباه ولا يحصل على حب الأب نحو إبنائه، لقد كانت الحرب دائما ما تحمل حزنى وهموم الدنيا رغم أن الله قد كتبها على البشر.

لبلى :

وصلت معلومات مؤكدة بأن المقدم خالد الذى تم ترقيته منذ عدة أشهر قد أصيب وأن الإسرائيليين قد أسروه ويعالج بمستشفى بير سبع وأنه يخضع للتحقيق، طلبت من مجموعة المخابرات التى تقوم بالتحقيق مع الأسرى الإسرائيليين أن يسمحوا لى بمراجعة كشوف الأسرى الإسرائيليين، بمجموعة المخابرات المختصة بالتحقيق مع الأسرى.

راجعت الكشوف العديدة ووقعت عيناى على ثلاثة من الأسرى وهم من أخطر الضباط بالإستخبارات العسكرية الإسرائيلية وسجلوا أنفسهم على أنهم جنود بوحدة إدارية ولم تكن المخابرات الحربية المصرية تعلم عنهم أى شئ لأنهم كانوا يعملون على الجبهة السورية.

أخبرت القيادة بهذا وأنه يمكن الضغط بهؤلاء على الجيش الإسرائيلى للإفراج عن بعض الضباط والقادة المصريين الذى تم أسرهم، عندما علم الإسرائيليين بهذا أفزعهم هذا الخبر وتخوفوا بأن يقوم المصريين بتعذيب هؤلاء الثلاثة وقد يزودون الجيش المصرى بمعلومات غاية فى الخطورة وتم الإتفاق عبر الصليب الأحمر الدولى على تبادل لبعض الأسرى ولهذا اسرعوا بفك وثاق الأسرى المصريين وكان فى مقمتهم المقدم خالد شوقى وعاد الإسرائيليين الثلاثة إلى إسرائيل.

خالد :

أشعر بتماتلى للشفاء ولهذا كنت أقضى بعض الوقت بفراندة مستشفى المعادى لأشاهد النيل الساحر وحركة مراكب النيل التى تحمل البضائع ومراكب الصيد الصغيرة التى تساعد من يعمل عليها بالحصول على قوت يومه هو واسرته سمعت حركة فتح الباب الزجاجى للفراندة، نظرت نحوه وعلت الدهشة وجهى لطبيعة الشخص القادم، لم تكثرث وإقتربت منى وطبعت قبلة خفيفة على جانب الوجه وهى تردد :

-مبروك النصر يا بطل.

- شكرا لىلى، مبروك لينا كلنا وأنت منهم.

- صحيح يا خالد، الكلام ده من قلبك؟

- لأ مش من قلبى لكن من عقلى ..

سمعت ضحكتها التى كانت تصدر منها حينما تشاهدنى أتألم من وضع الأصفاد الحديد بيدي، أحضرت كرسي وجلست وإقتربت منى وأخبرتني بأنها سوف تتزوج قريباً وطلبت منى حضور الحفل، أشارت لأحد مرافقيها فحضر مسرعاً يحمل علبة قטיפه جميلة وقدمتها لى وأعادت كلماتها الرقيقة بالتهنئة وأشارت للمرافق بالمغادرة وإنحنت قليلاً وأعادت قبلتها ثم وقفت أمامى والدموع تملأ عيونها الجميلة وتحدثت بصوت حزين :

- خالد، أنا حبيبك جداً، ومكنتش عارفه أتصرف إزاي، والعقيد ممدوح كلمنى بعد ما دخلت فى التدريب وطلب منى بجملة صغيرة لم أنساها أبداً (ليلى .. بلاش حكاية خالد .. خيلنا فى الشغل أحسن لأن موضوع خالد ح يؤثر على قرار القيادة ببقاءك فى مصر) إنصرف بعدها ودخلت حجرتى أبكى لفترة طويلة.

خالد .. المشاعر بتكون خارج سيطرة الإنسان وخصوصا الست مننا لما بتحب بيكون حبها قوى وشديد لأنه لا يمكن أن تعلن عن حبها إلا لما تتأكد منه وأن إختيارها هو الإختيار الوحيد ولا بديل له، تمنياتى لك بالتوفيق.

هكذا غادرت ليلى فراندة المستشفى وعيونها باكية وسمعت حديثها وأجبت على بكاها بسؤال :

- أعمل إيه يا ليلى؟ أنا مجوز وعندى طفل راح المدرسة السنة إالى فاتت، ما فيش علاج لمشكلتنا غير نظرية زمردة، نظرية التيس وعدد من الماعز من حوله إبتسمت رغم أنفى حينما تذكرت حديث زمردة وحمدت الله أن ليلى سوف تتزوج وسوف أكون أول من يقوم بتهنئتها.

أغمضت عيوني وطرقت فى عالم ساحر بديع لا أعلم شخوصه لكنه عالم جميل تنبهت على صوت نسائى جميل وتأكد لى أن ليلى عادت مرة أخرى وقررت أن أطيب بخاطرها وأقبل خدها مثلما فعلت حتى لا تغضب منى، فتحت عيناي وشاهدتها ولم أستطع النطق لكنها تحدثت ونطقت وتحركت وألقت بنفسها على صدرى باكية ضاحكة وقامت بموعها الرقيقة بتعطير جسدى يعطر الحب

والإخلاص، لقد كانت الحبيبة فريال زوجتى وأم ابنى، شاهدتها تقف بعد هذا وقد ازداد محيط البطن وقبل أن إسأل ضحكت وهى تردد :

- الثانى جاى يا أبو العيال، نهضت من كسلى وخمولى ووقفت أمامها وأول شىء قمت به أن قبلت يدها فشعرت بأناملها الرقيقة تداعب شعر راسى وتهدهد على كتفى وتدعو الله أن يحمينى كى أظل بجوارها بعد رحيل الحامى لها بعد الله والدها الحبيب.

عندئذ وقفت ونظرت فى عيونها الباكية، حركت رأسها تخبرنى بان والدها قابل ربه ولم يستطع تحمل أنباء حدوث ثغرة وعبور الجيش الإسرائيلى لغرب قناة السويس فأسلم الروح وقبل أن يقرأ الشهادة دعا الله بأن تعود وتتسلم حبيبة القلب التى لم يعد لها فى الدنيا بعد الله أحد كى يحنو عليها ويسعدها.

هذا صباح يوم جميل، فرغم برودة الشتاء الزاحفة ونحن فى منتصف شهر ديسمبر من عام ١٩٧٣ إلا أن الطقس بدأ يميل للبرودة مما إستدعى إدارة مستشفى المعادى لتوزيع البطاطين بديلا عن الكوفرات الخفيفة، كان لقاء الأمس سواء بزوجتى أو لىلى مؤثراً على جوارحى بدرجة كبيرة، فهذا هو الأب الحامى لإبنته انتقل إلى جوار ربه وكان من المحتمل أن تفقدنى فريال كزوج وهذا طفلنا الصغير المعلق فى عنقها وأثار الحمل بدأت تظهر بشائره ورغم هذا تتحمل فريال وتقاوم رغم تلك المواقف والأزمات التى واجهتها خلال الشهور الثلاثة الفائتة.

أما الألم النفسى الثانى فكان لرفيقة الأسر المنفرد التى وضعت الأغلال باليدين أنها لىلى تلك الحساء وكنت أردد من حين لآخر حينما أنفرد بنفسى عنوان لما

حدث بسيناء (الجميلة والأسير) التى يخالف سلوكها العنيف نحوى ما تحمله من صفات الجمال والفتنة، لقد تأثرت بشدة باللقاء الأخير وكان بكانها مؤثرا جدا ولقد أثبتت لى كل من زمردة ولىلى أن المشاعر الإنسانية الحقيقية لها من القوة والتأثير على صاحبها الكثير من التصرفات التى تبدل تصرفات وسلوك الإنسان بالكامل.

هذه زمردة تترك الأهل والقبيلة سعيا وراء نبضات وهمسات القلب من أول إشارة تشعر بها من لمسات الحب والتى تعلق بها قلبها الصغير، وهذه الفتاة التى غادرت أرض الأجداد تعود ثانية إلى تلك الأرض وما تمثله عودتها من خطورة على حريتها وكل هذا منبعه أن تظل بجوار من مال قلبها نحوه.

تنبهت من خيالتي وتأملاى تلك على صوت زوجتى فريال تفتح باب الحجرة وتلقى بتحية الصباح المغردة من صوتها الساحر وبسمة السعادة تحيط بها عن اللقاء السابق وتنتظر للخلف تحدثنى :

- زيارة مهمة جدا لك .. شاهدت خلفها سيدة كبيرة العمر وعلى ملامحها كل دلائل الأصالة والرفعة وتعلو وجهها بسمة طيبة حانية مع مصافحة رقيقة مثلها ثم تحدثت بصوت يحمل كل الحنان والعطف :

- إزاي حال صحة ابني البطل، أكيد نسيت أنا مين؟

فى تلك اللحظة تذكرت من تكون تلك السيدة ذات الحسب والنسب والجاه، إنها الملكة السابقة فريدة التى قامت بزيارتي بمدينة فينا أثناء علاجي من إصابة معارك حرب اليمن منذ عشرة أعوام بالتقريب، نهضت مصافحاً مرحباً بها لكنها طلبت منى ألا أهرق نفسى وأن أظل فى حالة من الإسترخاء بالسرير بينما أسرعت

زوجتى بإحضار الكرسي المجاور للسريـر ووضعته بحيث تكون الملكة فى مواجهتى أثناء الحديث.

كان حديث رائع وخلالـه أثنت جلالـتها على أداء الجيش المصرى ووصفته بأجمل العبارات المختصرة التى تدل على مدى ما تتمتع به من خصائص وثقافة ومن بين ما قالت: أنها جاءت لمصر بعد علمها بنشوب الحرب وقدمت ما تستطيع من دعم سواء ماديا أو معنويا لهذا الحدث العظيم، لم تطل الملكة فى زيارتها كعادتها بأن تظل خفيفة على زيارة المريض رغم أن وجودها كان له تأثير معنوى على حالى وأيضا على إدارة المستشفى التى أسرع الكثير من الأطباء وهيئة التمريض بالترحيب بها وبالتالى إنتقل هذا الترحيب بى رغم أنها قامت بزيارة بعض المصابين الذين مازالوا يتلقون العلاج.

فـريـال :

غادر خالد المستشفى وحصل على أجازة مرضية وظل بالمنزل حتى يتعافى من جراحه، فى بداية تلك الإجازة شعرت بالآلام الوضع ودخلت المستشفى وحصلت عملية الوضع وقد منّ الله علينا بطفلة جميلة تحاكى جدتها صافيناز والدتى فى الجمال والرقّة، أصبحت (إيناس) هى بلورة الجمال فى المنزل مع شقيقها الذى كان يعود من المدرسة كى يشاهدها وهى نائمة تنظر لمن حولها وفى بعض الأحوال يتشجع ويمسك أطراف أصابعها الخفيفة ثم يهرب خشيّة منها.

إنتهت الحرب وحصل خالد على تكريم من رئيس الجمهورية بمنحه نوط الشجاعة بعدها تقلد منصبا هاما فى جهاز المخابرات الحربية واستقرت أحوالنا

الأسرية وتمتعنا بمباهج الحياة التى حرمانا منها فترة طويلة، كان خالد الابن البار لوالديه فى الكبر وكانت السعادة تلفهما حينما نجتمع بهم فى شقتهم فى أوقات الفراغ فى أى لقاء عائلى رائع حيث ينصب إهتمام الجميع بالطفلين.

مضت عدة أعوام ورقى خالد لرتبة العقيد وبعد سنوات أخرى تقلد منصب الملحق العسكرى للسفارة المصرية بجمهورية لبنان الجميلة، كانت فترة الأربع سنوات التى قضيناها فى لبنان من أسعد أيامنا حيث الجمال وروعة الطبيعة مع رقى الشعب اللبنانى وتمتعه بالحياة والحرية الشخصية التى حصل عليها وتطلعه للحضارة الأوربية والتى أصبحت لبنان جزء مشابه لفرنسا بالعالم العربى رغم بعض التوترات السياسية التى حصلت.

أثناء فترة العمل كملحق عسكرى رقى خالد إلى رتبة العميد وبعد إنتها مدة العمل عدنا جميعا للقاهرة وإستمر فى عمله وبالطبع خلال تلك الفترة حصل على عدة مناصب قيادية بالجيش بحكم الأقدمية وبحكم حصوله على خبرات متنوعة خصوصا فترة تواجده بلبنان، إنعكس هذا على عملى حيث كنت أعمل مراسلة لجريدة الأهرام اليومى والأهرام الدولى، كبر الأطفال وأصبح مصطفى بالمرحلة الإعدادية بينما إبناس شقيقته مازالت تشق طريقها بالمرحلة الابتدائية.

مرض والد خالد وبعد فترة وجيزة لحق بربه ولم يمض عامين إلا ولحقت به زوجته وأصبح المكان خاويا من حبهم وبركة دعاء الوالدين وأثر هذا على نفسية خالد تأثيرا كبيرا نظراً لأنه الوحيد وليس له إخوه كحالى، رغم هذا إستمرت حياتنا وإستمر تقدمه فى العمل مع ظهور بعض بوادر من مشاكل صحية ورغم هذا كان

يعمل دون كلال، تمت ترقية لرتبة اللواء وأحيل إلى التقاعد بعد أن تخطى عمره الخمسين عاماً بعامين إثنتين.

لم يكن خالد ممن له هوايات أو مواهب سوى عمله ومراعاة أسرته ولهذا كان يتوجه لنادى الضباط بالزمالك القريب من منطقة جاردن سيتي وهناك يلتقى ببعض الزملاء يتضحكون ويستعيدون أيام الشباب التى ولت وحل محلها الكبر والمشاكل الصحية المتذبذبة من حين لآخر، كنت أشعر بأن خالد يعانى من مشاكل صحية فى منطقة الصدر وتلك الحالة ليست بمرض فى التنفس لكن كانت هناك عضلة بالصدر تعانى من الضعف مما كان يدفعه لوضع يده على صدره لشعوره بالهم فى بعض الحالات.

فى المستشفى العسكرى وبعد مراجعات مع الأطباء تبين أن هناك عضلة فى الصدر ممزقة من حادث فى الماضى ولم تعالج العلاج السليم ومن أجل هذا يجب إجراء عملية جراحية لتقوية تلك العضلة شبه الممزقة، كنت أخشى عليه لكنه كان إنساناً شجاعاً لا يأبه بمثل تلك المشاعر لأنه مؤمن بأن الخالق حدد لكل إنسان وقت ميلاده ووقت لقاء ربه بتوقيته محكم لا يتغير أبداً.

أجرى خالد العملية الجراحية وتم شفاؤه من تلك الحالة وتبين للأطباء بأن هناك شظية صغيرة جداً لصقت بتلك العضلة وقطعت جزء منها وظلت باقية وبسؤال خالد عن سبب تلك الشظية وبعد تفكير تأكد له أن هناك من أطلق عليه رصاصة أصابت صدره إصابة سطحية ولم تخترق الجــــــــــــــــسم وتذكر كلمة كان يرددناها (الرصاصة الأخيرة) ومن كثرة الأسئلة التى وجهتها له عن من تسبب فى تلك الإصابة أجابنى بأن عميلة للجيش الإسرائيلى ألقت القبض عليه خلال حرب يونية

عام ١٩٦٧ ولم تفلح فى تسليمه لجيش الدفاع لكنه نجح فى تسليمها للجيش المصرى وأصبحت من أهم المساعدين لهم قبل وأثناء حرب أكتوبر وبعدها إلى أن إحييت للمعاش منذ عامين.

خالد :

تذكرت ما حدث من ليليان فيكتور والرصاصه الأخيرة التى كانت من نوع معين ولها تأثير خطير حين إختراق جسم الإنسان لأنها تنفتت بسرعة إلى جزيئات صغيرة تنتشر بمنطقة الإصابة ولم يستطع الشيخ السمعانى أن يكتشف هذا أثناء العلاج البدائى، تذكرت حديث ليليان لى بعد هذا الحادث وأخبرتني بموضوع الرصاصه خلال رحلة العودة للقناة مع رجال الشيخ سلمان السواركى، كانت تحدثني وهى فى دهشة وكيف لم تؤثر تلك الإصابة على صحتي وشكرت الله أننى نجوت منها.

كنت فى حالة من السعادة والهدوء النفسى لما كنت أشعر به نحو زوجتى وابنى مصطفى الذى تخرج فى الجامعة وكان من المتفوقين ولهذا أرسلته الدولة لبعثة إلى المملكة المتحدة للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه بينما كانت (إيناس) ابنتى الجميلة تنهى المرحلة الثانوية وتخطو أول خطوة على طريق الدراسة الجامعية.

إلتحقت إيناس بكلية الصيدلة، أما شريكة العمر فريال فكانت مثل المعدن النفيس الذى يزداد قيمة بمرور الزمن، فقد أصبحت رائعة الجمال وإزدادت فتنة وتدرجت فى كبرى عملها الصحفى وتقلدت منصب نائب رئيس تحرير الأهرام لشئون المرأة.

إيناس :

كنت أشعر بسعادة لا مثيل لها، كنا نعيش ك أسرة مترابطة ومتقمة سواء فى مجال العمل أو الدراسة، كنت محط إعجاب الكثير من زملائى بالكلية سواء من الطلبة أو الطالبات، لم يكن هناك شىء نفكر فيه سوى عودة شقيقى مصطفى من الخارج بعد حصوله على درجة الدكتوراه أما عدا هذا فلا ننتظر أى شىء، لقد أصبحت الشابة المدللة من والديها خصوصا من أبى الرقيق الحنون البطل صاحب الأمجاد فى المعارك الذى إشتراك فيها وأبلى خلالها بلاء حسنا رغم الإصابات المتعددة التى لحقت به فى كل معركة إشتراك بها.

قبل تخرجى بعام دراسى تقدم إلى شاب يعمل ضابط مهندس بالقوات المسلحة وطلب يدى من والدى، كنت أعلم عنه الكثير بحكم صداقة والده لوالدى وجلوسهما معا بنادى الضباط، لم أكن قد إلتقيت به قبل هذا ووافق والدى على قيامه مع والديه بزيارتنا فى منزلنا، كانت سعادتى فى أوجها، أقبل الشاب الهادئ الوديع وجلس بيننا بوجه باسم وقد ميزه الله بوسامة طبيعية وغير ملفتة للنظر مع القبول ممن حوله أثناء الحديث، فى أول الأمر لم يكن ملفتا لنظرى وكنت أجالسه مع عائلته جلسة طبيعية ورغم هذا وضعته تحت مشاعرى الإنتوية إلى حين الإنفراد بنفسى حتى أقرر ما يكون.

تعددت اللقاءات العائلية ومن بينها بعض اللقاءات بنادى الضباط وشعرت خلال تلك الفترة أننى مشدودة لهذا الشاب، كان (مجدى) سعيداً كلما إلتقينا وقد ميزه الله بقدرته على إلقاء بعض أبيات من الشعر العامى الذى يوضح ما تحمله شخصيته من أمل وسرور ونظرة باسمة للمستقبل، لم تمض ثلاثة أشهر على لقائى به أول مرة

إلا وتمت خطبتى إليه وقد قارب العام الدراسى على الإنتهاء والتخرج ولذا فقد قررت العائلتين أن يتم الزفاف بعد تخرجى بثلاثة أشهر وهذا التاريخ يواكب عودة شقيقى مصطفى مظفرا بحصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة برمنجهام بالمملكة المتحدة.

الحمد لله تم الزواج بعد أن وفقنا الله فى الحصول على شقة جميلة بحى مصر الجديدة بالقرب من إقامة عائلته والتي تفانت فى البحث عن سكن مناسب يليق بنا وتم تأسيس الشقة وتسلمت العمل بوزارة الصحة وأصبحت الأمور احسن حالا وإنظمت حياتى وتكلفت بعد عام بميلاد طفلى الأول وكانت سعادتنا غامرة، لم تدم فرحتنا طويلاً لأن والدى إصابته وعكة صحية من جراء إصابته السابقة برصاصة من نوع خطير فى سيناء خلال حرب عام ١٩٦٧ وبعد علاج بمستشفى المعادى عاد إلى منزله وكان باديا عليه تأثير الإصابة الخطيرة.

بعد علاج أبى بعامين أقبل الإبن الثانى وبقدمه أزال الكثير من الحزن الذى كان عالقاً بالعائلة من جراء حالة أبى الصحية غير المستقرة، كانت أمى تلاعب طفلى الثانى سعيدة به وكانت تردد بأنها تستعيد أيام أن أنجبت أخى مصطفى وقتها كانت تعمل لديها خادمة مخلصة تدعى زبيدة والتي تزوجت وتحيا بقريتها مع زوجها وأبنائها وقد شاهدها عدة مرات بشقة أمى تآلى لزيارتها وتبيت معنا يومين وخلالها تقوم أمى بمساعدتها ماديا على مجابهة أعباء الحياة والأبناء التى أنجبتهم ووصل عددهم إلى ستة فتيات.

جزاء الإنتصار و ثورة الرعاع

خالد :

هذه بداية فترة سيئة على أسرتنا، أقصد ما أشيع بأنها ثورة ٢٥ يناير من عام ٢٠١١، كان مركز الثورة والثوار قريباً من عمارة حشمت باشا السرجاني والتي أضحت ملكاً لزوجتي ونسكن بها بحى جاردن سيتى، حينما كانت تقل سيارة العمل لزوجتى إلى مكتب جريدة الأهرام مروراً بميدان التحرير كانت تشاهد المصريين الثائرين بالشوارع والأزقة والحوارى الخلفية على جميع المستويات والأعمار.

بدا المشهد يتضح أكثر، فالعملية ليست قاصرة على تغيير نظام الحكم الذى استمر طيلة ثلاثين عاماً لم يفلح فى إزالة الفقر عن الشعب وبدا أن جميع المصريين كارهين لهذا النظام وإندفعت الجماهير هادرة نائرة تطالب بالتغيير والإصلاح.

تباطأ الرئيس حسنى مبارك وقتها فى الإنصياح لطلبات الشعب وتلكاً كثيراً مما دفع الجماهير للبقاء بالشوارع وترتب على هذا أن قام البعض بتوزيع الأطعمة على المرابطين بميدان التحرير بالقاهرة والميادين المشابهة بمحافظات الجمهورية وظهر أسوأ ما فى أخلاقيات الشعب المصرى التى إستباحت كل شئ للعيش المجانى والسرقة والفهلوة، ظهرت جموع الشعب الفقير أو بالأحرى الخارجين على القانون وما أكثرهم حول القاهرة.

انتشرت السرقات والتحرش بالفتيات الثائرات والنوم بالعراء وإستغلال مداخل العمارات الجميلة التى كانت بمثابة لوحات مجسمة لقلب القاهرة الخديوية، أصبح الذباب فى كل مكان والروائح الكريهة الناتجة من قضاء العاطلين والخارجين عن

القانون والقامين من القرى والصعيد لحاجتهم بالشوارع الخلفية وأصبح هؤلاء يوماً بعد يوم هم رموز الثورة والساهرين عليها وظهر من خلفهم من يحركهم مستغلاً إسم الدين الذى أورد الشعب المصرى وشعوب العالم الإسلامى إلى التهلكة.

فإذا أردت أن تحارب فصيل داخل الشعب أو أى فرد يتولى منصباً رفيعاً فما عليك إلا أن ترسل له مجموعة من الغوغاء والرعاع الذى إبتلى بهم الشعب المصرى ليعلموا أن هذا نفر أو هذا الفصيل كافر ولا يعمل لصالح الإسلام.

أصبح الرعاع يتحركون فى كل مكان تحت قيادة وسيطرة أصحاب الجلباب القصير والحية الطويلة والزبيبة التى تشبه الزلطة الكبيرة فى مقدمة الرأس والسواك فى الفم والتحدث بصوت مرتفع والسباب للكفار ورفع أعلام بعض الجماعات المناهضة للتقدم بأن هؤلاء هم من يحمون الإسلام.

اشتعلت الحرائق فى كل مبانى الدولة باستخدام زجاجات ملتوف تلقى على أى مبنى فيشتعل وتسمع صيحات الفرح والبهجة والرقص ونداء التهليل (الله أكبر) وكان الدمار والقتل والحرق أصبح رفيقاً بإسم العزة خالق السموات والأرض.

ظهر على شاشات القنوات الخاصة التليفزيونية بعض المذيعين والإعلاميين أصحاب الحناجر القوية التى تحارب من ليس على شاكلتهم وأسرع بعض المتسلقين من صحفى الجرائد الصفراء لإبلاغ جهات التحقيق ضد بعض الشخصيات العامة وبدا أن هناك نوعاً من الإنتقام من تلك الشخصيات وأن الكارهون للتقدم إستغلوا توتر الجماهير للإنتقام من كل شىء.

انتشرت الحرائق بمراكز الحزب الوطنى الذى ظل فى الحكم عدة عقود
وُمرت قوات الأمن وإحرقت سياراته ومعداته بل الإجتراء على الضباط والأمناء
والجنود وأصبح كثير من أقسام الشرطة فى حالة من الفوضى وأصاب العديد منه
الحرائق وإستولى الغوغاء على الأسلحة التى كانت بداخله.

كُنت فى حالة من الفزع والحزن يغطى سماحه وجهى التى تميزنى كما قالت
زوجتى وكنت دائما ما أردد عبارة (لقد ظهر سوء خلق الإخوان المجرمين) لم
يكن يرتبط هذا التنظيم بالإسلام وليس هذا بإسلام، لقد تأكد لى حديث أحد اللبنايين
اليهود أثناء عملى كملحق عسكرى بببيروت بأن جماعة الإخوان المسلمين من قام
على تأسيسها هم اليهود بعون من السلطات البريطانية بالقاهرة.

كنت فى دهشة لكن الرجل أفاض فى حديثه بأن المنظمات اليهودية كى تستقطب
غضب الشعوب الإسلامية على إقامة دولة يهودية فما عليها سوى إقامة تنظيم
إسلامى يمتص غضبة تلك الشعوب متعهدا بالقتال حتى تحرير القدس وها قد
مضت أكثر من ستة عقود ولم يتحقق أى شىء سوى تدمير الشعوب الإسلامية من
الداخل، أتحدث مع زوجتى :

- كل ما بأشوف الهرج والمرج والخروج على القانون والإنحلال إللى ظهر وساد
الشعب المصرى أحزن على حال أمثالى من المقاتلين الذين بنلوا كل شىء فى سبيل
حماية الوطن ورفعته، لقد شوه هؤلاء المجرمين صورة مصر الجميلة الناصعة
حتى فى أسوأ أحوالها بعد الهزيمة الثقيلة عام ١٩٦٧ لم يستطع أحد أن ينال منها
لقد ركب الإخوان الإرهابيون مطية الإسلام لتدمير الإسلام ولن تقوم لمصر قائمة
إلا إذا تم القضاء على هؤلاء القتلة المخربون.

لقد قام العدو بمحاربتنا بطريقة مخالفة عن الحروب السابقة، لقد إكتشف الأعداء أن الإنتصار فى ميدان المعركة بالنسبة لهم قد عفا عليه الزمن، فجميع الحروب السابقة الكثيرة إنتصر فيها على مصر ورغم هذا لم تسقط وقامت مصر بحرب واحدة ضده وإنتصرت عليه وكاد أن يعلن إستسلامه ولهذا غير من طريقته فى حربه مع مصر، لقد إقتدى بأهل إسبرطة حينما تمت هزيمتهم على أيدى المقاتلين اليونانيين ولهذا لجؤا للخديعة وأعدوا حصان طرواده الشهير والذى أودى بحياة الملك وجيشه بتلك الخديعة.

لقد لجأ الأعداء لمثل تلك الأفعال الشيطانية، لقد شجعوا على إنتشار الفحش والرزيلة والبعد عن نصوص الدين تحت ستارة الحرية وحقوق الإنسان وساعدهم بعض العملاء الخونة بمصر نظير مبالغ تدفع لهم أو مساعدتهم فى تقلد مناصب رفيعة بالدولة سواء من ضغط إعلامى أو بدافع وتشجيع من القوة الكبرى المؤيدة لكل عمل شيطانى ضار بمصر وبالطبع كان لنظام حكم حسنى مبارك المتعالى على المصريين الفضل فى سريان تلك الجرائم فى جسد المجتمع المصرى.

لقد بدأنا فى حصاد ما أھملناه، حرب النفوس الحاقدة ومساوئ الأخلاق والبذاءات اللفظية والإبتعاد عن القومية من أخطر الحروب، إنها مثل الأمراض السرطانية التى تهاجم الأجساد رويدا رويدا حتى يسقط الإنسان دون مقاومة ولا يجدى معه أى نفع أو علاج، أعرف أحد ضباط المقاتلين فى حرب أكتوبر أخبرنى تليفونيا منذ عدة أيام بأنه يقيم حفلاً بمنزله لأن ابنه لم يصبه الدور فى التجنيد الرجل يقيم إحتفال لأن ابنه أصبح مثل الفتاة ولم يصبه الدور، أى رجال هؤلاء.

لقد إستطاع الغوغاء بخناجرهم البعيدة عن العلم والدين الدفع بالعديد من مشاهير المجتمع المصرى فى مجالات عدة إلى جهات التحقيق والبعض منهم إختصر الطريق وهرب لخارج البلاد بُعداً عن المشاكل وترك الجمل بما حمل وضاع مجهوده ومجهود أباءه الذى حققه فى مجال الإقتصاد والعلم وأصبحنا لا نرى إلا كل شىء سىئاً.

بعد التمتع بالأغاني الراقية وأشعار أمراء الشعر وألحان عظماء الموسيقى وأصوات الموهبين بدأ يطفو على السطح من يتقنمون ساحة الغناء دون موهبة أو حتى شكل شخصى، كما إنتشرت الأفلام الهابطة التى تتحدث عن عمارة وسط القاهرة لا يسكنها سوى الشواذ والخونة والسكارى والساقطات وتركنا دعاء الكروان وغزل البنات وغيره.

إيناس :

مضت الأيام حزينة علينا ولكنها كانت واضحة على والدى، هذا المقاتل الذى أصيب إصابات كثيرة وأصبح يعانى منها الآن، لكن أشد ما أصابه هو حريق المجمع العلمى ومحاولة سرقة دار الآثار المصرية، شاهدت النموذج الصامتة فى عينيه، حاولت أن أسرى عنه أنا ووالدتى لكنه لم يستجب وكل ما قاله :

- خلاص معدشى ليا بلد ولا وطن ولا أصل ولا فصل، سرقة آثار الأجداد العظام من المتحف المصرى هى سرقة هويتى وشهادة ميلاد أبائى وأجدادى، أين هم الآن لقد سرق الرعاك كل ما قام به الأجداد العظام كى تظل مصر واعية وقادرة على عمل المستحيل، حينما كانت مصر ينال منها الأعداء كنا نستعين بذاكرة الأجداد

العظام وننهض ونقاوم وننتصر، لقد ضاعت شجرة العائلة المصرية ولم يبق في مصر سوى الرعاع الذين يرتدون مسوح الإسلام من الجلباب القصير والحية القذرة والسواك وكلمة الله أكبر، كل هذا كذب وخداع بإسم الدين الحنيف كي يفعلوا أى شئ لتدمير مصر.

حاولت أن أشد من عضده كي أبعده عن تلك المشاعر والأحزان لكن محاولاتي ومحاولات أمي باءت بالفشل، إستمر عازفاً عن الطعام وأسرعنا بالإتصال بأحد الأطباء لبحث حالته وللخروج من تلك الأزمة ودفعه لتناول الطعام بعد أن مضى عليه يومان دون تذوق أى غذاء مكتفياً بالماء، وبمساعدة المهدنات تناول بعض لقيمات جافة ثم توقف وأعاد الطبيب زيارته ونظر إلينا حزينا مردداً " لا يستجيب للعلاج، لقد كره الحياة وراغباً بمغادرتها " أصابنا حزن كبير وتوقفت بنا السبل تنبه أبى لموعى وتوسلات أمي وأشار إلينا أن نقرب من السرير الذى يرقد فوقه وتحدث بصوت خافت :

- أعيش ليه؟ من كام يوم ضاعت هويتي مع باقى المصريين وضاع معها تاريخ وأمجاد أجدادى الفراعنة، ثم تلا هذا حرق المجمع العلمى وهذا هو ذاكرة مصر لماذا أبقي بعد أن فقدنا كل شئ، أرغب فى مغادرة الدنيا فلا أستطيع أن أعيش دون أمجاد الأجداد ونكريات العلم والتقدم.

بعدها صمت أبى وأقبل الأصدقاء والأقرباء وصدرت بعض تلميحات لى ولوالدتي بأن نستعجل عودة شقيقى مصطفى الذى كنا قد أرسلنا إليه بأخر ما جد على حال أبى وأسرع يخبرنا بأنه سوف يأتى للوقوف بجانبنا فى تلك الفترة العصيبة على مصر، قالها أحد المقاتلين السابقين من أصدقاء أبى :

- تمتعوا بمجالسته الفترة الباقية، لن يحدث تقدم وماهى إلا ساعات أو أيام وتنتهى تلك المحنة ويقابل وجه الخالق، نظر والدى إلينا بعد أن فتح عيناه وردد جملة لن أنساها أبداً ومن حولنا الكثير من الأصدقاء والزملاء :

- المجرم إالى حرق المجمع العلمى يقول " أنا بلا فخر من قمت بهذا العمل ولو تكررت أمامى فرصة أخرى فسوف أغتتمها " تصوروا أن هذا المجرم فخور بحرق ذاكرة مصر وماذا سيكون عليه الحال لو كان يقاتل العدو؟ هل سيكون فخوراً؟ وماهى مشاعر المقاتلين الذى لبوا نداء الواجب وقاتلوا العدو ونالوا الشهادة أو من أصيب خلال المعارك أو من عاد سليماً من المعارك، لك الله يا مصر.

صمت أبى وأغلق عيناه وسمعناه يتمم بالشهادة ومالت رأسه على الجانب الأيمن، حاول رفع إصبع السبابة أثناء تلاوة الشهادة لكن ذراعه سقط بجانبه، أسرع الزملاء بفحصه للتأكد من أنه أسلم الروح ثم نظروا إلينا مواسيين وتوجه البعض لعمل إجراءات الجنازة.

هكذا لفظ أحد المقاتلين الذين خاضوا حروب عدة ونالت منهم إصابات المعارك الكثير بعد أن شاهد آثار العريضة والإنحلال التى حدثت فى الخامس والعشرين من يناير من عام ٢٠١١ وبعد هذا ظهر الإخوان الإرهابيين وعاثوا فى الأرض فسادا وترحم الجميع على البطل الذى أبى على نفسه أن يظل على قيد الحياة تحت حكم تلك الزمرة الخربة التى كفرت المسلمين بإسلامهم ودفعت بالأجانب على مناهضة كل مسلم سواء فى داخل العالم الإسلامى أو خارجه.

بدأت الحياة تستقر بعد فترة الحزن التي شملتنا جميعاً وكان تأثيرها واضحاً على والدتي التي كانت زوجة محبة لزوجها بطريقة خيالية وكانت تعيش في عالم الرومانسية وتناجيه قبل نومها كأنه يجالسها في الحجرة، كنت أخشى عليها لكنها كانت عاقلة تعلم ما أفكر فيه وبكلمات بسيطة أخبرتنى ألا أطلبها بأن تبعد عن الذكريات الجميلة التي شعرت بها مع أبي ورجتني بأن إترك لها بعض الوقت كي تستعيد تلك الذكريات مثل أي إنسان يتذكر أغنية جميلة ويدندن بها من حين لآخر.

قبل أن يغلق الله بابا يفتح شباكا

الدكتورة إيناس :

مضت بنا الحياة يغلفها شيء من الحزن لما ألم بأسرتنا وفقد والدى بتلك الصورة الحزينة، ظلت أتذكر كلماته الأخيرة ووصفه لفقده هويته بسرقة بعض قطع الأجداد من المتحف المصرى وشاب جاهل عابث أقدم على حرق المخزون الفكرى والعلمى بالمجمع الكائن بشارع قصر العينى والذى كان يتفاخر بما قام به، أصبحت أمتى تعيش وحيدة إلا من ذكريات جميلة مع جدى حشمت باشا وجدتى صافيناز هانم ولقاءات الملكة السابقة فريدة وبناتها الثلاث التى حرمت أمتى من مشاهدتهم أو اللقاء بهن.

سارت بى الحياة مع زوجى العقيد مجدى والذى كان يقضى أياما بلياليها بالوحدة العسكرية التى كان يعمل بها، لقد تحمل الجيش المصرى عبء الدفاع الداخلى للوطن بعد نجاح المرتزقة والخونة فى تدمير جهاز الشرطة المصرية، لقد أصبح الوطن بلا أمن داخلى وعبث الخارجين على القانون بكل شيء وقام العديد من أهالى كل منطقة بعمل لجان شعبية تقوم على حراسة سكان كل منطقة ضد عبث المجرمين والبلطجية الذين خرجوا من جحورهم.

لقد أخطئ المجلس العسكرى فى التساهل مع هؤلاء ولو قام بتكرار تجربة محمد على وأقام مذبحه كبيرة لكل الخارجين عن القانون لإختفى كل شيء سيئ فى مصر خلال أيام، إن عقوبة الإعدام رميا بالرصاص فى تلك الأحوال واجبة وأن من يتحدث عن حقوق الإنسان وحماية المجرمين ما هو إلا مجرم مثل هؤلاء

وأين حقوق باقى أفراد الشعب المطحون فلا توجد جمعية تدافع عنهم لكن أصبح البلطجية والخارجين عن القانون لهم جمعيات مصرية وأجنبية تدافع عنهم، لماذا؟ هذا سر دفين لهؤلاء القتلة وأعاونهم لتدمير مصر القوية العفية التى لن تسقط أبداً.

أعد دستور لمصر نظمته وخطط له جماعة الإخوان الخارجية على الجمع الشعبى وبالتالي أصبحوا خارج الشرعية الشعبية لكن تلك الجماعة مؤمنة بشرعية أمريكا ومن يدور فى فلكها، لقد كان جمال عبدالناصر قارئ جيد للتاريخ وحكم على الإخوان وأمريكا وبريطانيا وإسرائيل بحكم بات دقيقاً بأنهم أعداء للشعب المصرى لكن الجبناء من الساسة بمصر كانوا يخشون الإنتقاد الدولى لمصر وقرروا عدم التعرض لتلك الجماعة الإرهابية ضد مصلحة الشعب الذى ضحى كثيراً.

لقد فقد الشعب المصرى حريته وأمانه وأمنه بل فقد العديد من الأرواح الشابة سواء المدنية أو العسكرية أو من رجال الأمن، وانتشرت السرقات وقطع الطرق بل والسرقة نهاراً جهاراً وكل صاحب صوت أجش ويده قذرة لم تعرف الماء والنظافة لأسابيع ولم يؤدى الصلاة إلا فى الأعياد والمناسبات أصبحوا هم من يتحكمون فى مصير الشعب المصرى.

لقد ساهم المصريون الجهلاء الفقراء الأغبياء فى كل ماحدث لهذا الوطن، من أجل زجاجة زيت وكيس من الأرز وكيس من السكر باع الجميع ضمائرهم لأتباع الجماعة الإرهابية ووقفوا بجوارهم فى الإنتخابات مما عجل بفوزهم فى مجلس الشعب الممثل للأمة، كما وقف هؤلاء خلف المنافس الإخوانى ضد المنافس الآخر الذى أطلق عليه الإخوان كلمة الفلول ولا يعلمون أن كلمة الفلول تلك ليست فى

موضعها فإن الفلول هم الجيوش المنسحبة وتجرات تلك الجماعة الوقحة على حماة الوطن وهى تردد شعار (يسقط حكم العسكر).

ظهر المجلس النيابى المصرى الذى كان يؤيده كل خارج على القانون تحت زعامة وحماية الفتوة الأمريكى وكان هؤلاء الناس ليسوا من مصر بل إعتقدت بأن أحد المخرجين كان يعد نصا يقوم الممثلون فيه بالقيام بدور عن البدو بالجاهلية قبل ظهور الإسلام وأخطأ وبدلا من التوجه بهم لإستوديو التصوير دفع بهم إلى مقر مجلس النواب.

لقد كان هؤلاء القوم لهم سحنة غريبة وشكل قمىء قبيح وألفاظ سيئة ومهينة وركزوا فى حربهم على المرأة المصرية وجعلوا منها حشرة قاتلة أو مرض خطير وفى الحقيقة كانوا جميعا يلهثون عدوا خلف أى امرأة ولهم من التاريخ سجلات طويلة فى التعامل مع النسوة الساقطات والكثير من العلاقات المشبوهة.

جاء رئيس منتخب بفضل تفاهة عقول المصريين اعتقادا منهم بأن هؤلاء الناس يعرفون الله، يا أغبياء مصر، نحن لا نعرف الله وكل ما نقوم به من عبادات بعيدة عن الله جل علاه أما البعض الآخر فكما يقول العامة (كان همه على بطنه) يقوم بمعاشرة زوجته وينجب أبناء حفاة عراه يحتاج لإطعامهم فلا يجد سوى السرقة أو خيانة الوطن غير المقصودة بأن يلهث خلف رشاوى الإخوان الإرهابيين بالقليل من زيت الطعام وكيس سكر وآخر من الأرز يؤكل وينتهى قبل ظهور نتيجة المرشح.

أتى مرشح الإخوان ووضع العقلاء أيديهم على أفواههم أثناء أن قام بحلف اليمين بميدان التحرير بين أنصاره من العفنة الخارجين على القانون، لم يصدق

الكثير من أبناء مصر أن هذا الرجل الأبله هو رئيس مصر، ومن سوء الحظ وسوء التصرف أن قام قادة القوات المسلحة بتأدية التحية العسكرية له وهو الإنسان المُعدم الفقير وليس ابن أصول بل انه ابن فلاح معدم حصل على عدد من قرارات الأرض من الإصلاح الزراعى أيام حكم جمال عبدالناصر وإستفاد من مجانية التعليم التى أطاحت بالعلماء والموهبين وأتت بموظفين غير قادرين على معرفة الفارق بين الفعل الماضى والمضارع، وبسرعة تم حل المجلس النيابى الإخوانى المخالف للدستور وسقط المجلس وأسعد هذا طوائف الشعب المصرى.

لم تستقر مصر وتوتر الحال وضج الناس وظهرت الجماعات الإرهابية بسيئاتها رغبة بفصل شبة الجزيرة عن مصر وتؤكد للجميع أن نظام الحكم يقوم بالتغطية السياسية لهؤلاء المجرمين الانفصاليين، لقد قرر نظام الحكم الجديد مكافأة المجلس العسكرى وكما قال البعض لقد نجح مرسى فى تشريد رجال الجيش الذين إعتقدوا أنه على مستوى المسؤولية ولقد أكدت جماعة الإخوان صدق الشعار الذين أطلقوه (يسقط حكم العسكر) الذى سقط سقوطاً مدوياً وبلا رجعة لأنه مجلس ضعيف.

لقد قال أحد مشاهير القضاء فى لقاء جماهيرى يهدد حكم الإخوان بأننى لست (طنطاوى أو عنان) كى تقوموا بالقائنا من فوق المناصب التى نتولاها، لقد أصبح المجلس العسكرى أضحوكة والله الأمر لكن الله يمهّل ولا يمهّل فقد اعفى رجل القضاء هذا من منصبه بيد أحد أبناء الجيش الوطنى بعد تلفظه بلفظ غير مقبول عن أنبياء الله .

لم يصمت الشعب وثار وهاج طالبا من الجيش التدخل لإنقاذ الموقف وظهرت شعارات (واحد إثنين الجيش المصرى فين) وسمعت أحد العقلاء من رجال السياسة القدامى يبتسم حزينا ويردد :

- لقد دفع حكم الإخوان الفاشل الشعب لطلب تدخل الجيش، كل شعوب العالم تطلب الجيش بعدم التدخل فى الحكم إلا الشعب المصرى فلم يعد أمامه بديلاً عن الحرب الأهلية إلا تدخل الجيش.

وكما يقول المثل إن الله يسلط أيدان على أيدان، هكذا ظهر وزير الدفاع الذى تخيره الرئيس الإخوانى إعتقاداً منه أنه مثل الميدالية فى جيبه فقد إستطاع أن يلقى بقاته خارج الخدمه وينزع عنهم القيادة والذى العسكرى وأصبحوا يجلسون فى منازلهم لا حول لهم ولا قوة، جاء وزير الدفاع يهدد جماعة الإخوان، كان الكثير من المصريين غير مصنق هذا الوزير صغير السن الذى قفز على سلم الوزارة من مدير إدارة المخابرات الحربية والإستطلاع إلى وزيراً للدفاع.

لم يرتدع الإخوان ولم يخشوا وزير الدفاع فلهم قوات ومليشيات مسلحة ومدربة تدريباً عالياً يخضعون لنظرية عقائدية بأنهم المسلمون والباقي من الكفار الذين لا ينتمون لتلك الفئة الطاهرة العفيفة، وفى ثورة شعبية قام الجيش بأمر من الشعب المصرى بإزالة طائفة الإخوان الخربة وأعتقل الكثير منهم وهرب جزء آخر وقامت المحاكمات ومازال هؤلاء الخونة تحت سلطة التقاضى إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً، لقد كان الشعب المصرى عند حسن الظن بجيشه وهذا الشعب ينطبق عليه بيت الشعر الذى يقول :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

هذا ما حدث مع الزعيم جمال عبدالناصر عندما إستقال فى أعقاب هزيمة حرب عام ١٩٦٧ وثار الشعب طالبا منه الإستمرار والحرب مرددا بأنك من أوصلتنا لتلك الهزيمة وما عليك سوى أن تعيد الأوضاع كما كانت وتخرج المحتل الإسرائيلى بينما أذنب الرئيس وقتها حولوا تلك الثورة إلى هتافات بحياة الزعيم يطالبونه بالإستمرار، أى إستمرار أيها السادة، زعيم هزم فى معركة فليس أقل من إستقالته أو إقالته ومحاكمته لكن صبر ونكاء المصريين كان قويا وإستمر الزعيم وانتصرت الإرادة المصرية.

حدث هذا مع الرئيس السادات الذى رغب فى الإستمرار فى الحكم على الطريقة الأمريكية بصلح منفرد مع إسرائيل رغم رفض الشعب المصرى، لقد تم الصلح منذ عام ١٩٧٩ وحتى الآن وبعد مُضى أربعين عاماً والشعب المصرى رافض له ولم يقبل التطبيع مع تلك الدولة المغتصبة.

حدث هذا أخيرا مع الرئيس الإخوانى وتحالف الشعب مع جيشه ويأمر مباشر من الشعب تحرك الجيش وأطاح بحكم الإخوان ومازال القتال دائرا بين الشعب ممثلا فى الجيش والشرطة وعناصر الإخوان الإرهابية والنصر قريب لشعب مصر ولى رجاء من الرئيس المصرى أن يغلق نافذة الإخوان فى كل قناة أو جريدة تعلن عن عمليات الإخوان ضد الشعب، إقتل وإنهى تلك الفنة الظالمة.

مثلما طالبت ثورة الرعاع فى يناير ٢٠١١ والذى اللواء خالد شوقى وتأثر بما حدث ضد الوطن وفارق الحياة حزنا على ما أصاب مصر حدث هذا مع زوجى

العقيد مجدى الذى نال الشهادة وهو يقوم بفك وإبطال شحنة ناسفة على شريط السكة الحديد كانت ستودى بحياة العشرات من المصريين المكافحين وبعد أن أنهى العمل بكفاءة إخترت صدره رصاصة غادرة من إخوانى قاتل كان مختبئا بمكان قريب وأراد الإنتقام من هذا الضابط الذى ساهم بعد الله فى إنقاذ أرواح بريئة.

أصبحت أرملة وأطفالى أيتام وأصبحت أسير بقارب ضعيف وسط أمواج شديدة دون أنيس أو رجل يقف بجوارى، فقد رحل الأب المحب والزوج المخلص ووجبت نفسى نهبا لرجل قال أنه يستطيع أن ينهى الفيلما التى قمت مع زوجى الراحل بحجزها لكن كما تقول الحكمة قبل أن يغلق الله بابا يفتح شباكاً.

هكذا تعرفت على الأب البديل هذا الإنسان الذى أرسله الله لى ورغم حالته الصحية فإنه قام بعمل مجيد ومنذ أسبوع أنهى تشطيب الفيلما وشاهدتها مع والدتى وبرفقتى صديقتى ولم أصدق أن المبنى الخرب المنشأ من الطوب والصبغات الخرسانية أصبح بتلك العظمة ويسعر لم أصدقته وكنت أخشى أن يكون بابا أسامة يعطف على لكنه زودنى بالفواتير ومفتاح الفيلما وكل ما أستطيع فعله أن أدعو له كل يوم وربنا يكافأه بعد أن ساعدنى على أن أجتمع مع أطفالى فى هذا المكان وأن أحقق رغبة الشهيد بأن تكون لنا فيلما صغيرة مثل آخرين.

وسوف تظل مصر عامرة إذا ما ظل أبنائها يقدمون الخير والعمل الصالح لتبقى بإذن ربها كما ذكره فى كتابه الكريم (إدخلوا مصر إن شاء الله آمنين) صدق الله العظيم

تمت بحمد الله

تذكار جميل

تلك بعض الصور التي توضح أشخاص بالعصر الملكى بمصر ومن بينهم بعض شخوص تلك الرواية وعلى القارىء النظر والتمعن فى تلك الصور وهذه الشخصيات والتي مضى عليها زمن طويل تعدى السبعين عاما ولنعمل مقارنة بين هذه الشخصيات الرقيقة العظيمة وبعض ما نشاهده فى تلك الأيام على صدر صفحات الصحف أو التواصل الإجتماعى أو على شاشات بعض القنوات التلفزيونية والأحاديث الخارجة عن اللياقة والأدب والمخالفة لما كان يتمتع به عظماء عصر الملكية.

تلك مقارنة دائما ما أقوم بها عندما أقوم بزيارة بعض الأماكن الأثرية بالهرم أو الأقصر وأشاهد ما أشاهده من تصرفات بعض الحمقى والبعيدة عن الذوق والأخلاق وأردد بداخلى سؤال حائر: هل هؤلاء البشر أحفاد من شيدوا تلك الحضارة؟.



الملكة فريدة ملكة مصر السابقة



الإمبراطورة فوزية شقيقة الملك فاروق



الملكة ناريمان ملكة مصر السابقة



الأميرات في خلوة على شاطئ البحر





الأمير فاروق بن الملك فؤاد



الملكة نـاريمان



الأمير فاروق قبل تولى العرش



حفل زفاف الملك فاروق والملكة فريال



الملكة فريدة فى طفولتها



الملك فاروق وابنتيه



الاميرات فريدل وفوزية وفادية بنات الملك فاروق والملكة فريدة



الأميرات الثلاث فريال وفوزية وفادية بنات الملك فاروق والملكة فريدة





شعار المملكة المصرية



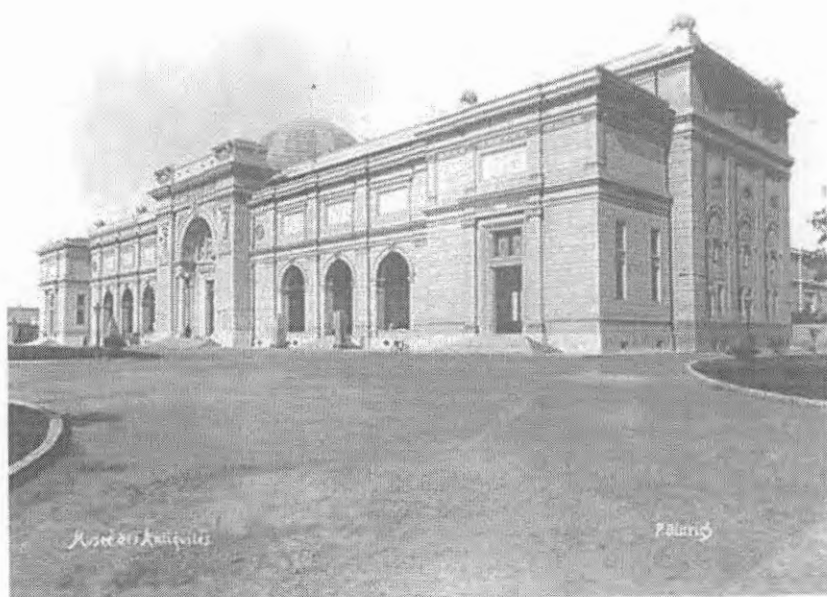
CAIRO — Opera Theatre. — LL

تمثال ابراهيم باشا ويظهر فى الصورة الاوبرا القديمة



CAIRO — Semiramis Hotel. — LL

فندق سميراميس سنة ١٩٠٩



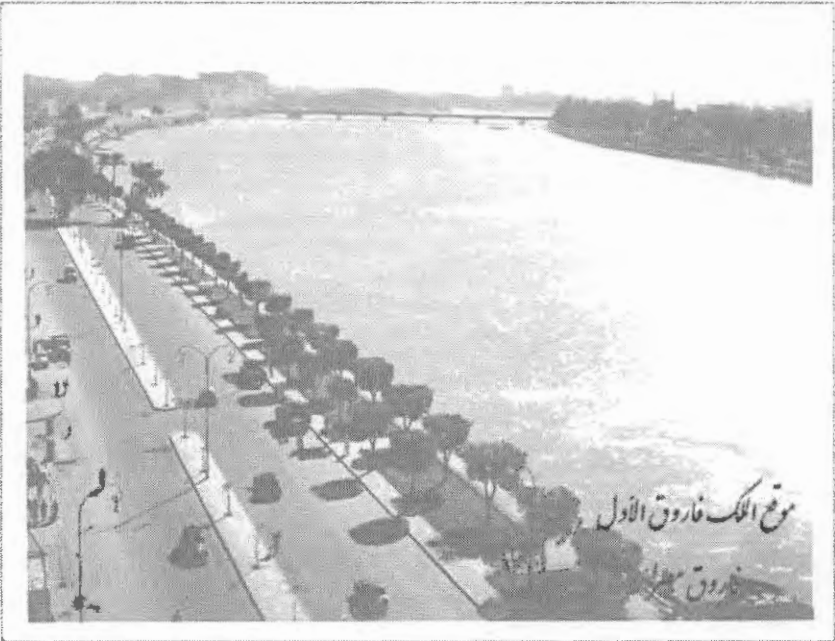
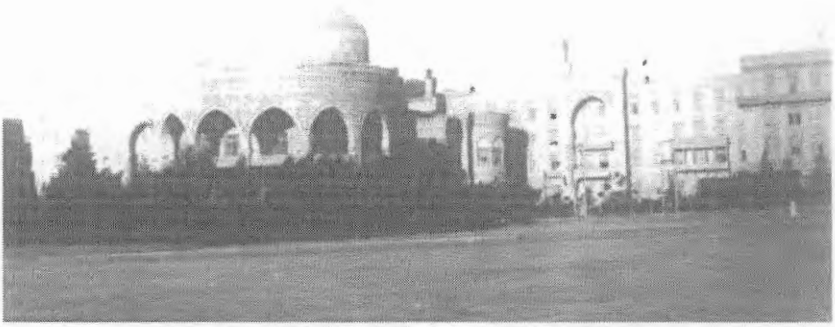
التحف المصري - تحت الانشاء



ميدان سليمان باشا



شارع العروية - وقصر العروية مصر الجديدة



نهر النيل



فندق شبرد



كوبرى قصر النيل قبل التعديل



كويبرى قصر النيل بعد التعديل



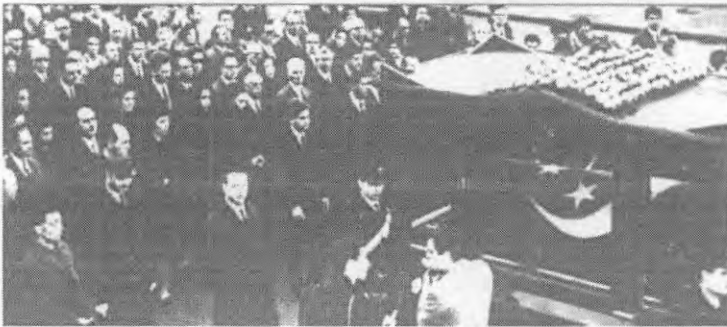
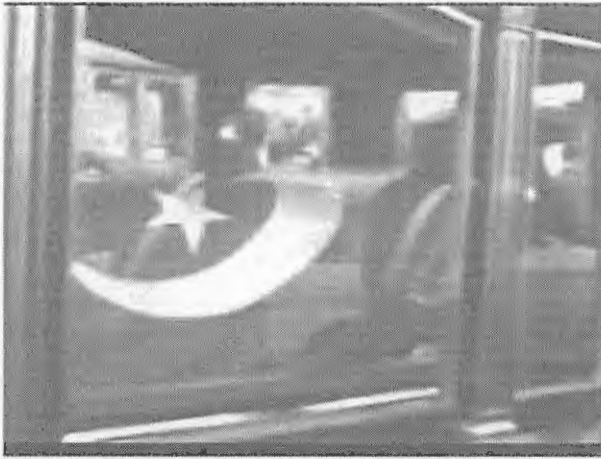
ميدان قصر النيل قبل وضع تمثال سعد زغلول



الملك فاروق والملكة ناريمان



الأمير أحمد فؤاد في جنازة والده الملك فاروق .. السن ١٤ عام



صورة من جنازة الملك فاروق الاول فى ايطاليا
النعش ملفوفا بعلم مصر كما يظهر الملك احمد فؤاد الثانى خلف
الجنازة



الملكة نازلى والاميره فائقه فى جنازة الملك فاروق



الملكة نازلى الأم والأميرة فوزية فى جنازة الملك فاروق



الملكة فريدة والاميرة فوزية فاروق في جنازة الملك فاروق

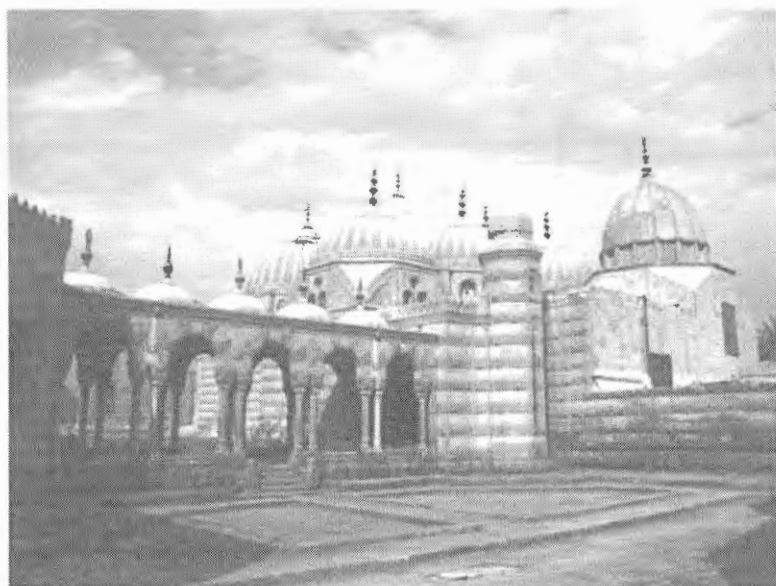




1965 الملكة فريدة فى جنازة الملك فاروق سنة



الملكة نازلى وجنازة الملك فاروق سنة ١٩٦٥



حوش الباشا بالامام الشافعى والذى دفن به الملك فاروق بعد وفاته وقبّل نقله الى



شاهد مدفن الملك فاروق بمدافن الإمام الشافعي بالقاهرة بعد أن وافق جمال
عبدناصر على دفنه بها كوصية الملك قبل وفاته وبتوصية الملك فيصل ملك
السعودية



الأمير لای حشمت بك السرجانی

حسين الشافعي





الفنان أحمد مظهر يجلس عن يمين جمال عبدالناصر

الصورة وهما طلبة بالكلية الحربية



الفنان أحمد مظهر في منتصف العمر



صورة الأمير أحمد فؤاد بن الملك فاروق ملك مصر السابق



الأمير أحمد فؤاد أثناء صلاة الجنازة على روح شقيقته الأميرة فوزية
فاروق



الإمبراطورة فوزية شقيقة الملك فاروق ملك مصر

من إصدارات المؤلف:

- * الناس والحرب .. الطبعة الثانية مايو ٢٠٠٩
- * رسالة إلى الرئيس .. الطبعة الثانية يونيو ٢٠١٠
- * مصر التسي .. الطبعة الرابعة نوفمبر ٢٠١٣
- * نص نقـل .. الطبعة الثانية يوليو ٢٠٠٩
- * مسافر زاده الخيال... الطبعة الثانية سبتمبر ٢٠١٢
- * حورية بين النخيل .. الطبعة الثالثة نوفمبر ٢٠١٣
- * الحب والحرمان .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- * همسات مصرية
- * صوت الملاك
- * بنت الباشا .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- * بثينة
- * عابد المصري
- * رحلة الألف يوم
- * لقاء في الطائرة
- * العصفور وأنا .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- * رجاله ورق للبيع .. ملهاة
- * أيام من عمري .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- * فهد الليل * نسمة على النيل ٢٠١٥
- * نور العيون

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٦/١٤٥٢٦